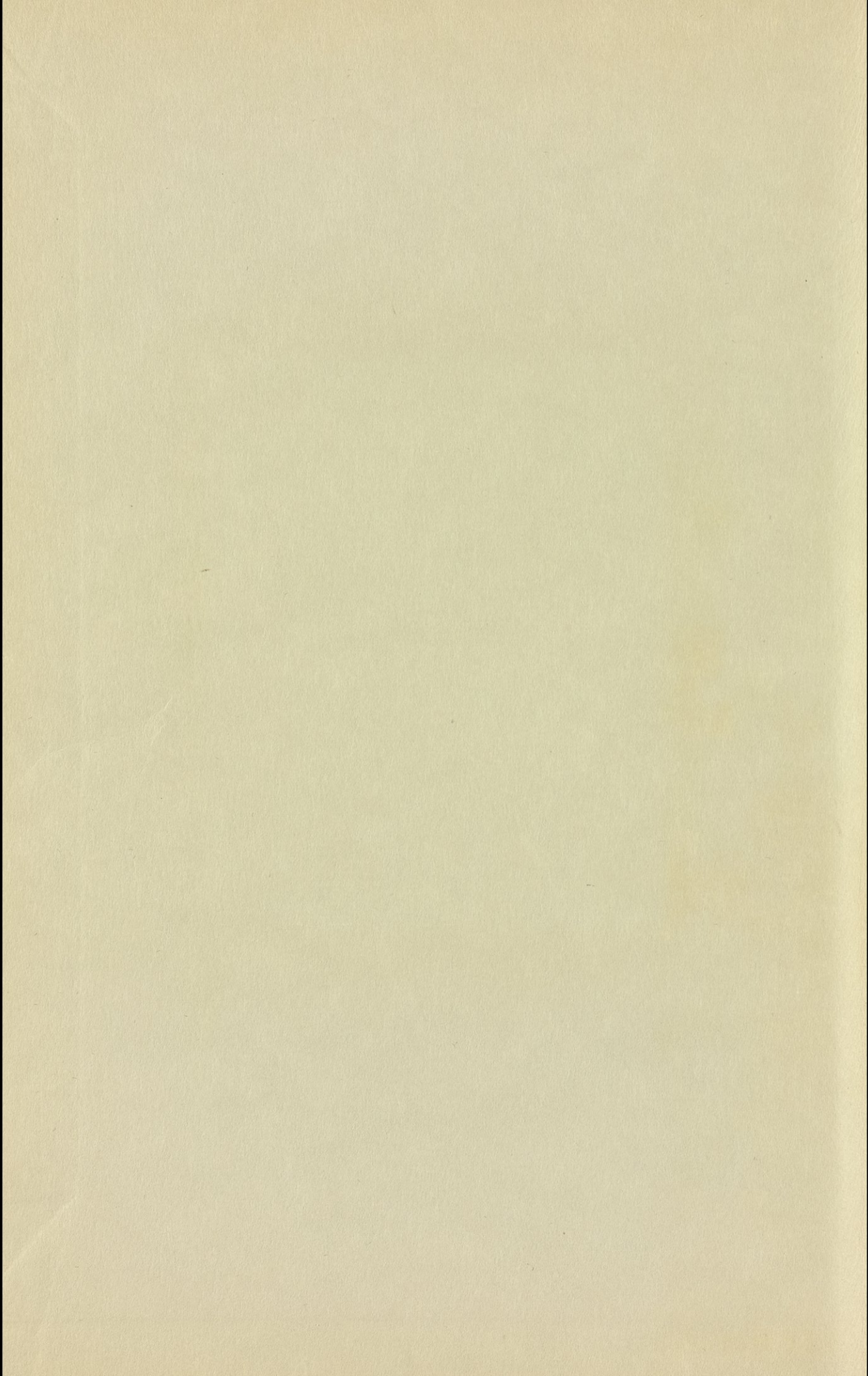
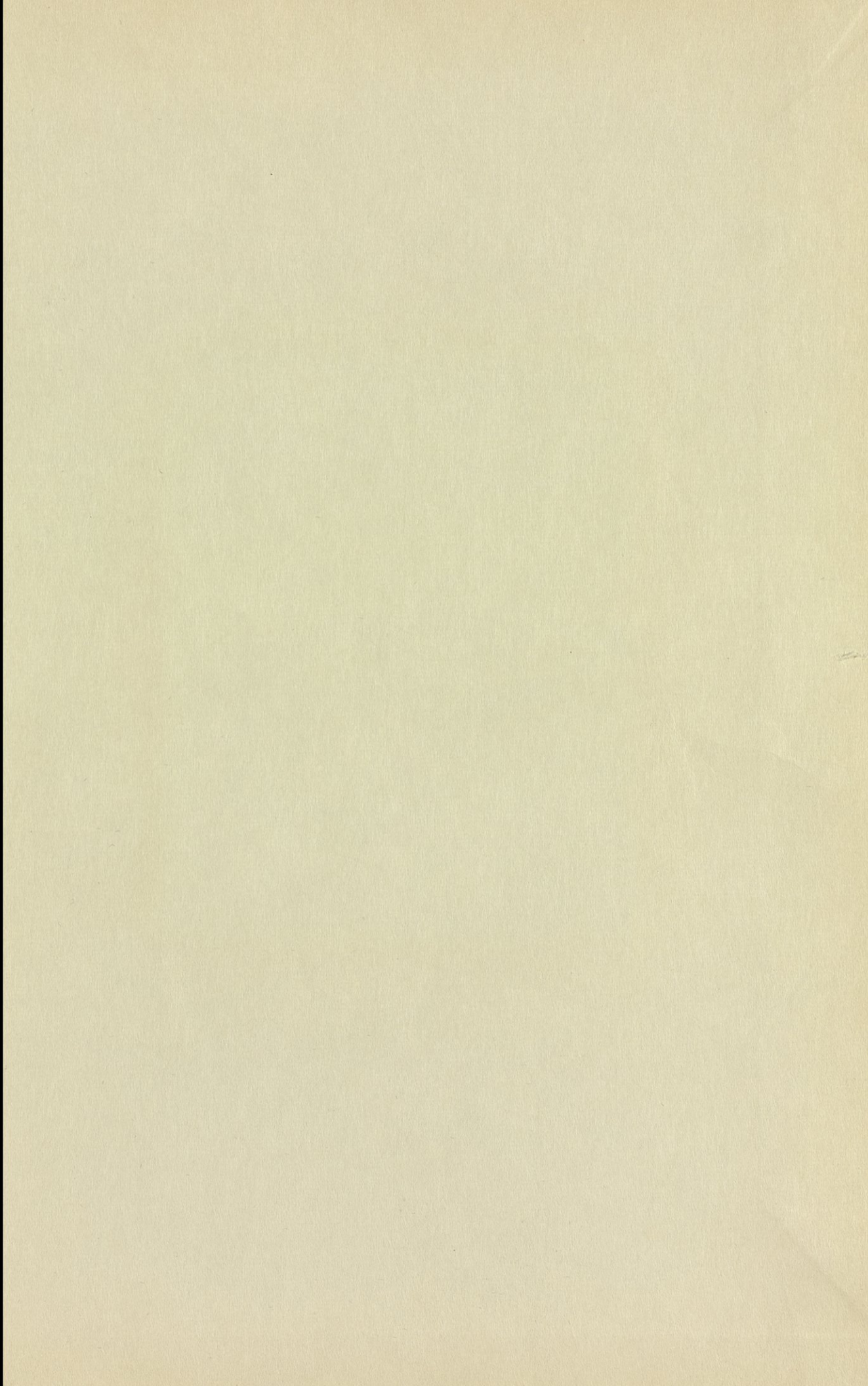


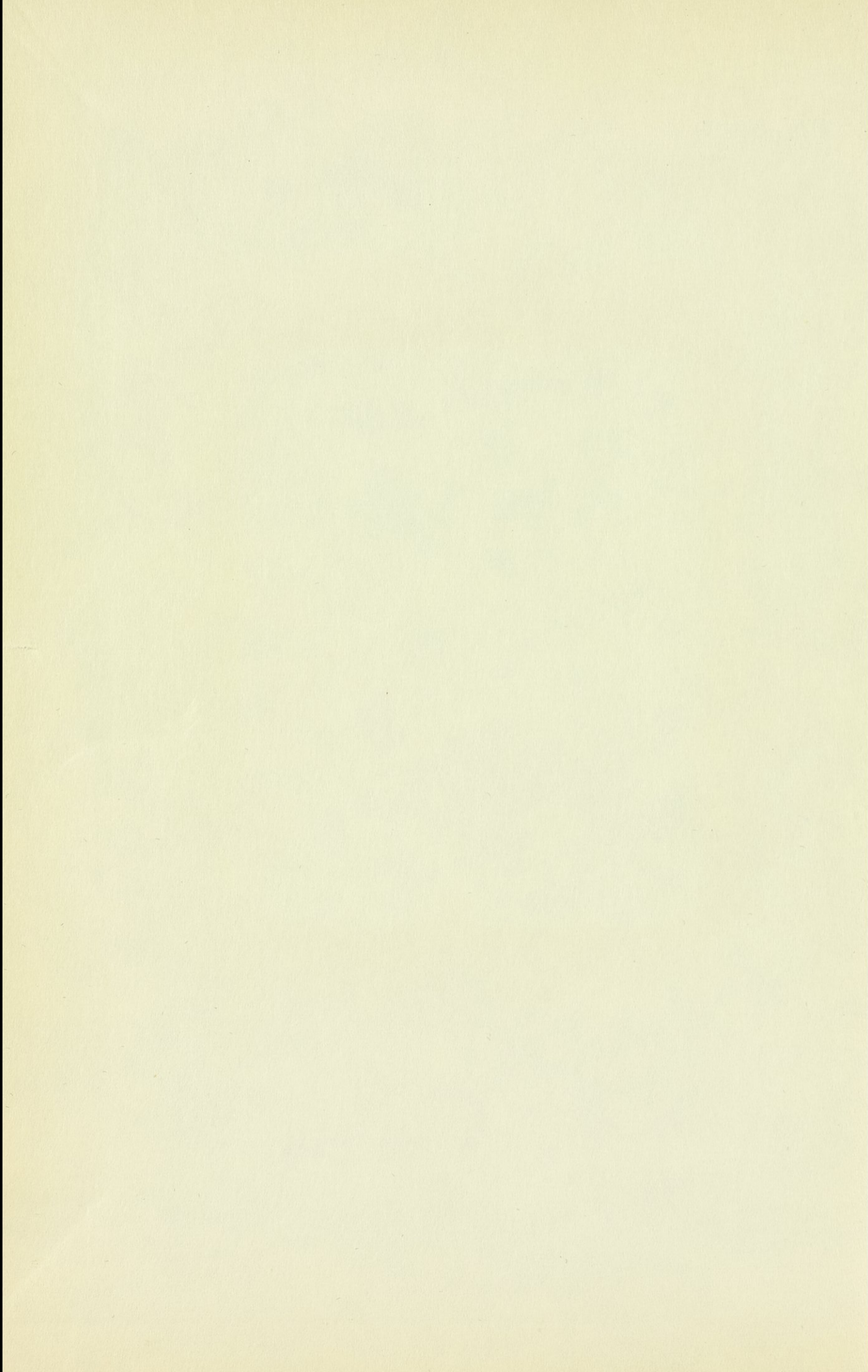
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

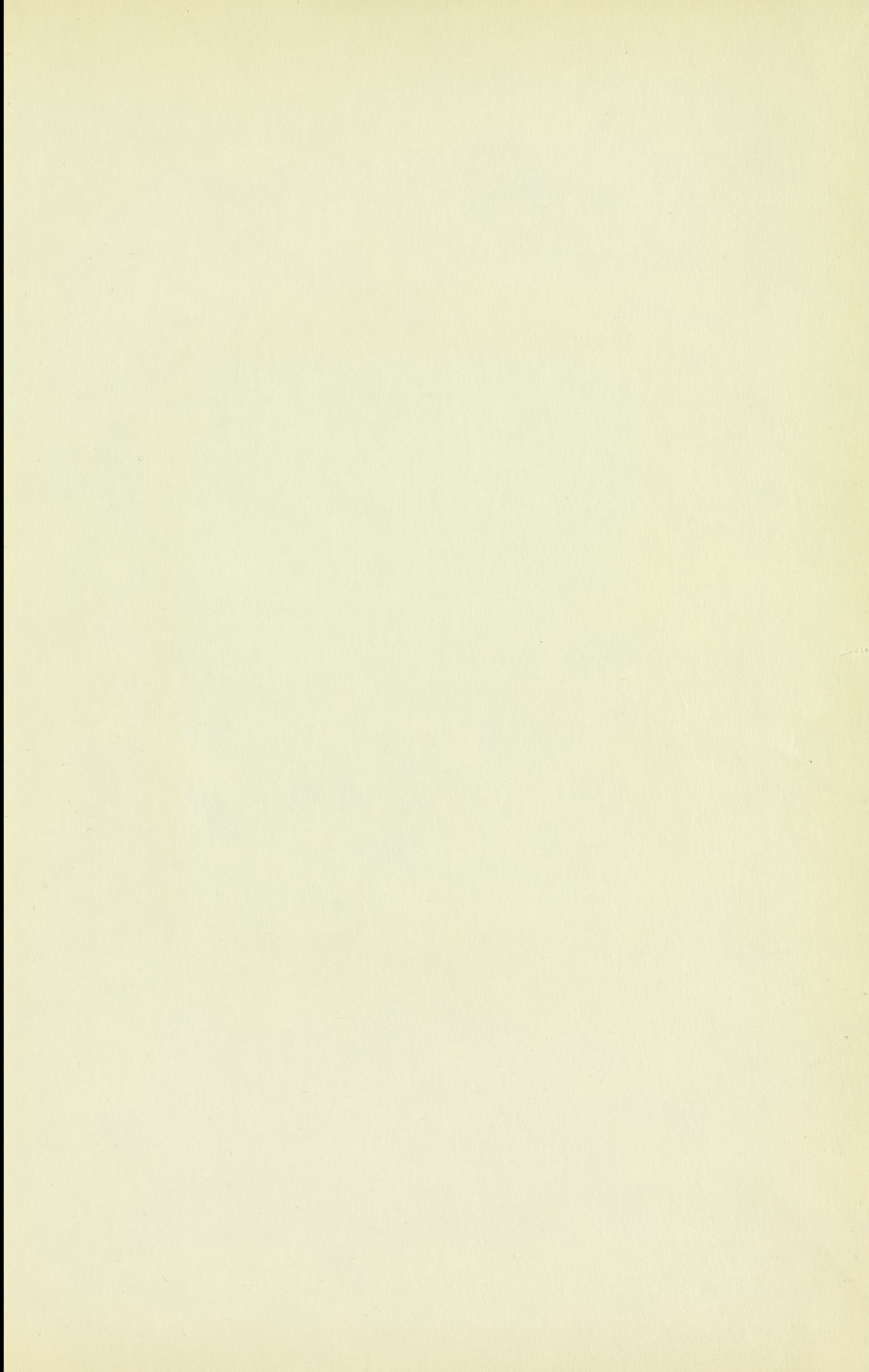


GENERAL LIBRARY









المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

دراسات في الأدب الإسلامي

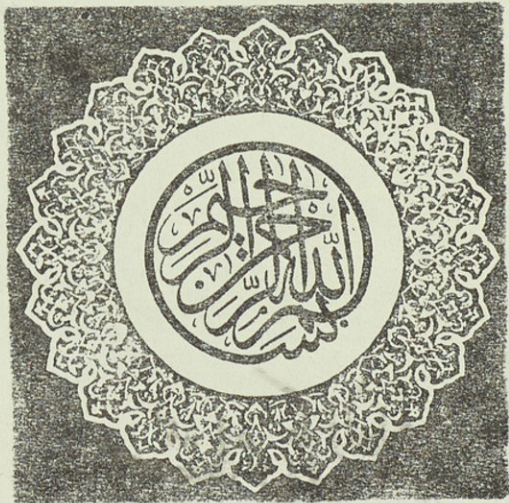
سما مي مكي العائني

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٨

PJ
7541
.A7



القبليّة

اعتاد معظم دارسي ومؤرخي الادب العربي ان يلحقوا الأدب الاسلامي بالأدب الأموي ، أو أن يجعلوه تنمةً للأدب الجاهلي أو خصّه بوريقات معدودة فقط ، بدعوى ان ملاحظه لم تتضح بعد ، ومميزاته لما تبلور .

ومن هنا حرم القارىء من الاطلاع على جوانب أدب تلك الفترة العزيرة من تاريخ امتنا المجيدة .

ومما عمق هذا الاتجاه واكده ، ما أشاعه بعض الباحثين من العرب والمستشرقين عن ضآلة أثر الاسلام في الادب العربي إبان تلك الفترة .

وهذا وهمٌ ينفيه ما وصل اليه من شعر ونثر ، كان صدىً لتعاليم الاسلام وأحداثه .

ولذلك رأيت أن أسهم في الرد على هذا الوهم بتقديم هذه الدراسات والخواطر فيما سادتلك الحقبة من اتجاهات ادبية . وهي وان بدت متنوعة في مادتها إلا أنها تقوم على منهج موحد هو دراسة التأثيرات الاسلامية في الادب العربي ضمن فترة زمنية محددة بعصر الرسول (ص) وخلفائه الراشدين ، وثمة موضوع واحد قد يخرج عن هذا التحديد

الزمني وهو - اعجاز القرآن - رأيت أنه الصقُّ بأدب هذه الفترة من
اي فترة اخرى .

وأود أن أشير الى انني حاولت جهدي في هذه الدراسات أن
أتطرق الى موضوعات طريفة بعيدة عما ألفنا قراءته في تاريخ الادب،
واني اذ أقدم هذه الدراسات أعلمُ علمَ اليقين انها جهد متواضع يعوزه
الكمال الذي لم يُخلَق للبشر، ولكني ارجو ان اكون قد وُفقتُ الى
التعبير عما بدالي من خلال ما توفر لدينا من نصوص تلك الفترة .

وفي الختام أسجل وافر شكري وعظيم تقديري لاستاذنا الدكتور
محمود غناوي الزهيري الذي تفضل فأفادني بتوجيهاته السديدة
وارشاداته القيمة حتى ظهرت دراساتي على هذه الصورة .

ومن الله العون ، وبه التوفيق .

الصراع اللادوني بين مكة والمدينة في عصر النبوة

جاء الاسلام فانقسم العرب ازاءه الى فريقين ، فريق تفتحت قلوبهم للاسلام ، وعقولهم للاستنارة بهديه ، فاسلموا نفوسهم وما يملكون لله ، وفريق صدوا عن سبيله ، واصروا على الكفر به ، فجردوا نفوسهم وما يملكون لمحاربتة .

وطبيعي ان يساهم الشعر في هذا الصراع ، وان يواكب في جميع مراحلها ، فوقف فريق من الشعراء الى جانب قريش ، والفريق الآخر الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يُشهر السلاح الشعري خلال الفترة المكية ، لان المسلمين كانوا آنذاك افراداً قلائل ، وليسوا معسكراً يهدد قريشاً .

وعندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة، وتأسست للاسلام دولة ، وقامت له حكومة ، شعرت قريش بما يهدد مركزها من خطر . فلم تُبق وسيلة تحارب بها الرسول الا اتخذتها ، ولا سلاحاً الا شهرته ، وبدأت شاعريتها تستيقظ وتقوى بعد ان كانت قليلة الشعر في جاهليتها ، خاملة الذكر فيه . قال ابن سلام : والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة^(١) ، ولم يحاربوا^(٢) فان عداوتها للاسلام حلت من عقد السنة ابنائها ، ومحاربتها له انطقتهم بالشعر ،

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، تقم بين القوم ، فتثير شرورهم .

(٢) ابن سلام طبقات الشعراء ص ٢١٧ ،

فبرز منهم شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الاسلام كابي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله (ص) واخوه في الرضاة ،
بقي في صفوف المشركين ، يدافع عنهم ، ويحرضهم على الاسلام
والمسلمين ، ويؤذي رسول الله (ص) ويهجوهم ، والى ذلك اشار حسان
ابن ثابت في قصيدته المشهورة :

هجوت محمداً فاجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

حتى تم فتح مكة فلقي ابو سفيان وعبد الله بن ابي امية بن
المغيرة رسول الله (ص) بنيبق العقاب فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا
الدخول عليه ، فكلمته ام سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك
وابن عمتك وصهرك ، قال لا حاجة لي بهما ، اما ابن عمي فهتك عرضي ،
واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، فلما خرج اليهما
الخبر بذلك ، ومع ابي سفيان ابن له صغير ، قال : والله ليأذنن لي أو
لاخذن بيدي بني هندا ، ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشاً
وجوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) رق لهما ، ثم اذن لهما ، فدخلا
عليه فاسلما^(١) .

ومن شعره قبل اسلامه ما قاله في الرد على حسان يوم بدر :^(٢)
أحسان انا يابن آكلة الفغا وجدك نغتال الخروق كذلك^(٣)
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ولو وألت منا بشد مدارك^(٤)

(١) ابن هشام ٢/٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٢ .

(٣) الفغا : التمر ، يريدانهم اهل نخيل وتمر و نغتال : تقطم . والخروق : جمع
خرق ، وهي الفلاة الواسعة .

(٤) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الطيبة ، يريدانهم لكثرتهم لا تنجو معهم الأطباء
ووألت : اعتصمت ولجأت ، ومنه الموثل وهو الملعج ، والشد : الجري والمدارك : المتتابع .

إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته مُدَّ من اهل الموسم المتعارك^(١)
اقتت على الرس النزوع تريدنا وتتر كنا في النخل عند المتدارك^(٢)
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت الصقنه بالدكادك^(٣)
اقننا ثلاثاً بين سلع وفارع مجرد الجياد والمطي الرواتك^(٤)
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم كماخذكم بالعين ابطال آئك^(٥)
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم المتاسك^(٦)
سعدتم بها وغيركم كان اهلها فوارس من ابنا فهر بن مالك^(٧)
فانك لا في هجرة ان ذكرتها ولا حرمت الدين انت بناسك

ومنهم عبد الله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي ، كان من
اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى اصحابه بلسانه
ونفسه . وكان اشعر قریش ، وابلغها ، كان قد هرب الى نجران حين
تم فتح مكة ، فرماه حسان وهو بنجران بييت واحدا زاده عليه :
لا تعد من رجلاً أحلك بغضه نجران في عيش أخذ لثيم^(٨)

-
- (١) المدمن : الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدمن . اي اثار الدواب
والابل وارواثها وبمارها . واهل الموسم : جماعة الحجاج ، وكل مكان كانت تجتمع
فيه العرب فهو موسم والمتعارك : الذي يزدحم فيه الناس .
- (٢) الرس النزوع : البئر الذي تنزع ماؤها بالايدي ، والمدارك : المواضع القريبة
(٣) الدكادك . جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .
- (٤) سلم وفارع : جيلان ، والرواتك : السرعة .
- (٥) العين (هنا) : المال الحاضر . وهي الدور ايضاً ، كلاهما يصلحها هنا
- (٦) المعصم : المستمسك بالشيء .
- (٧) الناسك : المتبعم لمعلم دينه وشرائعه ، ويروى : (ناسكي) منسوباً وخفت
البياء للقافية .
- (٨) أخذ : القليل المنقطع ، وروبت أجد : ومعناها المنقطع . ويجوز ان يكون
معناه : في عيش لثيم .

فلما بلغ ذلك عبد الله بن الزبيري خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم واعتذر الى رسول الله (ص) فقبل عذره وقال حين اسلم: ^(١)

يارسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ أنا بُور ^(٢)
اذ أبارى الشيطان في سنن الغي وَمَنْ مال ميله مشبور ^(٣)
آمن اللحم والعظام لربي ثم قلبي الشهيد انت النذير
اني عنك زاجرٌ ثم حياً من لؤي وكلهم مغرور
ومن شعره في محاربة المسلمين لاميته التي يقول فيها في غزوة
أحد: ^(٤)

كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدم بطل
صادق النجدة قرم بارع غير ملثا لدى وقع الاسل ^(٥)
فسل المهراس ماساكنه بين اقحاف وهام كالحجل ^(٦)
ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
الى ان يقول:

فقتلنا الضعف من اشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا السوم النفس الا اننا لو كررنا لفعلنا المفتعل

(١) ابن هشام ٤١٧/٢ .

(٢) راتق : ساد . بور : هالك .

(٣) اباري : اجاري واعارض . والسنن : بالتحريك : وسط الطريق ومشبور :

هالك .

(٤) ابن هشام ١٣٦/٢ .

(٥) النجدة : القوة والشجاعة ، الملثا : الضعيف . الاسل : الرماح .

(٦) المهراس : ماء يجبل احد ، والاقحاف : جمع قحف ، وهو العظم فوق الدماغ ،

والهام : الرؤوس والمراد به هنا جمع هامة ، كانت العرب تعتقد انها روح الميت تنقلب

بمد قته طيراً يحوم فوق القبر حتى يؤخذ بثأر القتيل . والحجل : طائر .

بسيوف الهند تعلقو هامهم عللاً تعلقوهم بعد نهل^(١)
ومنهم ضرار بن الخطاب الفهري من شعراء قريش المعدودين
وفرسانها الشجعان ، قاتل المسلمين في الوقائع اشد القتال ، وكان
يقول : زوجت عشرة من اصحاب النبي (ص) بالخور العين ثم في
الفتح ، وكان يقول لا ابي بكر نحن خير لقريش منكم ادخلناهم الجنة
وانتم ادخلتموهم النار . ومن شعره في محاربة المسلمين :^(٢)

كانهم اذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصافحونا
اناس لا نرى فيهم رشيدا وقد قالوا السنن راشدينا
فاحجرناهم شهراً كريتاً وكنا فوقهم كالقاهرينا^(٣)
والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي أخو أبي جهل ،
حارب المسلمين بسيفه ولسانه حتى اذا كان الفتح استأمنت له أم
هانيء بنت أبي طالب النبي (ص) فأمنه يوم الفتح وصفح عنه ، وكانت
اذ أمنت قد اراد عليُّ قتله وحاول ان يغلبها عليه فدخل النبي (ص)
منزلها ذلك الوقت فقالت يا رسول الله ألا ترى الى ابن أمي يريد قتل
رجل أجرته فقال رسول الله (ص) : قد اجرنا من أجرت وأمنا من
أمنت ، فأمنه . ومن شعره قصيدة توعده فيها محمداً (ص) بعد قتل أخيه
أبي جهل منها^(٤) :

(١) النهل : بفتح النون والماء - الشرب الاول . والعلل : الشرب الثاني ، وضرب
ذلك مثلاً لمعاودتهم القتال ورجوعهم اليه .

(٢) ابن هشام ٢/٢٥٥ .

(٣) احجرناهم : حصرناهم . وقوله : شهراً كريتاً يعني كاملاً تاماً .

(٤) ابن هشام ١٠/٢

فِي-ال لؤي ذبوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها لذي الفخر^(١)
توارثها أبؤكم وورثتم أواسيها والبيت ذا السقف والستر^(٢)
فما حلیم قد أراد هلاككم فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتهم وتوازرروا وكونوا جميعاً في التأسى وفي الصبر^(٣)
لعلكم ان تثاروا بأخيكم ولا شيء، ان لم تثاروا بذوي عمرو^(٤)

ومنهم هبيرة بن ابي وهب المخزومي، وابو عزة الجمحي وعمرو بن
العاص، وابو سفیان بن حرب. وقد رويت لهؤلاء اشعار في المعارك
الكلامية التي كانت تدور بين مكة والمدينة.

ودخل هذه المعركة الى جانب قريش بعض الشعراء الذين لم يكونوا
من مكة ولا يثرب، ومن هؤلاء امية بن ابي الصلت، وهو ثقيفي،
كان يتوقع ظهور رسول بين العرب، وكان يتمنى ان ينزل عليه
الوحي. ولما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم حقد عليه وعلى المسلمين
وراح يحرض قريشاً على حربته ورثى المشركين بقصائد تفيض بالحق
والانفعال ضد المسلمين من ذلك قوله^(٥):

الا بكيت على الكرام م بني الكرام أولي المماح
كبكا الحمام على فرو ع الايك في الغصن الجوانح

(١) ذبوا: ادفوا.

(٢) الاواسي: جم آسية، وهي ما اسس عليه البناء.

(٣) توازرروا: تعاونوا.

(٤) تثاروا بأخيكم: تأخذوا بثاره.

وقال ابن هشام بعد ايراده هذه القصيدة: ابدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى
ابن اسحاق، وهما (الفخر) في آخر البيت. و (فما حلیم) في اول البيت، لانه نال
فيهما من النبي صل الله عليه وسلم.

(٥) ابن هشام ٣٠/٢

ماذا ببدر فالعقن — قـل من صـرازبة جـحـاجـح^(١)
 شمط وشبان بها ليل مغاوير وحاوح^(٢)
 وقد نهى رسول الله (ص) عن روايتها لما فيها من حقد وانفعال
 وعباس بن مرداس السلمي من سليم بن منصور ، وكان فارساً
 شجاعاً وقف في صف المشركين حيث مدح بني النضير حين اجلام
 الرسول ، وتأسف لذلك واطهر المه في قصيدة مطلعها :^(٣)
 ولو ان اهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهى وملعبا
 وناقض خووات بن جبير حين هجا اليهود بقصيدة مطلعها :^(٤)
 هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا^(٥)
 وقد اسلم قبيل الفتح ، وساهم في الفتح .

وقد آزر قريشاً كعب بن زهير بسبب اسلام أخيه ودخل الى
 جانبها في المعركة الشعرية التي اشتد اوارها بين المسلمين وبين قريش
 ومن قصيدته التي هاجم فيها الاسلام ، وأحل رسول الله دمـه
 بسببها :^(٦)

شربت مع المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلكا
 وخالفت اسباب الهدى واتبعته على اي شيء انت منزل ذلكا
 على خلق لم تلف اما ولا اباً عليه ولم تدرك عليه اخاك

(١) العقنقل : الكتيب من الرمل المنعقد . والمرازبة : الرؤساء . والجحاجح :
 السادة .

(٢) وحاوح : جهم وحاوح وهو الحديد النفس . البهليل : السادة .

(٣) ابن هشام ٢٠١/٢ .

(٤) المصدر السابق ٢٠٢/٢ .

(٥) ترتب : ثابت .

(٦) الاستيعاب ٢٨١/٣ .

وقد روت كتب التاريخ والسيرة الكثير من اشعارهم التي كانوا
يهجون بها الرسول والدين ، وينالون منه ومن اتباعه ودعوته اشد
النيل واقساها . وآزر يهود يثرب قريشاً في حربها ضد المسلمين ،
ووقف شعراء اليهود الى جانب شعراء قريش يحرضون العرب
ويؤلبونهم على رسول الله ، كما فعل سلام بن ابي الحقيق ، ومنهم
من شذب بنساء المسلمين ، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما
فعل كعب بن الاشرف ، فقتلا في ذلك ، وفي هذا يقول حسان :^(١)
لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وانت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مراحاً كأسد في عرين مغرف^(٢)
حتى اتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف^(٣)
مستنصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل امر مجحف
وبكى جبل بن جوال - وهو يهودي ايضاً - بني النضير وقريظة
فقال :

الا يا سعد سعد بني معاذ لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك ان سعد بني معاذ غداة تحملوا لهو الصبور
فانبرى له حسان بن ثابت بنقيضة يسفه فيها ما قال ، ويعيب
عليهم نصرهم لقريش المشركة وهم اصحاب كتاب فقال :^(٤)
تفاقد معشر نصروا قريشاً وليس لهم ببلدتهم نصير

(١) ديوان حسان ص ٢٧٢ .

(٢) يسرون : من السرى وهو السير ايلاً . البيض السيوف مراحاً : نشاطاً . وقوله
: عرين مغرف : اي في هريف في اجمة من البردى والحباء والتصب او تقول الغريف
النهر ريد في اجمة ماء . (٣) ذفف سريمة القتل .

(٤) ديوان حسان ص ١٩٤

همُّ اوتوا الكتاب فضيعوه وهمُ عمي من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد ايتهم بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير^(١)
وقد كان للنساء دور كبير في هذه المعارك الشعرية فشاركن فيها
بالبكاء على القتلى ، وبالتحريض على الانتقام ، وبالتشفي حين يقتل
رجال الاعداء . ظهر منهن الى جانب قريش هند بنت عتبة بن ربيعة
التي بكت اباها يوم بدر فقالت :^(٢)

اعيني جودا بدمعٍ سربٍ على خير خندفٍ لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد اسيافهم يعلونه بعدما قد عطب
وقالت شامته بقتل حمزة (رض) :^(٣)

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعر^(٤)
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا اخي وعمه وبكري^(٥)
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري^(٦)
ومنهن قتيلة بنت الحارث التي بكت اخاها النضر وعاتبت رسول
الله (ص) لانه لم يمن عليه ويطلقه^(٧) .

ومن الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبد الله التي ردت على كعب

(١) البويرة : موضع بني قريظة .

(٢) ابن هشام ٣٨/٢

(٣) المصدر السابق ٩٠/٢

(٤) سحر : بضمتين الالتهاب .

(٥) بكري : ابني البكر .

(٦) وحشي : قاتل حمزة (رض) .

(٧) ابن هشام ٤٢/٢ .

ابن الاشرف تحريضه على الرسول وبكائه قتلى قريش ببدر^(١).

وصفية بنت عبدالمطلب التي بكت اخاها حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه بأبيات تفيض لوعة وحزناً ، ونعت فيه شمائل الاسلام^(٢) وهند بنت أத்தை التي رثت عبيدة بن الحارث بن المطلب حين استشهد من مصابه ببدر^(٣) وناقضت هند بنت عتبة حين اعلنت تشفيها بقتل مسلمي أحد.^(٤)

وكان لشعر المشركين واليهود اثره في نفس الرسول، وفي نفوس المسلمين ، وفي تعويق الدعوة ، والتنفير منها ، لما كان له من ذبوع وانتشار بين جميع القبائل العربية ، ولم تكن القبائل خارج المدينة لتسمع عن الاسلام او تعرف عنه شيئاً الا بواسطة ما يصل اليها من الشعر - الذي كان بمثابة صحف هذه الايام - هذا اذا استثنينا بعض من كان يبعث بهم الرسول عليه الصلاة والسلام من دعاة الاسلام ، وحتى هؤلاء ، فان شعر القرشيين كان يفسد عليهم عملهم ودعوتهم لانه صادر عن مكة ، وهي مركز العرب الديني والتجاري ، والثقافي ، وعن قوم النبي ، والمفروض انهم اعرف به وبدعوته من القبائل ، لذلك قرر الاسلام ان يفلح من هذا السلاح الذي اراد المشركون ان يتخذوا منه سلاحاً ماضياً يشهرونه في وجه الدعوة الاسلامية ويهدمون به كل ما يحاول ان يبنيه الرسول ، ليفوت على المشركين غرضهم الذي كانوا يرمون اليه. ويوجهه الى غير ما استعمله

(١) المصدر السابق ٥٢/٢

(٢) المصدر نفسه ١٦٧/٢

(٣) المصدر نفسه ٤١/٢

(٤) المصدر نفسه ٩١/٢

المشركون، فحمل القرآن على الشعراء حملة واسعة، ووصفهم بنعوت قاسية ووصمهم بما لا يرضاه كل عربي لنفسه، من انهم يقولون ما لا يفعلون، ولكنه استثنى منهم الشعراء المؤمنين: والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر انهم في كل وادٍ يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون، الا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا...^(١) وجاء الحديث النبوي يؤكّد موقف القرآن، ففرق بين شعراء الكفر وشعراء الايمان بهذا النص: - لان يمتلىء جوف احدكم قيحاً ودماً خير له من ان يمتلىء شعراً^(٢) ولكن السيدة عائشة رفضت هذه الرواية، وارتاعت لها عندما سمعتها وقالت: (لم يحفظ ابو هريرة الحديث، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لان يمتلىء جوف احدكم قيحاً ودماً خير له من ان يمتلىء شعراً هجيت به)^(٣)

ومن هذا الاستدراك يتضح جلياً موقف الرسول عليه السلام من الشعر، فقد نهى عن لون معين منه، وعن موضوعات خاصة، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة، ومن الطبيعي ان ينصرف عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس، ويبعث الضغائن بين المسلمين، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضائل النفسية ويعين على الرذائل، فكل هذه الالوان من الشعر تخالف المبادئ التي قرر الاسلام ان تكون اسس مجتمعه الجديد.

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٥ - ٢٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤٥/٧ .

(٣) الزركشي: الاجابة لا يرادما استدركته عائشة على الصحابة ص ٦٧ .

اما فيما عدا ذلك فان الرسول أقر قول الشعر، وطلب من الشعراء ان يردوا على قريش وينصروه بالسنتهم كما نصروه باسلحتهم .

ولما لم يكن بين المهاجرين من يستطيع ان يتصدى لهذه المهمة توجه الى الانصار بقوله : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ فاجابه الى ذلك حسان و كعب وعبد الله بن رواحة ، فانشرح رسول الله لذلك ، وطلب ان يردوا عنه شعراء قريش ، فقد روى انه (ص) لما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء فقال لعبد الله بن رواحة ، ردّ عني . فذهب في قديمهم وأولهم فلم يصنع في الهجاء شيئاً ، فأمر كعب بن مالك فذكر الحرب كقوله :
نصل السيوف اذا قصرن بخطونا قدما ونلحقها اذا لم تلحق

فلم يصنع في الهجاء شيئاً ، فدعا حسان بن ثابت فقال : اهجم وائت ابا بكر يخبرك - اي بمعائب القوم - وكان ابو بكر علامة قريش^(١)

وقد أثنى صلى الله عليه وسلم على شعراء الاسلام وقدر دورهم في محاربة الكفر فقال : هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل^(٢) . وقال لحسان لشعرك اجزل عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً ، ولشعر كعب بن مالك اشد على قريش من رشق السهام^(٣) .

وأدرك عليه السلام اثر الشعر في نفس العربي ، فحث شعراءه على هجاء الكافرين ، ليشفي صدور المسلمين ، ولئلا يبقى ذلك في

(١) ابن سلام ص ١٨٠ .

(٢) العمدة ١/٣٨ .

(٣) ابو حاتم الرازي : الزينة ١/١٠٢ .

قلوبهم . فلما انهزم المشركون يوم الاحزاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم اذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي اعراض المسلمين ؟ فقام عبدالله بن رواحة فقال : انا . فقال : انك لحسن الشعر ، ثم قام كعب بن مالك فقال : انا . فقال : وانك لحسن الشعر^(١) .

وهكذا وقف شعراء الاسلام يذنون عن دينهم سهام اشعار المشركين واذاهم ، وطالما توجهوا بأشعارهم من يثرب الى المشركين في مكة ، ولذلك تكررت لفظة (أبلغ) و (من مبلغ) في مطالع قصائدهم ، لبعده المشركين عنهم ، وربما تكرر ذلك لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على شعراء تلك الفترة .

فحين هاجر بنو جحش بن رثاب الى المدينة ، عدا أبو سفيان بن حرب على دارهم في مكة فباعها ، فقال عبدالله بن جحش في ذلك :^(٢)

أبلغ أبا سفيان عن	أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعثها	تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب	الناس مجتهد القسامه
اذهب بها ، اذهب بها	طوقتها طوق الحمامه

وقال حسان بن ثابت مخاطباً أبا سفيان بن الحارث شاعر قريش :^(٣)

الا ابلغ ابا سفيان عني
فانت مجوف نخب هواء^(٤)

(١) الاغاني ٢٣٢/١٦ .

(٢) ابن هشام ١/٥٠٠ .

(٣) الديوان ص ٧ .

(٤) مجوف : جبان لا قلب له ومثله النخب .

وفي أحد طلب كعب بن مالك ابلاغ قريش بقوله^(١)
الا ابليغ قريشاً على نأيتها اتفخر منا بما لم تلي؟
وقال ايضاً في الغزوة نفسها: ^(٢)

ابليغ قريشاً وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوي الالباب مقبول
وتوجه بهذه الصيغة حين اراد مخاطبة ابي بن خلف من كبار
مشركي قريش فقال: ^(٣)

ابليغ ابياً انه فال رأيه وحان غداة الشعب والحين واقع
ولم يقتصر شعراء المسلمين على هذه المناوشات، بل ولجوا بشعرهم
كل ميدان وجدوا فيه دفاعاً عن عقيدتهم، ونشراً لدينهم فدحوا من
اسلم او وقف الى جانب الاسلام^(٤)، ونفروا بالاسلام وبالرسول
وبالانتصارات الاسلامية^(٥) ورثوا قتلى المسلمين، وبيّنوا ثوابهم
وحسن ما بهم^(٦)

وكان الرسول (ص) يقدر قيمة الشعر في غير الميدان ايضاً،
ويعرف مهمته في الحياة العربية، وانه ديوان العرب، وسجل مفاخرها،
فحاول ان يوجه هذه الاداة التي يحسن العرب استعمالها، ولا يستطيعون

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٣) » » ص ٢١٧ .

(٤) انظر ابن هشام ١/٣٨٠ .

(٥) انظر ابن هشام مثلاً ١/٥١١ و ٦٦٤ .

(٦) انظر المصدر السابق ٢/١٧٦ و ١٨٩ .

الاستعناء عنها ، الى حيث يخدم الفكرة ، وينصر الدين ، ويبعث
الفضائل الكامنة في نفوس العرب فقال : ان هذا الشعر سجع من
كلام العرب ، به يعطى السائل وبه يكظم الغيظ ، وبه يؤتى القوم
في نأديهم^(١) .

ولقد ذهب الى ابعده من تأكيده مهمة الشعر في الحياة حين
أكد قيمته الفنية ، فقد جاء اعرابي اليه فتكلم بكلام بين فقال (ص)
ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة .^(٢)

(١) السبكي : طبقات الشافعية ١/١٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ٨/٤٢ .

القرآن والشعر

من يتتبع لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم يجد انها وردت في ستة مواضع . في خمس منها يحكي القرآن ما حاول كفار قريش ان يلصقوه برسول الله (ص) من اتهامات باطلة وصفات طائشة .

فبعد ان استمعوا الى آياته ، احسوا بروعته ، وبما له من تأثير في العقول ، وسيطرة على النفوس .

وراحوا يتخبطون في وصفه ، فلم يثبتوا على صفة معينة ينعتون بها من نزل عليه القرآن .

وحاولوا ان يعللوا اثره المزلزل في النفوس ، ولكنهم عجزوا . فبدأوا يتنقلون من ادعاء الى ادعاء ومن تعليل الى آخر . حائرين غير مستقرين (بل قالوا اضغاثُ احلام ، بل افتراه بل هو شاعر ...)^(١)

ورد القرآن على هذه الافتراءات التي حاول المشركون ان يفسروا الوحي بها . فنفى ما ادعوه من وصف النبي بانه شاعر ، ووصف القرآن الذي نزل عليه بانه شعر .

(وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ

مبين^(٢))

(١) الانبياء آية ٥ .

(٢) يس آية ٦٩ .

وما كان يخفى على كبراء قريش ان الامر ليس كذلك ، وان
ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم قول غير معهود في لغتهم ، وما
كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر ، انما كان هذا
طرفاً من حرب الدعاية التي شنوها على الدين الجديد وصاحبه في اوساط
الجاهلير ، معتمدين فيها على جمال النسق القرآني المؤثر الذي قد يجعل
الجاهلير تخلط بينه وبين الشعر اذا وجهت هذا التوجيه^(١) .

وهكذا جاءت لفظة الشعر هنا في معرض نفي ادعاء المشركين
ونفى لياقته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاختلاف منهجه عن
منهج النبوة .

ووردت هذه اللفظة في موضع آخر من القرآن على لسان
المشركين ايضاً ، حين تقولوا على رسول الله فنعتوه - بلا بينة -
بالشعر والجنون : (ويقولون ائنا كنا كوا آلهتنا لشاعر مجنون)^(٢)
ووصفوه بالشعر مرة أخرى ايضاً : (أم يقولون شاعرٌ نتربصُ
به ريب المنون)^(٣) .

ويأتي رد القرآن حاسماً على هذه التخريصات وتلك التقولات ،
فينفي عن القرآن شبهة الشعر التي اثاروها : (وما هو بقول شاعرٍ
قليلاً ما تؤمنون)^(٤) .

ان هذه الايات الخمسة التي اوردناها انما جاءت لتصوير موقف
المشركين ازاء القرآن وتأثيره في النفوس ، ثم للرد على تفسيراتهم

(١) في ظلال القرآن ٢٣ / ٣٤ .

(٢) الصافات آية ٣٦ .

(٣) الطور آية ٥٢ .

(٤) الحاقة آية ٦٩ .

ولتأكيد ان القرآن وحي من الله تنزل به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فجميعها اذن مسوقة لتنزيه الرسول (ص) عن ان يكون من الشعراء ، ولابطال زعم المشركين ان القرآن من قبيل الشعر كما اوضح جميع المفسرين . ان القرآن لم يتحدث في هذه الآيات الخمسة عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم ان يتعاطاه او يحرم ذلك عليه . وانما اورد لفظة الشعر والشاعر للتعريف بنفسه ، وللتفريق بينه وبين الشعر فحسب .

اما الموضوع الذي تناول فيه القرآن كلمة الشعر من حيث هو فن يمكن ان يستخدم في مواطن الخير أو الشر فقد جاء ذلك في قوله تعالى : (والشعراء يتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (١) .

ان القرآن لم يحارب الشعر لذاته في هذه الاحكام وانما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الاهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الاحلام المهوومة التي تشغل اصحابها عن تحقيقها (٢) .

لذلك جاء وصف الشعراء في القسم الاول من هذه الاحكام بانهم يجاريهم ويسلك مسلكهم ، ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن سنن الحق ، الحائرُونَ فيما يأتون ويذرون ، ولا يستمرون على وتيرة.

(١) الشعراء آية ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ١٩ / ١٢٠ .

واحدة في الافعال والاقوال ، وانهم في كل لغو يخوضون (ألم تر
أنهم في كل وادٍ يهيمون) وفي كل فن من القول ينظمون . قال
الحسن البصري : قد والله رأينا اوديتهم التي يخوضون فيها مرة في
شئمة فلان ومرة في مديحة فلان .

وقال قتادة : الشاعر يمدح قومًا بباطل ، ويذم قومًا بباطل .
(وانهم يقولون ما لا يفعلون) فهم يتبجحون باقوال و افعال لم تصدر
عنهم فيتكثرن بما ليس لهم .

ولهذا اختلف العلماء فيما اذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب
حداً ، هل يقام عليه الحد بهذا الاعتراف ام لا ؟ لانهم يقولون ما
لا يفعلون .

وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن
عدي على ميسان من ارض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

من مبلغ الحسناء ان حليلها
بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتي دهاقين قرية
وصناجة تجثو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالا كبر اسقني
ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم^(١)

(١) الجوسق : القصر . فارسي معرب .

فلما بلغ ذلك عمر قال : اي والله اني ليسوؤني ذلك .

ومن لقيه فليخبره اني قد عزلته . وكتب اليه : بسم الله الرحمن
رحم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب ، وقابل
التوب . شديد العقاب . ذي الطأول . لا اله الا هو اليه المصير .

اما بعد :

قد بلغني قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم
وايم الله . انه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته
بهذا الشعر . فقال : والله يا امير المؤمنين ما شربتها قط . وما ذاك
الشعر الا شيبى ، طفح على لساني . فقال عمر : اظن ذلك . ولكن
والله لا تعمل لي عملاً ابداً وقد قلت ما قلت . فلم يذكر انه حده على
الشراب ، مع تصريحه بذلك في شعره ، لان الشعراء يقولون ما لا
يفعلون^(١) .

وقيل ان هذه الآية نزلت في شعراء المشركين عبد الله بن الزبيري
وهبيرة بن ابي وهب ومسافع بن عبدمناف وابي عزة الجمي وامية
بن ابي الصلت . قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه
ويجتمع اليهم الاعراب ، يستمعون اشعارهم واهاجيهم ، ولذلك فهم
الغاوون الذين يتبعونهم^(٢) .

وبعد ان ينتهي القرآن من تقرير هذه الصفات للشعراء المشركين

(١) ابن سعد ٤ ق ١٠٣/١ «أورية»

(٢) الكشاف ٤٤٠/٢

ومن والا هم يعود ليستثني الشعراء المؤمنين الصالحين فبعد ان نزلت :
والشعراء يتبعهم الغاؤون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون . توجهه حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة
وكعب بن مالك الى الرسول (ص) وهم يبكون . قالوا : قد علم
الله حين انزل هذه الآية . انا شعراء فتلا النبي : الا الذين آمنوا و عملوا
الصالحات . قال : انتم . وذكروا الله كثيراً . قال : انتم . وانتصروا
من بعد ما ظلموا . قال : انتم ^(١) .

ويمكن ان ينسحب حكم هؤلاء الثلاثة على كل من كان على
الصفة التي وصف الله بها هؤلاء .

واوضح الزمخشري المرادين بهذه الصفات فقال : هم المؤمنون
الصالحون الذين يكثر ذكر الله ، وتلاوة القرآن وكان ذلك
اغلب عليهم من الشعر ، واذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء
عليه ، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ، ومدح
الرسول (ص) والصحابة وصلاح الامة ، وما لا بأس به من المعاني
التي لا يتلطفون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ، وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ^(٢) وليس لمصلحتهم الذاتية
واهوائهم الشخصية ولا انتصاراً لقبائلهم او جنسهم وانما هو انتصار
للحق وللقيم التي ينبغي ان يسخروا لها قابلياتهم ويجندوا اقلامهم
فالمؤمن يجاهد بسيفه ولسانه .

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٢/٣

(٢) الكشاف ٤٤١/٢

وبعد هذا العرض يمكن ان نستنتج ان القرآن قد ميز بين فريقين
من الشعراء .

فريق استغل فنه فيما ينافي هدى الدين وآدابه فهو الفريق المعيب
الذي حاربه القرآن . وفريق اتجه بشعره الى العمل الخير الجميل والى
نصرة الحق أنى وجد ، فهو الفريق الذي اخرجته من ذلك الوصف
العام ، وايده بكل ما اوتي من طاقة مادية ومعنوية .

فالقضية اذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والاغراض وليست
في الشعر ذاته لانه سلاح ذو حدين .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم
يوافق الحق منه فلا خير فيه .^(١)

(١) العمدة ٢٧/١ .

اعجاز القرآن

العجز لغةً الضعف، تقول عجز عن الامر اذا قصر عنه، واعجزني فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه، فهو ضد القدرة .

ومصدر الفعل اعجز الاعجاز، ومنه اخذت المعجزة، وهي اسم فاعل لحقته تاء التانيث للمبالغة^(١).

وقد اكتسبت هذه اللفظة معنىً اصطلاحياً بعد الاسلام، فهي في لسان الشرع امر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة^(٢).

ومعجزة كل نبي ما اعجز به الخصم عند التحدي، وهي عند ابن خلدون: افعال يعجز البشر عن مثلها، فسميت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد، وانما تقع في غير محل قدرتهم^(٣). وقد أسهب الباقلاني في شرح هذا المصطلح في اعجازه^(٤).

معجزات الانبياء

ومن المعروف انه ما من نبي يبعث في قوم إلا ومعه آية أو اكثر تدل على نبوته وتبرهن على صدق ما اتى به من عند الله، وطبيعي

(١) انظر اللسان والتاج مادة (عجز) .

(٢) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ١١٦/٢ .

(٣) المقدمة ص ٩ .

(٤) انظر اعجاز القرآن ص ٤٣٦ .

الا تكون هذه الآية مما في طوق احد من البشر ، ليكون ذلك
شاهد صدق على ما يقول ويدعي من صلة بالسماء .

و شاء الله ان تكون معجزة كل نبي من جنس ما يبرع فيه قومه ،
لكي تؤثر في نفوسهم ، وتستولي على عقولهم ، فيسرعوا بالتصديق ،
ويبادروا الى الايمان وهو ما يسعى اليه كل نبي مرسل .

فكانت معجزات موسى من جنس السحر الذي برع فيه قومه ،
فحمل اليهم عصاه التي انقلبت حية تسعى ، وضرب بها البحر فانفلق
عن طريق يبساً ، واعاد الضربة الى الحجر فانفجر منه الماء ، وسالت
العيون ، ومعجزته في يده التي كان يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء
من غير سوء .

و كانت معجزات عيسى (ع) في الطب الذي برع فيه قومه ،
فاحيا الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وحين بُعث محمد صلى الله
عليه وسلم في امة عُرفت بالفصاحة وتقديس الكلمة ، وكان ابناؤها
يتنافسون على الفصاحة والبلاغة والذلاقة ، ويتبحرون بذلك
ويتفاخرون بينهم ، كانت معجزته عليه السلام من حيث ما برعوا
فيه من بيان وفصاحة فتحدثهم بالقرآن ، وهو الغاية في الفصاحة
والبلاغة ، وقد نبه الى هذا من تحدث من العلماء عن الاعجاز .

فقال الجاحظ :

ولما كان اعجب الامور عند قوم فرعون السحر ، ولم يكن
اصحابه قط في زمان اشد استحكاماً منهم في زمانه ، بعث الله موسى
عليه السلام على إبطاله وتوهينه بكشف ضعفه واظهاره ، ونقض
اصله ، لردع الاغبياء من القوم ... لانه لو اتاهم بكل شئ ، ولم

يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة ، لكانت نفوسهم الى ذلك متطلعة ، ولا عتلّ به اصحاب الاشغال ، ولشغلوا به بال الضعيف .. كذلك زمن عيسى عليه السلام كان الاغلب على اهله ، وعلى خاصة علمائه الطب ، وكانت عوامهم تعظمهم على خواصهم ، فارسله الله عز وجل باحياء الموتى ، اذ كانت غايتهم علاج المرضى .. وبابراء الاكه ، اذ كانت غايتهم علاج الرمد ... وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم . كان أغلب الامور عليهم واحسنها عندهم ، وأجلها في صدورهم حسن البيان ، ونظم ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به ، فحين استحكمت لغتهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ، وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون انهم يقدرون على اكثر منه ، فلم يزل يقرّعهم بعجزهم ، وينقّصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لا قوياتهم وخواصهم ، وكان ذلك من اعجب ما آتاه الله نبياً قط^(١)

وتحدث الباقلاني عن توافق المعجزات مع دواعي الاحوال التي يكون عليها من تظهر فيهم المعجزة فقال :

والقرآن كتاب دل على صدق متحملة .. وبرهان يشهد له برهان الانبياء المتقدمين .. اذ كان من جنس القول الذي زعموا انهم ادر كوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ، فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ اقصى الممكن في العلاج والوصول الى اعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهرهم ، من احياء الموتى ، وبراء

(١) من رسالة (حجج النبوة) للجاحظ ص ١٤٤ وما بعدها .

الأكمة والابرس ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلقفت ما دققوا فيه
من سحرهم و أتت على ما اجمعوا عليه من امرهم ، وكما سخر لسليمان
الريح والطير والجن حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة وبدائع
اللطف .^(١)

وقال القاضي عبد الجبار بهذا الصدد: وعلى هذا الوجه رتب تعالى
المعجزات ، فجعل المعجز الذي اظهره على موسى ، مما الاغلب وضوحه
لاهل زمانه وانكشافه لهم ، فقد كانوا يتعاطون السحر ، فلما ورد
عليهم ما ورد من انقلاب العصا حية آمنوا ... و كذلك فعل تعالى
فيما اظهره على عيسى ، مما بهر عقول الاطباء ، في زمنه ... وعلى هذا
اجرى تعالى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في ان خصه بالقرآن ،
الذي هو مشا كل لصناعتهم وطريقتهم ، غير خارج عن الامر الذي
يشتهر به اهتمامهم ، ويقوى له افتخارهم ، وتظهر فضائلهم ومحاسنهم ..
ووجه الحكمة في ذلك ظاهر ، لانه لو اظهر على كل واحد منهم في
زمانه ما لا يخرج عن طريقتهم قويت البصائر ، وانكشف وجهه
التعذر ، فيكثر التصديق ، وتقل الشبه .^(٢)

وفي القرآن الكريم ما يؤكّد ان الله تعالى حين ابعث الرسول
صلى الله عليه وسلم جعل معجزته القرآن ، وبنى امر نبوته على ذلك
قال تعالى :

وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله^(٣)

(١) اعجاز القرآن ص ٤٥٨ .

(٢) القاضي عبد الجبار الاسد ابادي : المعنى في ابواب التوحيد ٢٠٥/١٦ .

(٣) التوبة : آية ٦

فلولا ان سماعه اياه حجة عليه لم يقف امره على سماعه ، ولا يكون حجة الا وهو معجزة ، وحين طالب المشركون رسول الله (ص) بالمعجزات كان رده تعالى عليهم (أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) ^(١) وهذه الآية صريحة في ان القرآن معجزة الرسول العظمى . وكذلك فقد كان الكشف عن وجوه اعجاز القرآن والتعرف على دلائله من الامور التي تفرغ لها علماء الاسلام ، وانصرفت اليها همم الباحثين ، فافردوا لها كتباً عديدة ، وخصص آخرون فصولاً طويلة لمعالجتها في مؤلفاتهم .

وقد ظهرت اهمية البحث في اعجاز القرآن في بداية القرن الثالث الذي ظهر فيه علم الكلام وانتشرت مذاهبه . وامتزجت فيه ثقافة الامة العربية بغيرها من الامم ، وتناول فيه بعض المارقين على كتاب الله ، وقالوا بتناقضه وشيوع اللحن فيه ، وبفساد نظمه ، وقد لخص ابن قتيبة هذه المطاعن التي قال بها اعداء الاسلام بقوله :

وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بافهام كليلية ، وابصار علييلة ، ونظر مدخول فحرفوا الكلم عن مواضعه وعدلوه عن سبله ، ثم قضوا عليه بالتناقض ، والاستحالة في اللحن ، وفساد النظم والاختلاف ، وأدلووا في ذلك بعلل ، ربما امالت الضعيف الغمر ، والحدّث الغر ، واعترضت بالشبه في القلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور . ^(٢)

(١) العنكبوت : آية ٥٠

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٧ وانظر المنى : فصل في الجواب عن مطاعن المخالفين .

في القرآن ١٦ / ٣٣٥ .

ونهض علماء الاسلام ومفكروه منافحين عن كتاب الله وعن اعجازه ، وفي مقدمة هؤلاء علماء الاعتزال الذين توسعوا في الحديث عن موضوع الاعجاز ومنهم رئيسهم ابو اسحق ابراهيم النظام^(١) - ٢٢٠ - و ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ٢٥٥ - الذي الف في ذلك كتابه (نظم القرآن) الذي يقول فيه الخياط : لا يعرف المتكلمون احداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه ، وانه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته غير كتاب الجاحظ^(٢) وله في الاعجاز اراء متناثرة بين ثنايا البيان والتبيين وفي الحيوان وله رسالة بعنوان (حجج النبوة) تحدث فيها عن الاعجاز^(٣) ولم يقتصر بحث الاعجاز على المعتزلة فقط ، فقد تعاوره العلماء المسلمون بالبحث ، والفوا فيه كتباً كثيرة . ففي القرن الرابع كتب عبد الله بن يزيد الواسطي - ٣٠٦ - كتاباً سماه : (اعجاز القرآن) ولم يصل الينا وقد شرحه الجرجاني شرحاً كبيراً سماه (المعتضد) وشرحاً آخر اصغر منه^(٤) و كتب علي بن عيسى الرماني - ٣٨٦ - رسالة في الاعجاز سماها - النكت في اعجاز القرآن - و كتب ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي - ٣٧٨ - رسالة بعنوان - بيان اعجاز القرآن .

ووصل بحث الاعجاز الى ذروته في القرن الخامس حيث كتب

(١) انظر الرافعي : اعجاز القرآن ص ١٤٤ .

(٢) ابن الخياط : الانتصار ص ١٥٤ .

(٣) نشرها السندوبي ضمن مجموعة رسائل الجاحظ .

(٤) الرافعي ص ١٥٣ .

ابو محمد بن الطيب الباقلاني - ٤٠٣ - امام المتكلمين ومقدم الاصوليين
كتابه - اعجاز القرآن - الذي اجمع المتأخرون من بعده على انه باب
في الاعجاز على حدة^(١) . وقد طبع مرات عديدة .

و كتب محمد بن يحيى بن سراقه - ٤١٠ - كتاباً في الاعجاز لم
يصل ، الينا ذكره حاجي خليفة وثمة كتاب ، في اعجاز القرآن
للامام محمد بن الهيصم .^(٢) وال ف في ذلك الشريف المرتضى - ٤٣٦ -
ولم يصل الينا كتابه^(٣) . و كتب عبدالقاهر الجرجاني - ٤٧١ - الرسالة
الشافية في اعجاز القرآن^(٤) ، وتكلم في الاعجاز ابن حزم الاندلسي
في كتابه الفصل في الملل والنحل ، وابن سنان الحفاجي - ٤٦٦ -
في كتابه - سر الفصاحة - ولم ينجل قرن من القرون التالية لهذا القرن
ممن ألف في الاعجاز او بحث فيه .

تفرد القرآن بالاعجاز :

وقد انفرد القرآن بالاعجاز من بين الكتب المقدسة الاخرى
كالتوراة والانجيل والصحف . فليس منها ما هو معجز في النظم
والتأليف ، وان كان معجزاً فيما يتضمن من الاخبار عن الغيوب ،
وانما لم يكن معجزاً لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن . ولأننا
قد علمنا انه لم يقع التحدي اليه كما وقع التحدي الى القرآن ، ولمعنى
آخر : وهو ان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع

(١) الرافعي : تاريخ اداب اللغة العربية ١٥٣/٢ .

(٢) البخارزي : دمية القصر ورقة ٣٦٤ .

(٣) مقالة عبدالعليم الهندلي في المجلة الاسلامية العدد ١ و ٢ سنة ٣٢

The Islamic Culture

(٤) نشرها خلف الله وسلام ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماني والخطابي

والجرجاني .

به التفاضل الذي ينتهي الى حد الاعجاز^(١) .

تأثير القرآن :

عاش المسلمون الاولون مع القرآن بافكارهم ومشاعرهم، وكانت تلاوته تشيع فيهم جواً روحياً غامراً. تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله^(٢)

وكان رسول الله (ص) يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٣) وكان يحب ان تستمتع كل حواسه بنشوة القرآن الروحية، فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) اقرأ عليّ . فقلت : اعليك اقرأ ، وعليك أنزل ؟ قال : فاني احب ان اسمعه من غيري ، قال ابن مسعود : فافتتحت سورة النساء ، فلما بلغت قوله تعالى : فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً^(٤) . قال فرأيت عينيه تذرفان ، فقال : حسبك .

وكان ابو بكر (رض) لا يملك دموعه اذا قرأ القرآن ، وصفت السيدة عائشة اباهما فقالت : كان رجلاً رقيقاً اذا قرأ القرآن استبكي^(٥) .

وهكذا كان بقية الصحابة ، يؤثر فيهم القرآن ، وتهزهم آياته (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً)^(٦) .

(١) الباقلائي ص ٤٤ .

(٢) الزمر : آية ٢٣ .

(٣) القرطبي : التذكار في افضل الاذكار ص ١١١ .

(٤) النساء : آية ٤١ .

(٥) ابن هشام ١٣/٢ .

(٦) الانفال : آية ٢ .

اما موقف العرب المشركين من هذا القرآن فهو الانبهار
 والحيرة ، فقد وجدوا له في انفسهم تأثيراً لا يقاوم ، لم يجدوه فيما
 سواه من الوان الكلام ، ولم يستطع فصحاءهم انكار روعته في
 النفوس ، وسلطانه على القلوب فحين جاء الوليد بن المغيرة قريشاً
 قال : ان الناس يجتمعون غداً بالموسم ، وقد فشا امر هذا الرجل في
 الناس فهم سائلوكم عنه فماذا تردون عليهم ؟ فقالوا : مجنون يخنق^(١)
 فقال : يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم !
 قالوا ، نقول : هو شاعر ، قال : هم العرب وقد رووا الشعر وفيهم
 الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر ، فيكذبونكم اقالوا نقول : هو كاهن ،
 قال : انهم لقوا الكهان فاذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة
 فيكذبونكم ! ثم انصرف الى منزله فقالوا : صبا الوليد - يعنون اسلم -
 ولئن صبا لا يبقى احد الاصبأ ، فقال لهم ابن اخيه ابو جهل بن هشام
 ابن المغيرة : انا اكنفيكموه ، فاتاه محزوناً فقال : مالك يا ابن اخي ؟
 قال : هذه قريش تجمع لك صدقة يتصدقون بها عليك تستعين بها على
 كبرك وحاجتك ، قال : اولست اكثر قريش مالاً ؟ قال : بلى
 ولكنهم يزعمون انك صبأت لتصقب من فضل طعام محمد واصحابه ،
 قال : والله ما يشبعون من الطعام فكيف يكون لهم فضول ؟ ثم
 أتى قريشاً فقال : أتزعمون اني صبأت ولعمري ما صبأت ، انكم قلتم
 محمد مجنون ، وقد ولد بين اظهركم لم يغب عنكم ليلة ولا يوماً ، فهل
 رأيتموه يخنق قط ؟ فكيف يكون مجنوناً ولم يخنق قط ؟ وقلتم :
 شاعر ، وأنتم شعراء فهل احد منكم يقول ما يقول ؟ وقلتم : كاهن .

(١) يخنق : حين يتكلم كأنه مخنوق بجبل .

فهل حدثكم محمد في شيء، يكون في غد إلا أن يقول: ان شاء الله! قالوا: فكيف نقول يا أبا المغيرة؟ قال: اقول هو ساحر. فقالوا: وأي شيء السحر؟ قال: شيء، يكون ببابل، من حذقه فرق بين الرجل واجرائه، والرجل وأخيه، أليس مما تعلمون، ان محمداً فرق بين فلان وفلانة زوجته، وبين فلان وابنه، وبين فلان وأخيه، وبين فلان ومواليه، فلا ينفعهم ولا يلتفت اليهم ولا يأتيهم؟ قالوا: بلى فاجتمع رأيهم على ان يقولوا انه ساحر، وان يردوا الناس عنه بهذا القول، وانصرف فمر باصحاب النبي (ص) منطلقاً الى رحله، وهم جلوس في المسجد فقالوا: هل لك يا أبا المغيرة الى خير؟ فرجع اليهم فقال: ما ذلك الخير؟ فقالوا: التوحيد، قال ما يقول صاحبكم إلا سحراً وما هو إلا قول البشر يرويه عن غيره، وعبس في وجوههم وبسر، ثم ادبر الى اهله مكذباً واستكبر حديثهم الذي قالوا له وعن الايمان، فانزل الله تعالى: انه فكّر وقدر فقتل كيف قدر^(١) والى تلك الحادثة تشير الآيات: ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالا ممدوداً، وبينين شهوداً، ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيده، كلا انه كان لاياتنا عنيداً، سأرهقه صعوداً: انه فكّر وقدر، فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم ادبر واستكبر فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، سأصليه سقر.^(٢) وروي انه حين قال له أبو جهل: فقل فيه (اي القرآن) قولاً يبلغ قومك انك كاره له، قال: وماذا اقول؟ فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده، ولا باشعار الجن،

(١) الجرجاني: الرسالة الشافية ص ١١١.

(٢) المدثر: الآيات ١١ - ٢٣.

والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله ان لقوله الذي يقول
حلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمشمر اعلاه ، مغدق اسفله ، وانه
ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته^(١) .

وروي ان عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - قال يوماً : ألا
اقوم الى محمد فاكله فاعرض عليه اموراً لعله يقبل منها بعضها ، فنعطيه
ايها شاء ؟ وذلك حين اسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا اصحاب النبي
(ص) يكثرون ، قالوا : بلى يا أبا الوائيد . فقام اليه - وهو صلى الله
عليه وسلم جالس في المسجد وحده - فقال : يا ابن اخي ، انك منا
حيث علمت من السُّطَّة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك اتيت
قومك بامر عظيم ، فرقت بين جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت
آلهتهم ، وكفرت من مضي من ابائهم ، فاسمع مني اعرض عليك اموراً
ينظر فيها لعلك ان تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله (ص) : قل .
قال : ان كنت انما تريد المال بما جئت به من هذا القول ، جمعنا لك
من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت تريد شرفاً سودناك
حتى لانقطع أمراً دونك ... حتى اذا فرغ ، قال له رسول الله (ص) :
وقد فرغت ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني ، قال : قل ، قال : بسم الله
الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته
قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون^(٢) ثم مضى فيها يقرؤها ، فلما سمعها عتبة انصت له ، والقي
يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله

(١) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ١١٧/٢ .

(٢) فصلت : آية ١-٢ .

(ص) الى السجدة منها فسجد ، ثم قال له : قد سمعت ما سمعت ، فانت
وذاك ، فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض . لقد جاءكم ابو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس قالوا : ما وراءك ؟ قال : ورأيت
اني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ، وما هو بالشعر ولا السحر
ولا الكهانة ، يا معشر قریش اطيعوني ، خلوا بين هذا الرجل وبين
ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ ، فان
تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهره على العرب به فملكه
ملككم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك بلسانه ا قال هذا
رأيت فاصنعوا ما بدا لكم^(١) .

والحوادث في ذلك كثيرة تدلل على تأثير القرآن في القوم ،
واستثارته بلبهم الى حد جعلهم يسترقون الاستماع اليه ارضاءً لفتنة
قلوبهم ببيانه ، ففي السيرة ان ابا سفيان بن حرب و ابا جهل و الاخنس
بن شريق .. خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلي
من الليل في بيته فاخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم
بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم
الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأيكم بعض
سفهائكم لا وقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة
الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع
الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ،
ثم انصرفوا ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال
بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم

(١) الرسالة الشافية : ص ١١٣ .

تفرقوا^(١) . وحين تأكد لهم سلطان هذا القرآن على النفوس ، وتأثيره في العقول ، تناهوا عن سماعه (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)^(٢) .

وقد سجل القرآن حيرة هؤلاء ، وتخبطهم في الاقوال فقال تعالى : (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين)^(٣) (بل قالوا اضغات احلام بل افتراه بل هو شاعر)^(٤) وقالوا : (ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آباءنا الاولين)^(٥) . وقالوا : يا ايها الذي نزل عليه الذكر . انك لمجنون)^(٦) .

وواضح قصد هذه الحملة الظالمة ، فهم يريدون انكار الرسالة ، وتجريد محمد (ص) من الصلة بالسماء ، ولما عجزوا عن تحقيق غايتهم ، قالوا ليس في هذا القرآن ما يعجز عنه احد منا ، ولو شئنا لقلنا مثله ، (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا اساطير الاولين)^(٧) .

ولم يجد القرآن بعد هذه الافتراءات والاكاذيب الا طريق التحدي لاطهار كذبهم ، واثبات عجزهم ، وذكر المفسرون ان اسباب نزول آيات التحدي انما كانت رداً على تلك الحملات والاكاذيب .

-
- (١) ابن هشام : السيرة النبوية ١ / ٣١٥ .
 - (٢) فصلت : آية ٢٦ .
 - (٣) سبأ . آية ٤٣ .
 - (٤) الانبياء : آية ٥ .
 - (٥) القصص : آية ٣٦ .
 - (٦) الحجر : آية ٦ .
 - (٧) الانفال : آية ٣١ .

فتحدهم في آيات كثيرة ان يأتوا بمثله (فليأتوا بحديثٍ مثله ان كانوا صادقين)^(١) ولما عجزوا عن ذلك تحدهم ان يأتوا ببعض منه (ام يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)^(٢) وحين عجزوا عن ذلك ايضاً تحدهم ان يأتوا بسورة واحدة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا قاتوا بسورةٍ من مثله ...)^(٣) .

وحيث بان عجزهم مع هذا التدرج في التحدي ، وعرف كل فصيح منهم انه لا قدرة لبشر على مثله اثبت الله عجز الخلق جميعاً عن الاتيان بمثله ، وانه انما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم^(٤) فقال : (قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً)^(٥) .

وقد اتفق اكثر المفسرين وعلماء البلاغة على ان التحدي انما وقع تدريجياً بالاصعب فالاسهل ، تحدهم اولاً ان يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، ثم تحدهم ان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ثم تحدهم بسورة مثله فعجزوا ،^(٦) وحين ثبت عليهم ذلك سد عليهم منافذ القول ، بتأكيده عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً .

ولم يستطع العرب تكذيب هذا التحدي ، ولو استطاعوا لفعلوا

(١) الطور : آية ٣٤ .

(٢) هود : آية ١٣ .

(٣) البقرة : آية ٢٣ .

(٤) الباقلائي : ص ٢٣ .

(٥) الاسراء : آية ٨٨ .

(٦) انظر مثلاً الرازي : التفسير الكبير واليبني : الطراز ٣/٣٧٠ والسيوطي

الاتقان ١١٧/٢ والرافعي : اهجاز القرآن ص ٨٨ .

فقد توفرت لديهم جميع اسباب الفصاحة والبيان ، مع الرغبة في تكذيب محمد (ص) والتخلص مما جاء به ، ولو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا ، وتوصلوا الى تخليص انفسهم واهليهم واموالهم من حكمه بامر قريب ، هو عادتهم في لسانهم ، ومالوف من خطابهم ، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال ، واكثر المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الاوطان ، وعن تسليم الاهل والذرية للسي ، فلما لم تحصل هناك معارضة منهم ، علم انهم عاجزون عنها ^(١) .

ولم يكن هذا التحدي خاصاً بعصر أو مصر ، وانما هو عام يشمل الازمان ، ويعم الاكوان ، فالقرآن معجزة عامة ، عمت الثقيلين وبقيت بقاء العصرين ، ولزوم الحجة بها في اول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد ^(٢) .

وثمة ظاهرة وهي ان كثيراً من ذوي اللسان العربي لا يحسون بمعجزة القرآن ، وعلة ذلك ان من كان من اهل اللسان العربي - الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهي الى معرفة اساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره - فهو كالا عجمي ، في انه لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن ... فاما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها ، فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة ، فليس يخفى عليه اعجاز القرآن ... وهذا كما يميز اهل كل صناعة صنعتهم ^(٣) .

(١) الباقلاني : ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧١ .

(٣) الباقلاني ص ١٧١ .

قدر المعجز :

وقد اختلف في قدر المعجز من القرآن ، فقليل ان اقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت او طويلة ، او ما كان بقدرها ومنهم من شرط الآيات الكثيرة . ومنهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة وذهب البعض الى ان كل سورة برأسها فهي معجزة^(١)

وجوه الاعجاز :

اختلف العلماء في وجه اعجاز القرآن ، وذهبوا في ذلك كل مذهب من القول ، واشهر هذه الاقوال :

١ - الصرفة :

وتعني ان الله صرف العرب عن معارضة القرآن والاتيان بمثله قبل التحدي ، مع قدرتهم على ذلك .
واختلف في وجه الصرفة ايضاً .

فهي عند النظام - الذي اشتهر بالقول بها اكثر من غيره - تعني صرف الدواعي عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به - القرآن - جبراً وتعجزاً ، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتيوا بسورة مثله بلاغة وفصاحة ونظماً^(٢) . ويحكى الأشعري عنه انه قال : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز ان يقدر عليه العباد ، لولا ان الله منعهم بمنع وعجز احدثها فيهم^(٣) .

(١) انظر الاراء في ذلك كتاب الباقلاني : ص ٣٨٧ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٩ .

(٣) مقالات الاسلاميين ص ٢٢٥ .

ولابن حزم الذي تأثر بالنظام في مسائل كثيرة ما يشبه هذا القول يقول: ولكن الاعجاز في ذلك انما هو ان الله عز وجل حال بين العباد وبين ان يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة.^(١)

وللجاحظ رأي يتفق مع رأي استاذه النظام كثيراً قال: رفع الله من اوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجد احداً طمع فيه^(٢) ويوضح الجاحظ كيف يصرف الله اوهام الناس عن المعارضة بقوله: ان الله يقدر على ان يشغل اوهام الناس كيف شاء، فيذكّر بما يشاء، وينسي ما يشاء، وهو لا يجلدني الدنيا وتدير اهلها ومجاري امورها وعاداتها^(٣).

ويفسر الرماني الصرفة بقوله: وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض اهل العلم في ان القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا احد وجوه الاعجاز^(٤) وهي عند الشريف المرتضى: ان الله صرفهم، بان سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة، فهذا الصرف خارق للعادة، فصار كسائر المعجزات^(٥) وهي عند ابن سنان الخفاجي نحو ذلك ايضاً، فرأيه ان وجه اعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا

(١) ابن حزم الاندلسي: الفصل في الملل والنحل ١/٨٦.

(٢) الحيوان ٤/٣١.

(٣) المصدر السابق ٤/٣٠.

(٤) النكت في اعجاز القرآن ص ١٠١.

(٥) الرافعي: اعجاز القرآن ص ١٦٢.

العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت صرامهم ذلك^(١) وقد تعرضت فكرة (الصرفة) الى مناقشات كثيرة ، وحاول العلماء الرد عليها ، وبرهنوا على بطلانها من عدة وجوه :

اولاً : انه لو كانت المعارضة ممكنة - وانما منَع منها الصرفة - لم يكن الكلام معجزاً ، وانما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه^(٢) ولا يمكن من جاء بعد اولئك العرب من الفصحاء ان يأتوا بمثله ، وهذا ما لم يحصل .

ثانياً : ان قول الله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سُلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم ، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى^(٣) .

ثالثاً : انهم لو كانوا صرفوا على ما ادّعاه القائلون بذلك لم يكن من قبلهم من اهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ، وعجيب الرصف ، لانهم لم يتحدوا اليه ، ولم تلزمهم حجته ، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم ان ما ادّعاه القائلون بالصرفة ظاهر البطلان^(٤) .

رابعاً : لو كانت الصرفة هي سبب الاعجاز ، لكان مهماً حط من رتبة البلاغة فيه ، وُمنع من مقدار الفصاحة في نظمه ، ابلغ في

(١) سر الفصاحة ص ١١٠

(٢) الباقلائي ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٣

(٤) الباقلائي : ص ٤٢ .

الاعجوبة اذا صـرفوا عن الاتيان بمثله ، و منعوا من معارضته ...
فكان يستغني عن ازاله على النظم البديع ، واخرجه في المعرض
الفصيح العجيب^(١) .

خامساً : لو كان عجز العرب عن معارضة القرآن متأثراً عن
الصرفه لما بهرتهم بلاغته ، وتعجبوا من فصاحته ، كما مر في كلام
الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ، ولتعجبوا من صرف الله لهم
عن معارضته ، ومن ذهاب قدرتهم على ذلك .

سادساً : ان القول بالصرفه يقتضي خروجهم عن العقل ، لانه
لا يخلو لو انصرفت دواعيهم من ان يكونوا كذلك ، مع علمهم بانهم
يقدرون على مثله ، او مع فقد هذا العلم ، ولا يجوز مع كمال عقولهم
ان يعرفوا ذلك مع كونهم قادرين عليه^(٢) .

واخيراً فان القول بالصرفه لا يختلف عن قول العرب (إن هو
الاسحرُّ يؤثر) وهذا زعم رده الله على اهله واكذبهم فيه ، وجعل
القول به ضرباً من العمر . (افسحرُّ هذا ام انتم لاتبصرون)^(٣) .

٢ -- الاخبار بالغيب :

وذهب بعض العلماء الى ان وجه الاعجاز ما تضمنه القرآن من
الاخبار بالغيب ، ويورد هؤلاء ايات كثيرة اخبرت بغيب قد وقع
منها (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون)^(٤) ففعل ذلك ووفى ما وعد نبيّه (ص)

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) المغني ١٦ / ٣٢٥ .

(٣) الرافعي : اعجاز القرآن ص ١٦٤ .

(٤) الصف : آية ٩ .

واظهر دينه على الاديان. ومنها (لقد صدقَ اللهُ رسوَّاه الرُّؤيا بالحق، لتدخلنَّ المسجد الحرام، ان شاء اللهُ آمنين، محلِّقين رؤسكم، ومقصرين، لا تخافون...) (١). فدخلوا كما اخبر. ومنها: (الم. غلبت الروم في ادنى الارض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) (٢) وقد غلب الروم كما اخبر في بضع سنين، وثمة آيات عديدة يوردها اصحاب هذا القول تعصيماً لما ذهبوا اليه، يقول الباقلاني: وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب يكثر جداً وانما اردنا ان ننبه بالبعض على الكل (٣).

وممن قال بالاخبار بالغيب الرُّماني فقد عدّه وجهاً مقبولاً في الاعجاز مع غيره من الوجوه قال: واما الاخبار الصادقة عن الامور المستقبله فانه لما كان لا يجوز ان تقع على الاتفاق دلّ على انها من عند علام الغيوب (٤).

وقال بهذا الرأي الباقلاني ايضاً وعدّه احد ثلاثة اوجه في الاعجاز قال في معرض تعديده لاوجه الاعجاز: والاخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه (٥) ويرى الزمخشري: ان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة (٦). ويؤيد هذا الوجه في اثناء تفسيره فيقول عند تعرضه لتفسير الآية (الذين جعلوا القرآن عضين)

-
- (١) الفتح: آية ٢٧ .
(٢) الروم: آية ٣٠١ .
(٣) اعجاز القرآن ص ٥٠ .
(٤) النكت في اعجاز القرآن ص ١٠٢ .
(٥) اعجاز القرآن ص ١٠٢ .
(٦) المكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٢٤٤ .

وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان^(١) واكد هذا الرأي في جميع آيات الاخبار بالغيب^(٢) .

ولم يسلم هذا الرأي من النقد والتعريض بل الرفض ، فالأخبار بالغيب ليس بالامر العام الموجود في كل القرآن ، وقد جعل الله في صفة كل سورة ان تكون معجزة بنفسها ، لا يقدر احد من الخلق ان يأتي بمثلها ، وليس الاخبار بالغيب واقعاً في كل سورة^(٣) .

٣ - الحديث عن الماضي بالانبياء الصادقة :

فقد كان معلوماً من حال النبي (ص) انه كان امياً لا يكتب ، ولا يحسن ان يقرأ ، وكذلك كان معروفاً من حاله انه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين واقاصيصهم وانبائهم وسيرهم ، ثم اتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمة الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام .. مما لا سبيل اليه الا عن تعلم ، واذ كان معروفاً انه لم يكن ملابساً لاهل الآثار وجملة الاخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ فيجوز ان يقع اليه كتاب فيأخذ منه ، علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي^(٤) ، ولذلك قال تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تحطه بيمينك ، اذا لا رتاب المبطلون)^(٥) وقال : (تلك من انباء الغيب ،

(١) المصدر السابق ٥٢٠/١ .

(٢) انظر الكشف ٤٢/١ و ٦٧ و ٢٦٢ و ١٨٤/٢ و ٣٨٧ مثلاً .

(٣) الخطابي ص ٢١ . وانظر المغني ٢٢٠ .

(٤) البانفاني ص ٥٠ والمغني ٢٢٠/١٦ وانظر القاضي عياض : الشفا في التعريف .

بحقوق المصطفى ٢١٧/١ .

(٥) المنكبات : آية ٤٨ .

توجيهها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ... (١)
ورد هذا الوجه كما رد الوجه السابق ، ذلك ان معظم القرآن
ليس قصصاً او اخباراً .

٤-- فلوله من التناقض :

فالقرآن معجز بزوال الاختلاف عنه ، والتناقض على ما يقتضيه
قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٢)
فان زوال الاختلاف والتناقض عن القرآن لو كان فعل غير الله تعالى
بعيد ، لان العادة لم تجر مثل ذلك في كلام العباد (٣) . قال بهذا الوجه
بعض مشايخ المعتزلة كما قال به القاضي عبد الجبار عندما أورد هذا
الوجه . وذكر هذا الوجه صاحب الطراز ولكنه نقضه بقوله : وهذا
فاسد لا وجه ... فالاجماع منعقد على ان التحدي واقع بكل واحدة
من سور القرآن ، وقد يوجد في كثير من الخطب والشعر والرسائل
ما يكون في مقدار سورة خالياً من التناقض ... ولانه لو كان الامر
كما قالوه في وجه الاعجاز لم يكن تعجبهم من اصل فصاحته ، وحسن
نظمه ، ولوجب ان يكون تعجبهم من اجل سلامته عما قالوه .. ولان
السلامة عن المناقضة ليس خارقاً للعادات (٤) ، ونقل الرازي هذا الوجه
ثم نقضه بقوله : ان صح هذا الوجه فيلزم حينئذ أن نعد كل ما يخلو

(١) هود : آية ٤٩ .

(٢) النساء : آية ٨٢ .

(٣) المغني ١٦ / ٣٢٧

(٤) العلوي اليمني : الطراز ٣ / ٣٩٣

من التناقض من كلام الناس معجزاً^(١) وقال بهذا الوجه الرافعي
ايضاً^(٢) .

٥- النظم والالوه والبرعة :

وهو الوجه الذي ارتضاه اكثر العلماء ، فقالوا : ان القرآن بديع
النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة الى الحد الذي يُعلم عجز
الخلق عنه^(٣) وللباقلائي فضل كبير في توضيح هذا الوجه وتفصيله .
ويعد الجاحظ من اسبق - ان لم يكن اسبق - من ذهب الى ان
القرآن معجز بنظمه ، قال : وفي كتابنا المُنزَل الذي يدلنا على انه
صدقُ نظمهِ البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك
من الدلائل التي جاء بها من جاء فيه^(٤) وقال بهذا الرأي بعد الجاحظ
الواسطي ٣٠٦ هـ - وقد الف في ذلك كتاباً اثبت فيه ان القرآن معجز
بالنظم ، وهو اول من جوّد الكلام في هذا المذهب^(٥) وممن ناصر
هذا المذهب بعده الرماني ٣٨٤ هـ الذي عرّف البلاغة بانها ايصال
المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ ، فاعلاها طبقة في الحسن
بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للعرب خاصة ، وأعلى طبقات
البلاغة معجز للعرب والعجم^(٦) . والخطابي ٣٨٨ هـ الذي يقول : فتفهم
الآن واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بافصح الالفاظ ،

(١) نهاية الايجاز ص ٦

(٢) اعجاز القرآن ص ١٦٦

(٣) الباقلائي ص ٥١

(٤) الحيوان ٣٢/٤

(٥) الرافعي ص ١٦٦

(٦) النكت في اعجاز القرآن ص ٦٩

في احسن نظوم التأليف ، مضمناً اصح المعاني^(١) وايد هذا المذهب
القاضي عبد الجبار فجعل اعجاز القرآن في جزالة لفظه وحسن معناه على
وجه لم تبلغه بلاغة العرب فخصه الله تعالى بطريقة خارجة عن نظمهم
ونثرهم ، وبقدر من الرتبة في الفصاحة خارج عن عادتهم^(٢) ، وتابع
الجرجاني هؤلاء ، وقرر ان وجه الاعجاز القرآني في النظم والتأليف^(٣)
وجاء الزمخشري بعده مؤيداً لهذا المذهب فقال : النظم .. هو ام اعجاز
القرآن ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته اهم ما يجب على
المفسر^(٤) وقد الف الزمخشري تفسيره ليقم ادلة الاعجاز وشواهد
من القرآن نفسه ، واكثر من تكلم في الاعجاز من المحدثين ايدوا
المذهب البياني في اعجاز القرآن . من هؤلاء الشيخ محمد عبده في
(رسالة التوحيد) ، والرافعي في اعجاز القرآن وامين الخولي في
(بحث البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها) وفي (التفسير) وسيد قطب
في (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن)
والكتابان الاخيران من انفس الدراسات القرآنية في العصر الحديث .

معارضة القرآنة :

خيل الى بعض الجهال من الملاحدة ان بإمكانهم معارضة القرآن
والايات بما يشبه كلام الله ، وفي ظنهم ان ذلك سيجمع حولهم
الانصار والاتباع ، (وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم) فادعوا
النبوة ، وشايعهم طائفة ممن لا إيمان لهم من اقوامهم حمية وعصبية ،

(١) بيان اعجاز القرآن ص ٢٤ .

(٢) المنقذ ١٦/٢٢٤ .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٠٠ .

(٤) الكشف ٢/٢٤ .

ومن اولئك مسيلمة بن حبيب الكذاب ، تنبأ في بني حنيفة باليامة ،
على عهد رسول الله (ص) ، وكتب اليه في السنة العاشرة للهجرة ،
اما بعد : فاني قد شوركت في الارض معك وانما لنا نصف الارض ،
ولقريش نصفها ، لكن قريشاً قوم يعتدون .^(١) وزعم هذا المتنبى ، ان
له قرآناً ينزل عليه من السماء يتنزل به ملك يدعى رحمن . ومن هذا
القرآن المزعوم . ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، أعلاك في
الماء ، وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين .^(٢)

ومن كان له ادنى قسط من العقل يدرك ما في هذا الكلام من
سخف وتهافت ، فهو دال على جهل مورده ، وضعف عقله ورأيه .
وكيف السجع وسخيفه ، وعلى انه لو كان معجزاً لتعلقت العرب
وأهل الردة به . وان مسيلمة نفسه لم يدع هذا الكلام معجزاً ،
ولا تحدى العرب بمثله فعجزوا عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل
سامع له اخف واسخف واذل من ان يتعلق به ، ولذلك لا نجد له
نبأ ، ولا احداً من العرب تعلق به .^(٣)

وهذا الكلام خالٍ من كل فائدة ، لا لفظه صحيح ، ولا معناه
مستقيم ، ولا فيه شيء من الشرائط الثلاث التي هي اركان البلاغة
وانما تكلف هذا الكلام الفث لاجل ما فيه من السجع ، والساجع
عادته ان يجعل المعاني تابعة لسجعه ، ولا يبالي بما يتكلم به اذا استوت
اساجيعه واطردت . ولخلو هذا الكلام من كل نوع من الفوائد

(١) الحيوان ٢٠٥/٦ .

(٢) الباقلائي : اعجاز القرآن ص ٢٣٩ .

(٣) الباقلائي : التمهيد ص ٢٨ .

قال ابو بكر رضي الله عنه حين طرق سمعه : اشهد ان هذا الكلام لم يخرج من بال .^(١)

ولهذا المتنبى ، كلام آخر لا يقل سخفاً عما أوردناه ، قيل بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص الى البحرين ، فتوفي رسول الله (ص) وعمرو هناك . قال عمرو : فاقبلت حتى مررت على مسيلمة فاعطاني الامان ثم قال : ان محمداً أرسل في جسيم الامور وارسلت في المحقرات ، فقلت : اعرض عليّ ماتقول . فقال : يا ضفدع نقي فانك نعم ماتنقين ، لا وارداً تنفرين ، ولا ماء تكدرين ، يا وبر ، يا وبر^(٢) ، يدان و صدر ، وسا ترك حضر نفر . ثم أتى اناس يختصمون اليه في نخل قطعها بعضهم لبعض فتسجى بقطيفة ثم كشف رأسه فقال : والليل الادهم ، والذئب الاسحم ، ما جاء بنو ابي مسلم من محرم ، ثم تسجى الثانية فقال : والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما حرمته رطبا الا كحرمته يابس . قد موا فلا اري عليكم فيما صنعتم شيئاً ، فقال عمرو : اما والله انك تعلم واينا لنعلم انك من الكاذبين ، فتوعدني . وقد صدق عمرو فانه لا يخالج احداً شك في ضلالة من هذا سبيله ، وسقوط من هذا برهانه ودليله ، واي بلاغة في هذا الكلام ؟ واي معنى تحته ، واي حكمة فيه ؟... ولكن البأس أعلم بنفسه حين يقول : ارسلت في المحقرات ، ولا يراد احقر مما جاء به واقل^(٣) . ويعلق الجاحظ على كلماته في الضفدع بقوله : ولا ادري ماهي ج مسيلمة على ذكرها ؟ ولم ساء رأيه فيها حتى جعل بزعمه

(١) الخطابي ص ٥١ . (٢) الوبر : دوية كالسنور .

(٣) المصدر السابق ص ٥٢ .

فما نزل عليه من قرآنه^(١)

ومن هؤلاء المتنبئين الذين ادّعوا كلاماً انزل عليهم من الله طليحة بن خويلد الاسدي ، تنبأ على عهد رسول الله (ص) وعظم امره بعد وفاته عليه السلام ، وكان يزعم ان ذا النون يأتيه بالوحي ، وقيل بل يزعمه جبريل ، ولم يدّع ان له قرآناً وانما كانت له كلمات يزعم انها انزلت عليه^(٢) منها قوله :^(٣) ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح ادباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً ، فان الرغوة فوق الصريح^(٤).

وفي أثناء حربه مع خالد بن الوليد سأله عيينة بن حصن وكان من اتباعه ، هل جاء ذو النون بشيء ؟ قال : نعم قد جاءني ، وقال لي : ان لك يوماً ستلقاه ليس لك أوله ولكن لك آخره ، ورحى كرحاه ، وحديثاً لا تنساه^(٥) وليس هذا الكلام بأقل سخفاً وحماسة من كلام مسيلمة .

أما سجاح بنت الحارث فقد تنبأت في اخوالها بني تغلب بعد وفاة رسول الله (ص) ، ولم تدّع قرآناً ، وانما كانت تزعم انه يوحى اليها بما تأمر ، وتسجع في ذلك سجعاً كقولها حين توجهت الى مسيلمة : عليكم باليامة ، ودّفوا دفيف الحمامة ، فانها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعد ملامة^(٦) . وليس هذا بأقل ركة واضطراباً من سابقها ، وما

(١) الحيوان ٥٣٠/٥

(٢) الرافعي ص ١٩٩

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٥٧٧/٣ (اوربية)

(٤) الرغوة : ما فوق اللبن ، والكلمة مثل جاء في العبارة حشواً .

(٥) معجم البلدان ٦٠١/١

(٦) الرافعي ص ٢٠١ .

كانت نبوتها إلاّ زفافاً على مسيلمة كما يقول الرافعي .
واتّهم الشاعر أبو الطيب المتنبي بأنه ادعى النبوة وعارض القرآن
واتّهم كذلك ابن المقفع ثم أبو العلاء المعري ، وقد نفى الرافعي هذه
التهمة عن هؤلاء الثلاثة ، وبرأهم مما نسب اليهم ، وأكد أنهم ابصر
بأنفسهم وبطبيعة الكلام الذي يعارضونه^(١) .



(١) انظر المصدر السابق ص ٢٠٢-٢١٢

الفخر

الفخر الاسلامي على نوعين ، فردي ذاتي يتحدث فيه الشاعر عن فضائله ، ويبين ما يمتاز به من كريم الخصال ومحمود الصفات ، وجماعي ، يوضح فيه محاسن قومه ويجلّي آثارهم ، ويشيد بهم ، أو يتحدث عن جماعة المسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد .

ويستغرق هذا الفن من الشعر الاسلامي اكثره ، وقد تطور على أيدي الشعراء الاسلاميين تطوراً كبيراً ، يمكن ان نلمسه اذا استقصينا المآثر التي فخر بها هؤلاء الشعراء ، فلم يعد يفخر احدهم باعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها ، أو كسب المغنم ، وسبي الاعداء ، بل بهداية الله والاعتزاز بإتباع الرسول (ص) وبالخلاص من عذاب النار ، ويبدو ذلك واضحاً في شعر قيس بن نسيبة السلمي حيث قال: ^١

تأبعتُ دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتي ولديني
ذاك امرؤ نازعته قول العدا وعقدت فيه يمينه بيمينني
قد كنت آمله وانظر دهره فالله قدر انه يهديني
اعني ابن آمنة الامين ومن به ارجو السلامة من عذاب الهون

وفخروا بنيل الشهادة في سبيل الله وتأيد الملائكة لهم في القتال وانتصار جند الله كما هو واضح في قول كعب بن مالك الأنصاري: ^٢

(١) الاصابة ٣/٢٥٠ .

(٢) الديوان ص ٢٥٥ .

ويوم بدر لقيناكم لنا ممدد^١ فيه مع النصر ميكال^٢ وجبريل
ان تقتلوننا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل
وقد فخرنا بالدين الجديد والايان بالله العلي القدير فقال عبد عمرو
ابن عبد جبل الكلبي :^(١)

اجبت رسول الله اذ جاء بالهدى
فاصبحت بعد الجهد لله أوحرا^(٢)
وودعت كذاب اللقاح وقد أرى
بها سدا عمري وللهو اصورا^(٣)
وآمنت بالله العلي مكانه
واصبحت للاديان ما عشت منكرا

ويفخر شاعر آخر اسمه العوام بن جهيل بهداية الله قومه بعدما
تهود الحائر من منهم وتنصروا واتبع آخرون منهم الاوثان فقال:^(٤)
من مبلغ عنا شامي قومنا ومن حل بالاجواف سرا وجهرا
بأنا هدانا الله للحق بعدما تهود منا حائر^٥ وتنصرا
وانا سرينا من يغوث وقربه يعوق وتابعاك ياخير الوري
وكانت مبايعة رسول الله (ص) من افضل ما فخر به الشعراء
فهذا بحر بن ضبع يفخر بمبايعة جده ومصافحته رسول الله (ص):^(٦)

-
- (١) الاصابة ٢/٢١٤
(٢) أوحرا : أغضب .
(٣) سدا : مولعا . اصورا : مائل
(٤) الاصابة ٣/٤١
(٥) اسد الغابة ١/١٦٦

وَجَدِّي الَّذِي عَاطَى الرَّسُولَ يَمِينَهُ وَخَبَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ رِوَا حَلَّهُ
وَفَخْرَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَصِيمٍ بَبِيْعَةِ أَبِيهِ وَعَمَّةِ وَبُوفُودٍ قَوْمِهِ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ (ص) فَقَالَ: ^(١)

عَصِيمٌ أَبِي زَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا وَعَمِّي سِوَاءَ قَلِّ هَذَا التَّفَاخِرِ
حَمَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ آثَا أَبِي بَخِيرٍ يُسَمُّو لَهُ كُلِّ نَاطِرٍ
وَمَا دَعَا دَاعٍ لَدَيْنَ مُحَمَّدٍ وَفَدْنَا فَمْنَا كَانَ أَيْمَنَ زَائِرٍ

وَمِنَ الْمَعَانِي الَّتِي فَخِرَ بِهَا الشُّعْرَاءُ الْمُسْلِمُونَ ذُو دِهِمِ الْمَشْرُكِينَ عَنِ
عَنِ الْكُفْرِ وَبَاعَانَةِ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: ^(٢)

يَذُودُونَنَا عَنِ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأْيٍ وَسَامِعٍ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غِيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَاسِعٍ
وَفَخْرٍ حَسَانٍ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمَشْرُكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا فَقَالَ: ^(٣)

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا

عَلَى دِينِهِ بِالْمَرْكَهَاتِ الصَّوَارِمِ

وَجَاءَ فَخْرُ عَرُوشِ بْنِ الْمَفْتَرِسِ الْأَسَدِيِّ مَوْكِدًا هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ: ^(٤)

نَحْنُ الَّذِينَ اعْتَصَبْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ حَتَّى اهْتَدَى طَائِعٌ مِنْهُمْ وَمَعشُورٌ ^(٥)
حَتَّى أَقَامُوا قَنَاةَ الدِّينِ وَاعْتَدَلُوا فَالسَّيْفُ عَبْدٌ وَقَلْبُ الْقَوْمِ مَشْهُورٌ

(١) الاصابة ٤٧٦/٢

(٢) الديوان ص ٢٣٠

(٣) ابن هشام ٥٦٦/٢

(٤) الاصابة ١٠٦/٣

(٥) معشور: أحق

ولم تمنع هذه المعاني الجديدة ان يفخر الشعراء ببعض المآثر التي
كان يفخر بها الجاهليون، فان الاسلام اقرّ كثيراً مما تعارف العرب
على الاعتزاز به كالحلم الذي لا يخالطه الجهل، واطعام الناس حين
يعمهم القحط، والجود بكل ما تحويه الايدي كما قال ابو صرمة
الانصاري: ^(١)

لنا صرم يزول الحق فيها واخلاق يسود بها الفقير
ونصح للعشيرة حيث كانوا اذا ملئت من الغش الصدور
وحلم لا يسوغ الجهل فيه واطعام اذا قحط العبير
بذات يد على ما كان فيها نجود به قليل او كثير
ومن هذه المعاني القوة والكرم كما قال كعب بن مالك في خير: ^(٢)

ونحن وردنا خبيراً وفروضها
بكل فتى عاري الاشاجع مذود ^(٣)
جواد لدى الغايات لا واهن القوى
جرىء على الاعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة
ضروب بنصل المشرفي المهند ^(٤)

(١) الاستيعاب ٤/١٠٧ .

(٢) الديوان ص ١٩٦ .

(٣) الفروض : المواضع التي يشرب منها من الانهار . الاشاجع : جم الاشجع
وهو العصب الممدود فوق السلامي من بين الرسغ الى اصول الاصابم فوق ظهر الكف .
عاري الاشاجع : من اشاجعه طارية من اللحم غير غليظة لممارسته الحروب . مذود :
شديد البأس في القتال .

(٤) المشرفي : السيف نسبة الى مشارف . المهند : السيف المنسوب الى الهند .

وفخروا بالوفاء، وهو من ابرز الخصائص التي عرف بها العربي في
الجاهلية فقال عقبة بن النعمان العتكي في حروب الردة: ^(١)

وفينا وفينا يفيض الوفاء وفينا مفرخ افراخه
كذلك الوفاء يزين الرجال كما زين الصديق شمراخه ^(٢)
وفينا لعمر وقلنا له وقد نفخ الراي نفاخه

وفخروا بالسيادة فقال حسان: ^(٣)

بني دارم لا تفخروا ان فخركم

يعود وبالاً عند ذكر المكارم ^(٤)

هبليتم علينا تفخرون وانتم

لنا خول ما بين ظئري وخادم ^(٥)

ومن تأكيده معنى السيادة قوله في مطلع هذه القصيدة:

هل المجد الا السؤدد العود والندی

وجاه الملوك واحتمال العظام

ونحس في فخر مسهر بن النعمان بن عمرو القرشي ضرباً من المبالغة

التي عرف بها الجاهليون حيث قال: ^(٦)

لكل اناس سلم يرتقى به وليس الينا في السلام مطلع

(١) الاصابة ١٠٨/٣

(٢) شمراخه : المشكال الذي عليه البسر .

(٣) ابن هشام ٥٦٦/٢

(٤) وبالاً : الثقل .

(٥) هبليتم : فقدتم وشكلتم . الظئر : التي ترضع ولد غيرها . وقد تأخذ على ذلك
اجراً ، وأصله الناقة تمطف على ولد غيرها .

(٦) الاصابة ٤٧١/٣

وينفر منا كل وحش وينتمي الى وحشنا وحش البلاد فيرتع
وتسود هذه النعمة الجاهلية فخر حسان فقد فخر بأيام قومه
الجاهلية وبماضيه الذي سبق الاسلام حيث يقول: ^(١)

ابن خالي خطيب جابية الجـو

لان عند النعمان حين يقوم ^(٢)

وأبي في سميحة القائل الفاصل

يوم التقت عليه الخصوم ^(٣)

وانا الصقر عند باب ابن سلمى

يوم نعمان في الكبول مقيم ^(٤)

وأبي وواقـد أطلقا لي

ثم رحنا وقفهم محطوم ^(٥)

ويكرر هذه المعاني والصور في أحد ايضاً فيقول: ^(٦)

ان تسألي الاقوام عني فاني

الى محمد تنمي اليه المحائد

انا الزائر الصقر ابن سلمى وعنده

ابي ونعمان وعمرو وواقـد

(١) ابن هشام ١٤٩/٢

(٢) خالي : يريد به مسلمة بن مخلد . الجابية : الحوض الصغير . الجولان :

موضع بالشام .

(٣) سميحة : بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج في حروبهم الى

ثابت بن المنذر والد حسان .

(٤) الكبول : القيود (٥) محطوم : مكسور

(٦) الديوان ص ١١٤

فاورثنا مجداً ومن يجن مثلها

بحيث اجتناها ينقلب وهو حامد

جدي خطيب الناس يوم سميحة

وعمي ابن هند مطعم الطير خالد^(١)

ولم ينس الشعراء اقوامهم ، فبروا بهم ، وذكروا ما آثرهم ، غير
ان فخرهم بهم لم يكن على اساس قبلي ، وانما باعتبارهم انصار الاسلام
وحملة دعوته الاوائل الذين اختارهم الله من بين البرية ليقودوا الناس
من الظلمات الى النور . قال كعب بن مالك الانصاري :^(٢)

الله أكرمنا بنصر نبيِّنا وبنّا أقام دعائم الاسلام

وبنّا أعزّ نبيّه ووليّه وأعزنا بالنصر والإقدام

في كل معترك تطير نفوسنا تلك الجماجم عن فراخ الهام^(٣)

نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام^(٤)

ومن ذلك فخر قيس بن سعد بن عبادة بقومه الانصار حيث
يقول :^(٥)

هذا اللواء الذي كنا نُخصّ به مع النبي وجبريل لنا مدد

ما ضرّ من كانت الانصار عيبته ان لا يكون له من غيرهم أحد^(٦)

(١) انظر قصيدة النابغة الجعدي في ديوانه ص ٦٠ . فقد زخرت بهذه المعاني
أيضاً .

(٢) الديوان ص ٢٦٨

(٣) فراخ : ولد الطائر . ويريد بها هنا الدماغ .

(٤) زمام : مقود .

(٥) اسد النابغة ٢١٦/٤

(٦) عيبة : وعاء من آدم يكون فيها المتاع والثياب .

وفخر بيجر بن عمران الخزاعي بقومه ايضاً معدداً من اياهم فقال: ^(١)

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا

ركام السحاب الهيدب المتراكب ^(٢)

وهجرتنا في أرضنا عندنا بها

كتاب لنا من خير مملٍ وكاتب

ومن اجلنا حلت بمكة حرمة

لندرك ثاراً بالسيوف القواضب

وجاءت قصيدة النعمان بن العجلان سجلاً كاملاً لمفاخر الانصار

حيث قال: ^(٣)

فقل لقريش نحن أصحاب مكة

ويوم حنين والفوارس في بدر

واصحاب أحد والنضير وخير

ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

ويوم بأرض الشام اذ قتل جعفر

وزيد وعبدالله في علق يجري

وفي كل يوم ينكر الكلب أهله

نطاء من فيه بالمتقففة السمير

ونضرب في يوم العجاجة اروساً

بييض كأمثال البروق على الكفر

(١) ابن هشام ٤٢٨/٢

(٢) المتراكب : الذي يركب بعضه بعضاً . الهيدب : المتداني من الارض .

(٣) الاستيعاب ٥٢١/٣

نصرنا وآوينا النبيّ ولم نخف
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقومٍ هاجروا مرحباً بكم
واهلاً وسهلاً قد أمنتُم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا
كقسمة أسرار الجزور على الشطر
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه
وكنّا اناساً نذهب العسر باليسر
وفخر بشر بن عرفطة الجهني بقومه يوم الفتح فقال: ^(١)
ونحن غداة الفتح عند محمد
طلعنا أمام الناس الفأ مقدا
ويوم حنين قد شهدنا هياجة
وقد كان يوماً ناقع الموت مظلماً

ويتضح هذا الاتجاه باجلى صورة في نحر العباس بن مرداس يوم
حنين فقد زخر فخره بالاعتزاز بقومه وبالاشادة بفضائل قبيلته حيث
قال مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(٢)

يا خاتم النبأ انك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله بنى عليك محبة في خلقه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم جند بعثت عليهم الضحاك

(١) الاصابة ١٥٤/١

(٢) ابن هشام ٤٦١/٢ .

الى ان يقول :

وبنو سليم معنقون امامه ضرباً وطعنا في العدو دراكا^(١)
يمشون تحت لوائه وكأنهم اسد العرين اردن ثم عمراكا^(٢)
ما يرتجون من القريب قرابة الا لطاعة ربهم وهو اكا
هذي مشاهدنا التي كانت لنا معروفة وولينا مولاكا

ويكرر هذه المعاني في قصيدة اخرى وفي اليوم نفسه فيقول:^(٣)

فهاك اذ نصر النبي بألفنا عقد النبي لنا لواء يلمع
فزنا برايته واورث عقده مجد الحياة وسودداً لا يُنزع
وغداة نحن مع النبي جناحه ببطاح مكة والقنا يتهزّع^(٤)
كانت اجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنّع^(٥)
نصر النبي بنا وكنا معشراً في كل نائبة نصر وننفع

ومن مفاخره في هذا اليوم ايضاً قوله:^(٦)

فجئنا بالف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا قراع الاعادي منهم والوقائع
امام رسول الله يُخفق فوقنا لواء كخذروف السحابة لامع^(٧)

(١) معنقون : مسرعون . دراك : متتابع .

(٢) المراك : المدافعة في الحرب .

(٣) ابن هشام ٤٦٢/٢ .

(٤) يتهزّع : يضطرب ويتحرك .

(٥) الحاسر : الذي لا درع عليه . والمقنّع : الذي على رأسه مفر .

(٦) ابن هشام ٤٦٣/٢ .

(٧) خذروف السحابة : طرفها . واراد به هنا سرعة تحرك هذا الهواء

واضطرابه .

ويصل به الفخر بقومه الغاية حين يقول: ^(١)

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد

وتلى الشباب وزار الشيب والزعر ^(٢)

واذكر بلاء سليم في مواطنها

وفي سليم لأهل الفخر مفتخر

قوم نصروا الرحمن واتبعوا

دين الرسول وأمر الناس مشتجر ^(٣)

وقد امتزج هذا الفخر بحماسة كان يستمدها الشعراء من
فروسياتهم فتحدثوا عن شجاعتهم وبطولاتهم كما كان يفعل الشعراء
الجاهليون. فجاء شعر خباب بن الارت صورة صادقة لبطولات
المسلمين في فتوح الشام حيث يقول: ^(٤)

نحن قفلنا كل وافٍ سبيله

من الروم معروف النجاد منطلق

ونحن طلقنا بالرماح نساءهم

وأبنا الى ازواجنا لم تطلق

وكم من قتيل ارهقته سيوفنا

كفاحاً وكف قدأطيحت واسوق ^(٥)

وتحدث كعب بن مالك عن بلائه وبلاء المسلمين في الحرب

(١) ابن هشام ٤٦٦/٢ .

(٢) الزعر : قلة الشعر .

(٣) مشتجر : مختلف .

(٤) الاصابة ١١٠/٣ .

(٥) اموق : جمع ساق .

وعن شجاعتهم في المعارك وتقتيلهم للعظماء حديث الابطال فقال: ^(١)

فساروا وسرنا فالتقينا كأننا

اسود لقاء لا يُرجى كليهما ^(٢)

ضربناهم حتى هوى في مكرنا

لمنخر سوء من لؤي عظيمها ^(٣)

فولوا ودسناهم ببيض صوارم

سواء علينا حلفها وصميمها ^(٤)

وتحدث سعد بن ابي وقاص حديث الفرسان الشجعان فصور

بلاءه بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ^(٥)

الاهل جا رسول الله اني حميت صحابتي بصدور نبل

اذود بها عدوم زياداً بكل حزنونة وبكل سهل

فما يعتد رام من معد بسهم مع رسول الله قبلي

وفي اثناء هذا الفخر كان الشعراء يأتون على وصف عدة الحرب،

وكانت هذه العدة محدودة تنحصر بالخييل والسيف والرمح والقوس

والدرع والسهم والنبل .

فخيول المسلمين كالأسود شجاعة ، عارية القوائم ، مكتنزة

اللحم ، نشيطة كأنها كلاب الصيد الضارية ، تردي العدو وتعود

بأسلابه ، خفيفة في الحروب ، عابسة عند لقاء العدو ، ولا تقتصر

(١) الديوان ص ٢٦٦

(٢) الكليم : الجرح

(٣) المكر : موضع الحرب . المنخر : ثقب الانف

(٤) حلفها : من كان حليفاً فيهم وليس منهم . الصميم : الخالص من القوم

(٥) الاستيماب ١٩/٢

فأثرتها على الحروب بل تتعداها الى اوقات السلم ايضاً ، فتحمي
المواشي ، وتصون الكلاب ، فهي للحفظ في السلم ، كما كانت للدفاع
والاغارة وقت الحرب ، قال كعب بن مالك :^(١)

ونزائماً مثل الثراح نما بها

علف الشعير وجزّة المقضاب^(٢)

عري الشوى منها وأردف نحضها

جرد المتون وسائر الأراب^(٣)

قوداً تُراح الى الصيّاح اذا غدت

فعل الضراء تُراح للكلاب^(٤)

وتحوط سائمة الديار وتارة

تردي العدى وتؤوب بالاسلاب^(٥)

حوش الوحوش مطارة عند الوغى

عُبس اللقاء مبينة الانجاب^(٦)

والمسلمون لا يطعمون خيولهم دفعة واحدة ، وانما يغرونها غراً
لثلاث ثقل بطونها فتتعثر في الجري ، وقد حذّتها القوم من صخر

(١) الديوان ص ١٧٨ .

(٢) النزائم : جمع نزيع ، وهي الخيول العربية التي انتزعت من ارضها وحملت
الى ارض اخرى . والسراح : الذئاب . جزّة المقضاب : ما يجز لها من نبات فتطممه .

(٣) الشوى : القوائم . النحض : اللحم . وجرد المتون : ملس الظهور .
والآراب : الأعضاء ، واحدها ارب .

(٤) قود : جمع اقود وقوداء ، وهو الفرس الطويل المنق . ترّاح : تنشط ،
والضراء : الكلاب الضارية للصيد . والكلاب : جمع كالب وهو الصائد صاحب الكلاب .

(٥) السائمة : الماشية المرسلّة في المرعى . وتردي : تهلك . تؤوب : ترجم .

(٦) حوش الوحوش : تطرد الوحوش . المطاردة : المستخفة .

الصحراء ، لا تقيم في ارض الا لتنطلق الى اخرى ، ولا تهدأ الا
لتنشط مرةً اخرى ، كما قال عبدالله بن رواحة :^(١)

جلبنا الخيل من أجأوفرع^(٢) تُغرّ من الحشيش لها العكوم^(٣)
حدوناها من الصوان سبتاً^(٤) أزل كأن صفحته اديم^(٥)
اقامت ليلتين على معان فاعقب بعد فترتها جموم^(٦)
فرحنا والجياد مسومات^(٧) تنفس في مناخرها السموم^(٨)
فعبّأنا اعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم^(٩)

وهي تامة الحلقة ، ليست كخيول الناس حتى في سني القحط ،
تنازع اعنتها اذا سمعت من يناديها ، وتصفي لمن يدعوها قال كعب
بن مالك :^(١٠)

نصبّحكم بكل اخي حروب وكل مطّهم سلس القيادة^(١١)
وكل طمرّة خفق حشاها تدفّ دفيف صفراء الجراد^(١٢)

(١) ابن هشام ٢/٣٧٥ .

(٢) أجأوفرع : جبلان لطيب . تغرّ : تطعم شيئاً فشيئاً . العكوم : جمع عكم
وهو الجنب .

(٣) حدوناها : جعلنا لها حذاء . الصوان : حجارة ملس . السبت : النعال التي
تصنع من الجلود المدبوغة . ازل : املس . الاديم : الجلد .

(٤) الفترة : الضعف والسكون . الجموم : اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة .

(٥) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة .

(٦) البريم : يريد ما علاها من الغبار فخالط لونه لونها .

(٧) الديوان ص ٢٢٦

(٨) مطهم : الفرس التام الخلق

(٩) الطمرّة : الفرس الخفيفة . وتدفّ : تسرع . صفراء الجراد : التي القت

بيضا فحفط طيرانها .

وكل مقلص الآراب نهـد تيم الخلق من آخر وهادي^(١)
 خيول لا تُضاع اذا أُضيعت خيول الناس في السنة الجراد^(٢)
 ينازعن الاعنة مصغيات اذا نادى الى الفزع المنادي^(٣)
 وهي تشير الغبار في العدو وتنازع اللجام عند الانطلاق ، حاملة
 رماحاً مشرعة نحو الاعداء فوق اكتافها كما وصفها حسان :^(٤)
 عدمنا خيلنا ان لم تروها تشير النقع موعدها كداء^(٥)
 ينازعن الاعنة مصغيات على اكتافها الاسل الظاء^(٦)
 اما القسي التي كان يستعملها المسلمون في حروبهم فهي مصنوعة
 من أحسن انواع الخشب ، خشب النبع الذي كان ينبت في قم الجبال
 وسهامهم مرشوشة بالسم ، لتصيب مقتلاً ممن تُصوب اليه كما قال
 كعب بن مالك :^(٧)

تهادي قسي النبع فينا وفيهم وما هو إلا الـيـثـري المقطـع^(٨)
 ومنجوفة حرمية صاعدية يذرّ عليها السم ساعة تُصنع^(٩)
 تُصوبّ بابدان الرجال وتارة تمر باعراض البصار تققع^(١٠)

-
- (١) الآراب : جمع اربة وهي قطعة اللحم . النهـد : الغليظ . الهادي : النقع .
 (٢) السنة الجراد : سنة القحط والجذب
 (٣) الاعنة : جمع عنان وهو اللجام
 (٤) ابن هشام ٢/٢٢٢ :
 (٥) النقم : الغبار . كداء : ثنية باعلى مكة
 (٦) مصغيات : مواثل منحرفات للطعن . الاسل : الرماح . الظاء : العطاش .
 (٧) الديوان ص ٢٢٦
 (٨) النبع : شجر تصنع منه القسي . الـيـثـري : الاوتار نسبة الى يثرب .
 (٩) المنجوفة : السهام المنقفة . الحرمية : نسبة الى اهل الحرم . الصاعدية :
 نسبة الى صانم معروف وقيل الى صعدة قرية في اليمن
 (١٠) تصوب : تقم . البصار : جم بصرة وهي الحجارة الينة . تققع : تصوت .

وللسيوف مكانتها في فخر المسلمين ، فهي بيض صارمة تكسر
سلاح الأعداء وان كان من حديد ، وتنحر منهم كل طالب للحرب
قال حسان :^(١)

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي^(٢) جُنن الحديد وهامة المرتاد^(٣)
يُورَد بجدها الأعداء كؤوس الموت ، فلا ينفل لها حد ، ولا
ينحني شكل ، تلمع بأيدي أبطال المسلمين كبرق الخريف :^(٤)

تعاور إيمانهم بينهم كؤوس المنايا بحد الطبين^(٥)
شهدنا فكنا أولي بأسه وتحت العماية والمُعَمِين^(٥)
بخرس حسان الرواء وبصرية قد أجمن الجفونا^(٦)
فما ينفلن وما ينحنين وما ينتهين اذا ما نُهينا
كبرق الخريف بأيدي الكمأة يفجعن بالطلّ هاماً سكوناً^(٧)

وتحدث الشعراء عن الرماح التي كانوا يحملونها في حروبهم
فنعتهوها بالاستقامة، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :^(٨)
فرحنا والجياد تجول فيهم بارماح مقومة الثقاف
فابنا غامين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف

(١) ابن هشام ٢٨٦/٢

(٢) تجتلي : تقطم . والجنن : جمع جنة ، وهي السلاح . المرتاد : الطالب
للحرب .

(٣) الديوان ص ٢٧٦

(٤) تعاور : تداول . والظيين : جمع ظبة وهي حد السيف

(٥) العماية السحابة

(٦) الخرس : التي لا صوت لها ، ويعني بها السيوف . الرواء : الممتلئة من الدم

بصرية : منسوبة الى بصرى من ارض الشام

(٧) الطل : ماطل من دمهم ، ولم يؤخذ لهم بالثار . السكون : المقيمات ، الثوابت

(٨) ابن هشام ٤٢٦/٢

وتحدثوا عن الدروع في مجال فخرهم فنسبوها الى نسج داود
وَتَبَّعَ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ: ^(١)

كانت اجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنَّع
في كل سابغة تخيير سردها داود اذ نسج الحديد وتبع ^(٢)

وقد بلغت هذه الدروع من السعة حداً مس الارض ما فضل
منها وهي تخشخش على ابدان المجاهدين كأنها غدير تصفقه الريح
فيجبي، ويذهب، وقد أحكمت بمسامير لامعة كأنها عيون الجنادب
قال كعب بن مالك: ^(٣)

في كل سابغة تخط فضولها كالنهي هبت ريحه المترقرق ^(٤)
بيضاء محكمة كأن قتيورها حدق الجنادب ذات شك موثق ^(٥)

ومعروف ان هؤلاء الشعراء حين كانوا يضيفون على اسلحتهم
احسن الصفات وينعتونها بأكل النعوت انما يفعلون ذلك للتدليل
على فضل حاملها وبطولته وبذلك ينفذون الى الفخر .

(١) المصدر السابق ٤٦٢/٢

(٢) السابغة : الدرع الكاملة . و سردها : نسجها . وتبع : من ملوك اليمن

(٣) الديوان ص ٢٤٥

(٤) تخط : ينجر على الارض ما فضل منها . النهي : الفدير من الماء .
المترقرق : الذي تصفقه الريح فيجبي ويذهب .

(٥) القتيير : مسامير الدروع . الجنادب : ذكور الجراد . الشك : إحكام

السررد .

المديح

لم يكن المديح في شعر الفترة الاسلامية كثيراً فقد كان يعده المسلمون مظهراً من مظاهر الأبهة والتعظيم والكبرياء ، وكل هذه الصفات مما نهى عنه الدين ، بل أوصى بضدها . فالنبي (ص) لم يكن راغباً في أن يمدحه الشعراء بما كان يُمدح به الملوك . بل كان همه أن ينصرف الشعراء الى تأكيد امور الدين الجديد ، والعمل على نشره بين الناس ، والتمكين له في الارض ، وحين تولى الخلفاء الراشدون الأمر بعده ، لم يتغير موقفهم ازاء المديح عن موقف الرسول (ص) فلم يُعرف عن أحد منهم انه كان يتخذ مجلسه ندوة للشعراء يتبارون في مدحه استزادة في عطائه - كما حصل فيما بعد - لذلك كان أغلب ما جاء من مديح الشعراء سياسياً فهو الى جانب العواطف الدينية التي سيطرت عليه كانت له اهداف سياسية آمن بها الشعراء ، ويريدون لمبادئها الانشار بين الناس . ومن هذه المبادئ التي حاول الشعر تأكيدها هداية الرسالة الاسلامية على نحو ما نرى في قول أسيد بن اناس في مدح رسول الله (ص) :^(١)

وأنت الفتى تهدي معداً لدينها بل الله يهديها وقال لك اشهد
وأكد حسان هداية صاحب الرسالة (ص) فقال :^(٢)

(١) أسد الغابة ١/٨٩

(٢) الديوان ص ٨١

وافٍ وماضٍ شهابٍ يستضاءُ به بدر أنار على كل الأماجيد^(١)
مبارك كضياء البدر صورته ما قال قضاء غير مردود
ويؤكد كعب بن مالك هذا المعنى ايضاً فيقول: ^(٢)

فيما الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضي، له فضل على الشهب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه وكذبوه فكنا أسعد العرب

ومن المبادئ التي كان يحاول الشعراء ارساءها في اذهان المسلمين
صلة الرسالة التي جاء بها محمد (ص) بالسماء وانها من عند الله وفي ذلك
يقول نخط الحمداني: ^(٣)

حلفت برب الراقصات الى منى صوادر بالر كبان من هضب قررد^(٤)
بأن رسول الله مصدق رسول أتى من ذي العرش مهتدي

وتناول كعب بن مالك هذا المعنى فوضح في شعره ان الوحي

كان يتنزل على رسول الله من عند الله تعالى فقال: ^(٥)

وفينا رسول الله نتبع أمره اذا قال فينا القول لانتطلع
تدلي عليه الروح من عند ربه يُنزل من جو السماء ويُرفع

واشار قيس بن طريف الى صلة رسالة محمد (ص) بالله وانه تعالى

هو الذي انزل عليه كتاباً فيه شرعة الاسلام فقال: ^(٦)

(١) الاماجيد : أي الاماجد وم الاشراف

(٢) الديوان ص ١٧٤

(٣) ابن هشام ٥٩٩/٢

(٤) الراقصات : الابل، والرقص ضرب من السير فيه حركة . وصوادر : رواجم

والقررد : ما ارتفع من الارض .

(٥) الديوان ص ٢٢٤

(٦) الاصابة ٢٤٢/٣

رسول من الرحمن يتلو كتابه وشرعته والحق لم يتلثم
واكد أصيد بن سلامة السلمي هذه الصلة فذكر ان الله تعالى هو
الذي اختار محمداً (ص) ليبلغ من في الارض رسالة السماء فقال: ^(١)
ان الذي سمك السماء بقدره حتى علا في ملكه فتوحدا
بعث الذي لا مثله فيما مضى يدعو لرحمته النبي محمداً
ومن تلك المبادئ الايمان بقيادة الرسول (ص) الحكيمة
والانقياد لها وتأكيدها على الاممة ، اذ جمعت الاممة بعد تفرق ،
واصلحته بعد خلل ، والى هذه المعاني يشير كعب في مدحه
الرسول (ص) : ^(٢)

لمّ الاله به شعناً ورمّ به امور امته والامر منتشر ^(٣)
وصور الشعراء مثلهم العليا من خلال مديحهم وتعيدهم صفات
الممدوحين ، لانهم لم يصطنعوا المديح لمكسب او جاه وانما كان من
اجل فكرة آمنوا بها ، وعقيدة التزموا مبادئها ، فجاء مديحهم متأثراً
الى حد بعيد بما جاء به الاسلام من مناقب تختلف عما كان يمدح به
الشعراء الجاهليون ، ومن هذه المناقب الجديدة العدل في السيرة
والالتزام بالحق والى ذلك يشير كعب بن مالك في مدحه رسول
الله (ص) : ^(٤)

الحق منطقته والعدل سيرته فمن يجبه اليه ينبج من تب ^(٥)

(١) اسد القابة ١٠١/١

(٢) الديوان ص ٢٠٨

(٣) الشعث : بفتح العين او سكونها انتشار الامر وخله . رم : اصلح

(٤) الديوان ص ١٧٤

(٥) التبب : الحمران والهالك

ومدح حسان الرسول (ص) بذلك فقال: ^(١)
فمن كان او يكون كأحمد نظامٌ لحق أو نكال للمحد
واوضح النابغة الجعدي هذا الالتزام بالحق والمساواة بين الناس
في سيرة عبد الله بن الزبير حين مدحه فقال: ^(٢)

وسويت بين الناس في الحق فاستووا
فعاد صباحاً حالك الليل مظلم

ومن تلك المناقب التي مدحوا بها ، الصدق في الدعوة وتبليغ
الرسالة الحق ، والى ذلك يشير رافع بن عمير في مدحه الرسول (ص): ^(٣)

فالفيت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب
فبشّرني بقول الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب

ومن المناقب الجديدة التي مدح بها الشعراء رسول الله (ص)
ما كان وسيلة ناجحة الى التبشير بمبادئ رسالته ، من ذلك قولهم بانه
رحمة للعباد كما جاء في شعر قيس بن طريف: ^(٤)

نبيٌ تلاقيه من الله رحمة فلا تسألوه أمر غيب مرّجّم
ومنها أن إتباعه هداية ورشد ، والصد عنه كفر وضلال يقول
كعب بن مالك: ^(٥)

فمن يتبعه يُهد لكل رشد ومن يكفر به يُجز الكفور

-
- (١) الديوان ص ١٠١
(٢) شعر النابغة الجعدي ص ٢٠٥
(٣) أسد الغابة ١٥٦/٢
(٤) الاصابة ٢٤٢/٣
(٥) الديوان ص ٢٠٣

فيه جماع الخير والنبوة ، وهو شفيع المؤمنين يوم القيامة كما وصفه عبد الله بن رواحة حيث قال :^(١)

اني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
وتطرق الشعراء في معرض مدحهم رسول الله (ص) الى معجزاته
التي كانت من أدلة نبوته فذكروا قصة الرسول وأبي بكر مع أم
معبد^(٢) وهما في طريق الهجرة :^(٣)

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتي أم معبد^(٤)
هما نزلاها بالهدى واهتدى به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد^(٥)
فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد^(٦)
ومدحه كعب بن مالك باثبات بعض معجزاته ايضاً فقال مقارناً
اياها بما كان للانبياء عليهم السلام منها :^(٧)

(١) أسد الغابة ١٥٧/٣

(٢) قصتها مع الرسول (ص) مشهورة مروية من طرق عديدة في الصحاح
والسنن .

(٣) ديوان حسان ص ٨٦

(٤) الرفيقان : هما الرسول (ص) وأبو بكر (رض) . قالا : نزلا وقت القيلولة
وهي الظهيرة .

(٥) حائل : لم تحمل . الصريح : اللبن الخالص . مزبد : علاه الزبد .

(٦) مصدر ثم مورد : اي يحلبها مرة بعد اخرى .

(٧) الديوان ص ٢٧٠

فان يكُ موسى كلم الله جهرَةً
 على جبل الطور المنيف المعظم^(١)
 فقد كلم الله النبي محمداً
 على الموضع الأعلى الرفيع المسوم^(٢)
 وان تكُ نمل البر بالوهم كلمت
 سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمى
 فهذا نبي الله أحمد سلّمت
 صغار الحصى في كفّه بالترنم^(٣)

وقد عدّ الشعراء الاقتداء برسول الله (ص) والسير على نهجه
 الشريف من المحامد التي يمدح بها الرجال لأن فيه الاسوة الحسنة لمن
 أراد الفوز ، فقد مدح حسان بن ثابت الزبير بن العوام بهذه الخصال
 حين قال :^(٤)

أقام على عهد النبي وهديه حوارثيه والقول بالفعل يُعدل
 أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق أعدل
 وكان تطبيق أحكام القرآن والشريعة الغراء من أبرز المآثر التي
 يمدح بها الحكماء وبهذه المآثرة مدح عمرو بن عاصم التميمي عثمان بن
 عفان فقال :^(٥)

(١) يشير هنا الى قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) الآية ١٦٤ من النساء .

(٢) المسوم : الملم . ويشير هنا الى معراج الرسول (ص)

(٣) الترنم : ارجاع الصوت . وانظر تفصيل هذه المعجزة في دلائل النبوة لأبي

نعيم ١٥٤/٢

(٤) الديوان ص ٣٣٨

(٥) الطبري ١٧٢/٤

ان ابن عفان الذي جربتم فطم اللصوص بمحكم القرآن
ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً في كل عنق منهم وبنان
والى جانب هذه المآثر الاسلامية الجديدة مدح الشعراء بمآثر
جاهلية وبقويم كان يجلبها جميع العرب ويحترمونها، وحين جاء الاسلام
أقرها ونماها، ومن هذه المعاني، الوفاء، والكرم وهما خلتان عُرف
العرب بالتمسك بهما ومدح من يلتزم بهما، قال مالك بن عوف يمدح
رسول الله (ص) بهاتين السجيتين: ^(١)

ما ان رأيت ولا سمعت بما ارى

في الناس كلهم بمثل محمد

اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى

متى تشأ ينبرك عمّا في غد

وعندما ورد نفر من الانصار من بني سلمه الى رسول الله (ص)
قال لهم: من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه. فقال
رسول الله (ص): واي داء أدوى من البخل بل سيدكم الجعد الابيض
عمرو بن الجموح فقال شاعر الانصار في ذلك:

وقال رسول الله والحق قوله لمن قال منا من تسمون سيدا

فقالوا له جد بن قيس على التي نبخله فيها وان كان اسودا

فتى ما تخطى خطوة لدنية ولا مد في يوم الى سواة يدا

فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمره بالندى ان يسودا

اذا جاءه السؤال اذهب ماله وقال خذوه انه عائد غدا ^(٢)

(١) اسد الغابة ٤/٢٩٠

(٢) المصدر نفسه ٤/٩٣

ومدح كعب بن مالك بن هاشم بهذه المأثرة ايضاً حين اثبت لهم
الكرم في وقت القحط وإجمال الزمن فقال: ^(١)

بيض الوجوه ترى بطون اكنفهم

تندى اذا اعتذر الزمان الممحل ^(٢)

ومدح حسان رسول الله (ص) بالجود حين ذكر انما فضل الله
رسوله على العباد بالجود والتقوى فقال: ^(٣)

اعني الرسول فان الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود

ومدحوا بالوفاء الذي عُرف به العرب فقال كعب بن مالك يمدح
نقباء العقبة بالوفاء والمحافظة على العهد فقد جعل السم دون اخفار
العهد عندهم فقال: ^(٤)

وايضاً فلا يعطيكه ابن رواحة واخفاره من دونه السم ناقع

وفاء به والقوقلي ابن صامت بمندوحة عما تحاول يافع

ابو هيثم ايضاً وفي مثلها وفاء بما اعطى من العهد خانع

ومن هذه المناقب السيادة ، التي كان يحرص عليها العربي حرصه
على حياته ، فقد مدح كعب بن زهير الانصار باثبات سيادتهم التي
ورثوها كابراً عن كابر قال: ^(٥)

ورثوا السيادة كابراً عن كابر ان الخيار هم بنو الاخيار

(١) الديوان ص ٢٦٣

(٢) تندى : تبطل وهي كتابة عن الكرم . الممحل : الشديد القحط

(٣) الديوان ص ٨٠

(٤) الديوان ص ٢١٩

(٥) الديوان ص ٣٢

ومدح كعب بن مالك آل هاشم بالسيادة ايضاً فقال: (١)
قومٌ لاصلهم السيادة كلها قدماً وفرعهم النبي المرسل
اما الشجاعة وهي من اكبر مفاخر العربي في الجاهلية فكانت
من ابرز السجايا التي مدح بها شعراء الاسلام ، فرسول الله (ص)
يمضي الى الهول حين يتراجع الابطال الصناديد كما يقول حسان: (٢)

ماضٍ الى الهول ركّابٍ لما قطعوا

اذا الكفاة تحاموا في الصناديد

واذا اشتدت الحرب وحمي الوطيس كان رسول الله ليثها الخادر

بيدفع عن المسلمين كأنهم اشباله كما يقول مالك بن عوف: (٣)

واذا الكتيبة عرّدت انيابها بالسهمريّ وضرب كل مهند (٤)

فكأنه ليث على اشباله وسط الهباءة خادر في مرصد (٥)

ومدح الحجاج بن علاط السلمي علي بن ابي طالب بالشجاعة

حين توجه الى صاحب لواء المشركين يوم احد طلحة بن ابي طلحة

بطعنة نجلاء اردته صريعاً فقال: (٦)

(١) الديوان ص ٢٦٢

(٢) الديوان ص ٨٠

(٣) ابن هشام ٤٩١/٢

(٤) عرّدت انيابها : قويت واشتدت . السهمري : الرمح . المهند : السيف

(٥) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الاسد في عرينه وهو حينئذ اشد ما يكون بأساً لخوفه على اشباله يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ، يصفه باليقظة

(٦) ابن هشام ١٥١/٢

لله اي مذنب عن حرمة اعني ابن فاطمة المعمر المخولا^(١)
سبقت يداك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدلاً^(٢)
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالجرّ اذ يهوون اخول اخولا^(٣)
وحين مدح كعب بن زهير المهاجرين تكلم عنهم بنهج جاهلي
ترسم فيه خطى سالفيه ، ولولا كلمة اسلموا لما احسنا انه يمدح
قريشاً بعد اسلامها قال :^(٤)

في عصابة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما اسلموا زولوا^(٥)
زالوا فما زال انكاس ولا كُشِف
عند اللقاء ولا ميل معازيل^(٦)
شمّ العرانيين ابطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سراويل^(٧)
بيض سوابغ قد شكت لهم حلق
كأنه حلق الفقهاء مجدول^(٨)

-
- (١) المذنب : الدافع . المعمر : الكريم الاعمام . المخول : الكريم الاخوال
(٢) المجدل : اللاصق بالارض
(٣) الباسل : الشجاع . الجر : اصل الجبل . واخول اخولا : اي واحداً
بعد واحد .
(٤) الديوان ص ٢٣
(٥) زولوا : هاجروا واتركوا البلاد
(٦) انكاس : ضعفاء كشف : جم اكشف وهو الذي ليس معه توس . ميل :
جم أميل وهو الذي لا يحسن الفروسية . معازيل : جم مزال وهو الذي لا
سلاح معه .
(٧) شم العرانيين : انوفهم عالية
(٨) الفقهاء : نبات ينبسط على الارض له حلق كحلق الدروع

لا يفرحون اذا نالت رماحهم
قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا
لا يقع الطعن الا في نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليل^(١)

واخيراً فلو رحنا نتبع الاسماء التي خصها شعراء الفترة الاسلامية
بالمدح لما وجدناها تزيد على عدد اصابع اليدين، لان الشعراء في تلك
الفترة كما ذكرنا في اول الموضوع لم يتخذوا من المديح وسيلة للرزق
او جمع الاموال، ولم يصطنعوه سلماً يرقى بهم الى ما ينبغي غيرهم
من عرض الدنيا وجاهها، فكان كل من مدحوه تتمثل فيه الفكرة
التي آمنوا بها ووهبوا لها حياتهم وفنهم، فلا غرابة ان يكون اول
مدوحهم صاحب تلك الفكرة ومبلغ الرسالة، محمد صلى الله عليه
وسلم، فكان مدحهم له صادراً عن حب صادق، وايمان عميق،
وعقيدة راسخة.

(١) تهليل : تمكيد . يقال : هلل الرجل اذا جبن في حملته . وقيل : هلل

الرجل اذا هرب .

الهجاء

لقد سُهر سلاح الشعر بجانب سلاح الحرب منذ بدأ الصراع بين
الاسلام وخصومه، فتلاحم الفريقان باللسان كما تلاحما بالسنان ودفع
كل فريق بشعرائه الى المعركة. ويصور حسان ذلك في شعره
فيقول: ^(١)

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فنحكّم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وحين توفّر شعراء الكفر على هجاء الرسول والاسلام أدرك
الرسول ما لهذا السلاح من أثر في تعويق الدعوة وتنفير الناس من
الدين الجديد، فحاول إيقاف تأثيره باخماد انفاس من تصدّى لهذه
المهمة من المشركين فأهدر دم كثير من الهجائين المشركين، فأمر
بقتل عصماء بنت مروان التي كانت تقول شعراً تعيب فيه الاسلام
وتحرّض على النبي (ص)، قتلها عمير بن عدي الخطمي. ^(٢) وعندما هجا
أبو عفاك من بني عمرو بن عوف المسلمين قال رسول الله (ص): من
لي بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير فقتله. ^(٣) وأمر بقتل كعب بن
الاشرف اليهودي الذي كان يهجو الرسول وأصحابه، ويحرض عليهم
كفار قريش، ويشبّب بنسائهم. إذ قال: اللهم اكفني ابن الاشرف

(١) الديوان ص ٦

(٢) انظر ابن هشام ٦٣٧/٢

(٣) ابن هشام ٦٣٥/٢

بما شئت ، في اعلانه الشر ، وقوله الاشعار . ثم قال : مَنْ لي بابن
الاشرف فقد آذاني . فقال محمد بن مسلمة : أنا به يا رسول الله . وأنا
أقتله ، قال : فافعل^(١) ولما جاءته اليهود تشكو قتله . قال لهم : لو فرّ
كما قد فرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه نال منّا الأذى ،
وهجانا بالشعر ، ولم يفعل ذلك أحد منكم إلاّ كان السيف .^(٢)

واضافة الى هذا الاجراء الحازم ندب الرسول (ص) من توّسم
فيه القدرة من أصحابه لهجاء المشركين . فحين انهزم المشركون يوم
الاحزاب قال : ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم
وتسمعون منهم أذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟
فقام عبد الله بن رواحة فقال أنا فقال : انك لحسن الشعر . ثم قام كعب
ابن مالك فقال : أنا ، فقال : وإنك لحسن الشعر^(٣)

وعندما هجا كعب المشركين باحدى قصائده . قال صلى الله عليه
وسلم : والذي نفسي بيده ، لهي أشد عليهم من رشق النبل .^(٤)

وقد أثرت هذه العناية من لدن رسول الله (ص) فمما فن الهجاء
وازدهر على أيدي الشعراء المسلمين .

ويكون الهجاء عادة - كالمديح والفخر - فردياً خاصاً بشخص
معين أو جماعياً يشمل القبيلة والقوم والجماعة . وقد شمل الهجاء
الاسلامي هذين النوعين وهو في كلا النوعين لم يكن تسرعاً بالشعر

(١) امتاع الاسماع ١٠٨/١

(٢) المصدر السابق ١١٠/١

(٣) الاغانى ٣٠/١٥

(٤) زهر الاداب ٥/١

الى أعراض الناس أو قذفاً بألوان الشتائم والمساوى ، بل هجاء لمن
ضلّ عن طريق الحق وتنكّب سبيل الهداية .

اما معانيه فهي المعاني السلبية التي تقابل المثل والمناقب التي كان
الشعراء يبنون عليها معاني مدحهم ، وهذا الاسلوب هو اهجى
الاساليب فكلمة كثرت أضداد المديح في الشعر كان اهجى كما يقول
قدامة بن جعفر .^(١) وطبيعي أن تكون هذه المعاني مما يأنفه العربي
وتنكره بيئته . ولذلك جاء مصوراً للمثل الجاهلية قليل التأثير بالمثل
الدينية الجديدة . ومن هذه المعاني الجاهلية نقض العهد . قال حسان
يهجو هذيلاً بغدرهم في يوم الرجيع :^(٢)

هم غرّوا بدمتهم خبيلاً فبئس العهد عهدهم الكذوب

وقال كعب بن مالك يعير بني جعفر في حادثة بئر معونة :^(٣)

تركتهم جاركم لبني سليم مخافة حربهم عجزاً وهوناً^(٤)

(١) نقد الشعر ص ٥٥

(٢) الديوان ص ٥٧

(٣) الديوان ص ٢٧٨

(٤) جاركم : م المسلمون الذين عقد لهم ابو براء جواراً بعد ان قدم على رسول
الله (ص) فمرض عليه الرسول الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يبعد من الاسلام ،
وقال : يا محمد لو بعثت معي رجلاً من اصحابك الى اهل نجد فدعوم الى امرك ،
رجوت ان يستجيبيوا لك ، فقال رسول الله (ص) : اني اخشى عليهم اهل نجد . فقال
ابو براء : انا لهم جار فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من اصحابه ،
فنزّلوا بئر معونة وهي ارض بني عامر وحرّة بني سليم ، ثم بعثوا احدم بكتاب رسول
الله (ص) الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله
ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فابوا ان يجيبوه وقالوا : لن نخفر ابا براء ، قد عقد لهم
عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم من قبائل سليم فاجابوه الى ذلك ، ثم رجعوا اليهم
فقتلوا من آخرم الاكعب بن يزيد افلت من القتل .

هوناً : هواناً . وبنو سليم : م الذين استصرخهم عامر بن الطفيل على المسلمين فاجابوه .

فلو حبلاً تناول من عقيل لمد بحبلها حبلاً متيناً^(١)
او القُرطاء ما ان اسلموه وقدما ما وآفوا اذ لا تفوناً^(٢)
ومن هذه المعاني انحطاط الشأن والقصور عن بلوغ المعالي ،
قال عمرو بن عبد ود بن الحارث يهجو عبد الله بن خالد بن اسيد :^(٣)
قصرت يا عبد الاله عن العلا سيكفيك ما قصرت عنه سعيد
وقال حسان يعير هذيلاً بانحطاط الشأن :^(٤)

فلا والله ما تدري هذيل أمحض ماء زمزم ام مشوب
وما لهم ان اعتمروا وحجوا من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم المبين والعيوب
وقال النابغة الجعدي يهجو السعدي معيراً اياه بتأخره عن كل
مفخرة وقصوره عن بلوغ العليا والمجد :^(٥)

اذا ذكر السعدي نفراً فقل له تأخر فلم يجعل لك الله مفخراً
فان تُرد العليا فلست باهلها وان تبسط الكفين للمجد تقصراً
اذا ادلج السعدي ادلج سارقاً فاصبح مخطوماً باؤم معذراً^(٦)
ومن تلك المعاني الخيانة ولؤم الطبع وانحطاط الخلق ، وبهذه
المثالب هجا حسان الحارث بن هشام فقال :^(٧)

-
- (١) الحبل : يعني به هنا المهدي والذمة . وعقيل : قبيلة .
 - (٢) القرطاء : ابطن من بني عامر .
 - (٣) الاصابة ١١٥/٣
 - (٤) الديوان ص ٥٩
 - (٥) شعر النابغة الجعدي ص ٥٦
 - (٦) مخطوم : اصل الخطم ان يوسم البعير بخط
 - (٧) الديوان ص ٦٠

اجمعت انك انت الأم من مشى في فحش مومسة وزوك غراب^(١)
وكذلك ورثك الاوائل انهم ذهبوا وصرت بخزية وعذاب
فورثت والدك الخيانة والخنا واللؤم عند تقاييس الاحساب

وبهذه المساوي، عير كعب بن مالك عبدالله بن الزبعرى فقال:^(٢)
سألت بك ابن الزبعرى فلم أنبأك في القوم الا هجيناً^(٣)
خبثاً تطيف بك المنديات مقيماً على اللؤم حيناً فحيناً^(٤)
ومن هذه المعاني الجبن والضعف، ومن مظاهر ذلك الفرار قال
حسان يعير عكرمة بن ابي جهل عندما القى رمحه يوم الخندق وهو
منهزم:^(٥)

فرّ والقى لنا رمحه لعلك عكرم لهم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم ما ان تجور عن المعدل^(٦)
ولم تلق ظرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل^(٧)
وقال كعب يعير قريشاً بالفرار في بدر ايضاً:^(٨)

وراحوا سراغاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع^(٩)

-
- (١) الزوك : مشى الفراب وهو الخطو المتقارب في تحرك جسد الانسان الماشي .
 - (٢) الديوان ص ٢٧٧
 - (٣) الهجين : المبين الهجنة ، وهو الذي يكون ابوه عتيقاً وامه ليست كذلك .
 - (٤) المنديات : المخزيات التي يندى منها الجبين .
 - (٥) ابن هشام ٢٢٦/٢
 - (٦) الظليم : ذكر النعام
 - (٧) الفرعل : صغير الضباع
 - (٨) الديوان ص ٢٢٧
 - (٩) موجفين : مسرعين . والجهام : السحاب الذي افرغ ماءه .

وعير حسان الحارث بن هشام بالفرار يوم بدر ايضاً فقال: ^(١)

ان كنت كاذبة الذي حدثني

فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم

ونجا برأس طمرة وجام ^(٢)

وهجا قريشاً والحارث بهذا العار يوم بدر ايضاً فقال: ^(٣)

وفرّ بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالا سود ^(٤)

وولت عند ذاك جموع فهير واسلمها الحويرث من بعيد ^(٥)

لقد لا قيمت ذلاً وقتلاً جهيزاً نافذاً تحت الوريد ^(٦)

وكل القوم قد ولّوا جميعاً ولم يلووا على الحسب التليد ^(٧)

ومن اهجى الاساليب التي سلكها الشعراء المسلمون سبيل التعبير بالوقائع والايام والالقب والانساب، فعن محمد بن سيرين قال: فكان يهجوهم من الانصار حسان بن ثابت و كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، فكان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والمآثر،

(١) الديوان ص ٢٢٩

(٢) الطمرة : الفرس الكثير الجري

(٣) الديوان ص ١٤١

(٤) حكيم : هو حكيم بن حزام انهزم يوم بدر . وتخطر : اي تهتز متبخرة . معجبة .

(٥) الحويرث : يريد به الحارث بن هشام بن المغيرة الذي انهزم ببدر ايضاً .

(٦) جهيزاً : مسرعاً . وقوله باقياً تحت الوريد : اي تقلدوا الحزبي والذل في اعناقهم .

(٧) التليد : القديم . يقول ان قريشاً قد انهزموا ولم يراهم مجددم وشرفهم ولم يكثرثوا للعار الذي لحقهم من جراء ذلك .

ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان و كعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة .^(١)

وهذه الصورة التي طُبع بها هجاء المسلمين للمشر كين هي الصورة التي طُبع بها هجاء قريش للمسلمين ايضاً ، ولم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم شعراءه عن هذا النهج ، بل ثبت انه كان يأمرهم به ويحثهم عليه كما في قوله : قولوا لهم مثل ما يقولون لكم .^(٢) وذلك لان هذا النهج هو الذي كان يؤثّر في المشركين ويخوّفهم ، أما التعبير بالشرك وعبادة الاوثان ، وهو النهج الذي سلكه ابن رواحة وبعض الشعراء الآخريين احياناً ، فلم يكن يجدي نفعاً في هذا المقام ، لان ذلك كان عقيدتهم التي يعتزون بها ، ودينهم الذي هم عليه .

وكان حسان أبرز الشعراء المسلمين تعريضاً بالانساب ونيلاً من الاحساب وذكراً للمثالب . وقد شجعه على الاستمرار في ذلك السبيل ما وجدته لدى رسول الله من رضا وقبول بل ومساعدة على استكمال منهجه في الهجاء اذ كان ينصحه بقوله : يا حسان اذهب الى ابي بكر فليحدثك حديث القوم واياهم واحسابهم ثم اجهم وجبريل معك .^(٣) وحين شهر المشركون سلاح الشعر روي ان قائلاً قال لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اهجّ عنا القوم الذين قد هجونا فقال علي (رض) : ان اذن لي رسول الله (ص) فعلت .

فقال رجل : يا رسول الله : ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم

(٢) المقد الفريد ١٤٥/٦

(١) الاغاني ١٣٧/٤

(٣) المصدر السابق ٢٩٦/٥

الذين قد هجونا . قال : ليس هناك أو - ليس عنده ذلك - ثم قال
للانصار : ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله (ص) بسلاحهم ان
ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت الانصاري : أنا لها - يارسول
الله - واخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرني به مقول بين بصرى
وصنعاء . فقال رسول الله (ص) : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ فقال
حسان : اني اسلك كما تسلك الشعرة من العجين .^(١)

وقد طبق هذا المنهج في هجاء أبي سفيان بابعاده عن الشجرة
التي شرفها رسول الله (ص) ، وعن الصلة برسول الله . وبأن كل
ما يمكن ان يكون بينه وبين هذه الدوحة الكريمة من صلة كصلة
الحشرة التي يسمونها (قرد) وهي التي تلصق بالانسان فتلازمه وهي
ليست منه قال :^(٢)

لقد علم الاقوام ان ابن هاشم
هو الغصن ذو الافنان لا الواحد الوغد
ومالك فيهم محمّد يعرفونه
فدونك فالصق مثل ما لصق القرد
وهجا الوليد بن المغيرة بنفي نسبته من قريش ونسبه الى فرع
القبيلة البعيد فقال :^(٣)

متى تُنسب قريش او تُحصّل فمالك في ارومتها نصاب^(٤)

-
- (١) الاغاني ٧/٤
(٢) الديوان ص ١٥٩
(٣) الديوان ص ٦٢
(٤) الارومة : الاصل . والنصاب : الاصل والمرجع .

نفتك بنو هصيص عن ابيها لشجع حيث تُسترق العياب^(١)
 اذا عد الاطايب من قریش تلاقى دون نسبتكم كلاب^(٢)
 وهجا بني عوف بنفي نسبهم من قریش ايضاً وزاد في هجائهم حين
 نسبهم الى تغلب ، ثم نفى نسبهم من العرب حين نسبهم الى الروم
 فقال :^(٣)

سائل قریشاً واحلافها متى كان عوف لها ينسب
 أفيما مضى نسبٌ ثابت فيعلم ام دعوة تكذب
 فان قریشاً ستفنيكم الى نسب غيره اثقب^(٤)
 الى جذم قين لثيم العرو ق عرقوب والده أصهب^(٥)
 الى تغلب انهم شر جيل فليس لكم غيرهم مذهب
 وقد كان عهدي بها لم تنل سنياً ولا شرفاً تغلب

ومن تعبير الشعراء بالايام والوقائع قول حسان يهجو قریشاً
 مذكراً اياها بما قدّموا من اسرى وقتلى يوم بدر :^(٦)

لقد علمت قریش يوم بدر غداة الاسر والقتل الشديد
 بانا حين تشتجر العوالي حماة الحرب يوم ابي الوليد

-
- (١) هصيص أبو بطن من قریش . وشجع : قبيلة من كنانة . وتسترق : من
 السرقة . والعياب : جمع عيبة وهي وعاء من ادم يكون فيها المتاع والثياب .
 (٢) الاطايب : الخيار جمع اطيب .
 (٣) الديوان ص ٦٢
 (٤) غيره أثقب : اي غير هذا النسب . وهو كل نسب خلافه أثقب منه .
 (٥) جذم : جذم كل شيء اصله . والثمين : العبد . ولثيم العروق : لثيم
 الاصول . وقوله عرقوب والده اصهب : اي انه غير عربي . والعرب يلقبون الروم
 صهب السبال ، والصهبة : الحمرة
 (٦) الديوان ص ١٤٠

وعيرهم بيوم الخندق وما اعطوا من قتلى واسرى فقال :^(١)
لقد جدّعت آذان كعب وعامر
بقتل ابن كعب ثم حزّت انوفها^(٢)
فولّت نطيحاً كبشها وجموعها
ثبات عزيز ما تلام صفوفها^(٣)
وحاز ابن عبد اذ هوى في رماحنا
كذاك المنايا حينها وحتوفها^(٤)
اصيبت به فهر فلا انجبرت لها
مصائب بادٍ حرّها وشفيفها^(٥)
ثم ذكر لهم ما حل بهم ببدر وهدّدهم فقال :
واخرى ببدر حار فيها رجاؤهم
فلم تغن عنها نبلها وسيوفها
واخرى وشيكا ليس فيها تحول
يصمّ المنادى جرسها وحفيفها^(٦)
وقد سلك الشعراء سبيل التهديد والوعيد ايضاً ، وأرعب ذلك

(١) الديوان ص ٢٧٤

(٢) ابن كعب : صحابي استشهد يوم الخندق يقول بسببه اذلنا هذين الهين

(٣) كبشها : رئيسها ونطيح بمعنى مفعول. وثبات : الجماعة من الناس . وهزين : متفرقين . وتلام : اي تلام .

(٤) ابن عبد : اراد به عمرو بن عبد ود قتله الامام علي يوم الخندق وحاز : انجاز وانفرد .

(٥) الشفيف : البرد اللاذع

(٦) يصم المنادي جرسها وحفيفها : اي انها شديدة . والجرس والحفيف الصوت

اعداءهم وادخل الوهن في قلوب المشركين ، حتى دخل بعضهم في الاسلام بتأثير هذه الطريقة فقد روى ان قبيلة دوس اسلمت فرقاً حين سمعت قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم اجمنا السيوفاً^(١)
نخيرها ولو نطق لقات قواطعهن دوساً او ثقيفاً^(٢)

فقات : دوس انطلقوا فخذوا لانفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف^(٣) وقد اكبر رسول الله هذه الطريقة في الهجاء حين سمع كعباً ينشد البيتين السابقين قال : لهو أسرع فيهم من السهم في غلس الظلام^(٤) وسلك كعب هذه السبيل حين هدد عكرمة بن ابي جهل بعد ما غدرت قريش ببني خزاعة حلفاء النبي (ص) فقال :^(٥)

فلا تأمننا يا ابن ام مجالد اذا لقت حرب وأعصل نابها^(٦)
ولو شهد البطحاء منا عصابة لهان علينا يوم ذاك ضرابها
ولا تجزعوا منا فان سيوفنا لها وقعة بالموت يُفتح بابها

واستغل الشعراء الاخبار التي تشين الافراد في هجائهم كما فعل حسان في هجائه لصفوان بن أمية قال :^(٧)

من مبلغ صفوان ان عجوزه أمة لجاره معمر بن حبيب

-
- (١) تهامة : ما انخفض من ارض الحجاز . والريب : الشك . واجمنا : أرحنا .
 - (٢) نخيرها : نعطها الخيرة ، ولو نطق لاختارت ان نحارب دوساً او ثقيفاً .
 - (٣) الصفدي : نكت الهميان ص ٢٣١ .
 - (٤) البيهقي : المحاسن والمساوىء ص ٢٥٣ .
 - (٥) الديوان ص ٤٣ .
 - (٦) ابن ام مجالد : هو عكرمة . وأعصل : اعوج .
 - (٧) الديوان ص ٥٥ .

أمة يقال من البراجم اصلها نسب من الانساب غير قريب^(١)
وهجا هند بنت عتبة بهذه الطريقة ايضاً اذ قال لها:^(٢)
لمن الصبي بجانب البطحاء. في التراب ملقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاء، آنسة من عبد شمس صلته الخد^(٣)
وقد عيروا خصومهم باللقاب التي تؤلمهم وتؤذيهم كما قال كعب
ابن مالك معيراً قريشاً بلقب سخينة وهو لقب كانت تتأذى منه.
جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب^(٤)
وحين سمع رسول الله (ص) هذا البيت قال له: لقد شكرك
الله يا كعب على قولك هذا^(٥). وفي رواية انه قال له: يا كعب ما نسي
ربك أو ما كان نسياً بيتاً قلته، قال كعب: وما هو يا رسول الله؟
فقال: انشده يا أبا بكر فانشده البيت^(٦) ونعت حسان ابا جهل
بما كان يؤذيه ويؤلمه حين قال له:^(٧)

سماه معشر ابا حكم والله سماه ابا جهل
فما يجي، الدهر معتمراً الا ومرجل جهله يغلي
وكانه مما يجيش به مبدي الفجور وسورة الجهل

(١) البراجم: احياء من بني تميم.

(٢) الديوان ص ١٥٧

(٣) نجلت به: ولدته. صلته: ملساء. وآنسة: طيبة الحديث.

(٤) سخينة: لقب قريش في الجاهلية. وهي آكلة حساء من دقيق تتخذ عند
غلاء الاسعار. وقال السهيلي: وذكروا ان قصياً كان اذا ذبحت ذبيحة او نحرمت
نخيرة بمكة، آتى بعجزها فصنع منها خزيرة - لحم يطبخ ببر - فيطعمه الناس، فسميت
قريش بها سخينة.

(٥) ابن هشام ٢/٢٦١

(٦) الزمخشري: ربيع الابرار ج ٢ ورقة ٢٦١

(٧) الديوان ص ٣٤٤

وسلك الشعراء سبيل السخرية والتهكم والاستهزاء بالمهجو
ليضحك منه الآخرون ، ومعروف ان هذا الاسلوب من ابلغ
الاساليب الهجائية ، وسبيله اكثر ايلاماً في نفس المهجو ، وقد اشار
الى ذلك الجرجاني حين قال : وابلغ الهجاء ما جرى مجرى الهزل
والتهافت .^(١) ومن ذلك سخرية حسان من جذام حين سوّى بينهم
وبين التيوس ولم يفرق بين أمهات صبيانهم والشيء قال :^(٢)

لعمري ابي سميه ما ابالي أنب التيس ام نطقت جذام
اذا ما شاتهم ولدت تنادوا أجدي تحت شاتك أم غلام

وسلك هذه السبيل الساخرة المضحكة عندما هجا المغيرة بن
شعبة فقال :^(٣)

لو ان اللؤم يُنسب كان عبداً قبيح اللون أعور من ثقيف

وكان هجاء كعب لبني لحيان بهذا الاسلوب ايضاً فقد شبههم
بحيوان صغير ضعيف دخل شعباً ليس له مخرج قال :^(٤)

لو ان بني لحيان كانوا تناظروا

لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق^(٥)

ولكنهم كانوا وباراً تتبعت

شعاب حجاز غير ذي مُتَنَفَق^(٦)

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه ص ٤٣ (٢) الديوان ص ٤٠٥

(٣) الديوان ص ٢٧٦ (٤) الديوان ص ٢٤٣

(٥) تناظروا : انتظروا . والعصب : الجماعات

(٦) الوبار : جمع وبر ، وهو دويبة على قدر الهرة تشبه بها العرب الضعيف
الجبان . والشعاب : جمع شعب وهو المنخفض من الارض غير ذي متنفق : ليس له باب
يخرج منه .

وقد اعتمد بعض الشعراء على التفضيل والمقارنة فيمدح رجلاً
ويعرّض بالآخر ، وهذا اسلوب بالغ الاثر في نفس العربي ، من ذلك
قول حسان لابن الزبعرى بعد ان عرض مفاخر وما آثر الانصارو من
اسلم من قریش : (١)

تلك افعالنا وفعل الزبعرى خامل في صديقه مذموم
ومن صور هذا الاسلوب قول عمرو بن عبد ود الكلبي يمدح سعيد
ابن العاص ويذم خالد بن اسيد : (٢)

قصرت يا عبد الاله عن العلا
سيكفيك ما قصرت عنه سعيد
فتى أمه من آل حسل كريمة
وامك ينمها نوح عبيد

وقد استغل الحطيئة هذا الاسلوب فكان يدخل بين الرجلين
المتنافسين ليمدح واحداً ويهجو الآخر ، فيزهو الاول ويغلي الثاني
حقداً فيشتبك الرجلان ثم يقع بين حبيهما ما لاتحمد عقباه من الشرور
والفتن ، فنهاه عنه عمر بن الخطاب وسماه الاقذاع وقد سجنه لتماديه
فيه وحين اخرجه من السجن قال له : اياك وهجاء الناس ، قال الحطيئة :
اذأ يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسي ومنه معاشي . قال : فاياك
والمقذع من القول . قال وما المقذع ، قال : ان تخاير بين الناس فتقول :
فلان خير من فلان و آل فلان خير من آل فلان قال : فانت والله

(١) الديوان ص ٣٧٨

(٢) الاصابة ١١٦/٣

أهجى مني : (١)

ومع هذه الصورة والمعاني الجاهلية فلم يعد الشعر الاسلامي من بعض الصور والمعاني الاسلامية ، يقدمها لنا الشعراء حين يسلكون منهجاً جديداً لا يقوم على الاسس القديمة فيكون تعبيرهم بالشرك وعبادة الاوثان وسوء المنقلب مستلهمين في ذلك آيات القرآن الكريم والمفاهيم الاسلامية الجديدة ، من ذلك تعبير حسان لقريش بما كان من تغرير ابليس لهم وموالاتهم له حيث قال : (٢)

سرنا وساروا الي بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائهم بغيرور ثم اسلمهم ان الخبيث لمن والاه غرّار
وقال اني لكم جار فاوردهم شر الموارد فيه الخزي والعار
وسلك كعب هذه السبيل حين هجا المشركين في بدر فعيرهم
بالكفر وبسوء المنقلب والمصير وبصدهم عن هدى الرسول (ص)
قال : (٣)

فكُـبُّ ابـنو جهـل لوجـهـه

وعتـبـة قد غادرنه وهو عاثر (٤)

وشـيـبـة والتـيـمـي غادرن في الوغى

وما منهم الا بذي العرش كافر

فامسوا وقود النار في مستقرها

وكل كفور في جهنم صائر

وكان رسول الله قد قال اقبلوا

فوتلوا وقالوا انما انت ساحر

(٢) ابن هشام ١/٦٦٤

(٤) عاثر : ساقط

(١) الاغانى ٥٢/٢ - ساسي -

(٣) الديوان ص ٢٠١

وتتضح هذه المعاني الاسلامية في هجائه لبني النضير فقد ناقشهم
بما اوتوا من علم الكتاب، وبكفرهم، وموقفهم من الرسول ثم بين
لهم عاقبة موقفهم هذا حيث قال: (١)

لقد خزيت بغدرتها الجبور كذلك الدهر ذو صرف يدور (٢)
وذلك انهم كفروا برب عزيز أمره أمر كبير
وقد اوتوا معاً فهماً وعلماً وجاءهم من الله النذير
نذير صادق ادّى كتاباً وآيات مبينة تدير
فقالوا ما اتيت بامر صادق وانت بمنكر منا جدير (٣)
فقال بلى لقد اديت حقاً يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يُجز الكفور
فلما أشربوا غدرًا وكفرًا وحاد بهم عن الحق النفور (٤)
ارى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا يحور
فايده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
فذاقو غب امرهم وبالاً لكل ثلاثة منهم بغير (٥)

واخيراً نود أن نذكر بان ما عرضنا من صور ومعاني في هذا العصر

(١) الديوان ص ٢٠٣

(٢) الصرف : الحدثنان والنواب . الجبور : جمع حبر وهو العالم . ويريد هنا علماء اليهود .

(٣) جدير : حقيق وخليق

(٤) حاد بهم : اي مال بهم

(٥) غب : عاقبة . والوبال : النكال .

يشير الى ان فن الهجاء الاسلامي لم يكن متأثراً - كما يتوقع المرء -
بالمثل الدينية الجديدة ، وقد يكون لموقف الرسول من شعر الهجاء
وتحريضه للشعراء المسلمين بان يقولوا لهم مثل ما يقولون فيهم أثر
في هذا البعد عن المعاني والمفاهيم الدينية الجديدة ، وإلاّ فبإمكان
الشعراء المسلمين أن يستفيدوا مما ورد في القرآن الكريم من معاني
وأساليب الهجاء فقد تعرّض بذلك للمشركين والمنافقين واليهود .

النقائض الإسلامية

المناقضة في الشعر تعني ان ينقض شاعر ما قاله شاعر آخر ، بضد ما جاء به الاول^(١) ، وترجع نواة هذا الفن الى العصر الجاهلي ، فقد وُجد من شعراء ذلك العصر من نظم في النقائض ، وان لم يلتزم بجميع القيود التي التزم بها شعراء النقائض بعد تطور فنها في العصر الاموي . ومن ذلك ما كان بين شعراء هذيل ، فقد تناقض اهبان بن لعط ابن عروة مع ابي بثنينة الصاهلي ،^(٢) وعمرو بن هميل اللحياني مع سويد ابن عمير بن عامر الخزاعي^(٣) ، وأبو العيال مع بدر بن عامر^(٤) ، وأبو المثلّم مع صخر الغي^(٥) ، وأبو ذؤيب مع خالد بن زهير^(٦) وبين امرئ القيس وعبيد بن الابرص حين قتل حجر^(٧) وبين شعراء الأوس والخزرج في يوم بعث^(٨) ويوم الربيع^(٩) .

وقد تطور اسلوب المناقضة حتى جعل من فن المناقضين في العصر الاموي فناً متقارباً الى درجة كبيرة ، وأصبح الاصل فيها ان يتجه

-
- (١) انظر لسان العرب مادة (نقض) .
 - (٢) شرح أشعار الهذليين ٧٢٦/٢ .
 - (٣) المصدر السابق ٨١٥/٢ .
 - (٤) المصدر نفسه ٤١٠/١ .
 - (٥) المصدر نفسه ٢٦٢/١ .
 - (٦) المصدر نفسه ٢٠٧/١ .
 - (٧) انظر ديوان امرئ القيس ص ٥١ وديوان عبيد ص ٨١ .
 - (٨) انظر ديوان قيس بن الخطيم ص ١٠ .
 - (٩) انظر ديوان حسان ٣١٦ وابن الخطيم ص ٣٦ .

شاعر الى آخر بقصيدة هاجياً او مفتخراً فيعمد الآخر الى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الاول.^(١)
و حين جاء الاسلام انقسم الشعراء ازاءه الى طرفين متناقضين ،
فريق مع الرسول صلى الله عليه وسلم والآخر عليه ، أما الفريق الاول
فكان يمثله كعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ،
والفريق الآخر يمثله شعراء قريش كعبدالله بن الزبيرى وضرار بن
الخطاب وأبي سفيان بن الحارث ، وهبيرة بن أبي وهب ومن والاهم
من شعراء القبائل كالعباس بن مرداس أو اليهود كسماك ومُرحب
وكعب بن الاشرف .

وطبيعي ان تقوم بين هؤلاء الشعراء حرب كلامية اتخذت في
اكثر الاحيان صورة المناقضات الشعرية ، وفي بعض الاحيان صورة
المراجعات .

وقد تميّزت هذه النقائض بعدة خصائص يمكن اجمالها في :
سمو الموضوعات التي عالجتها ، ونبيل الغاية التي قصدت اليها ، فموضوعاتها
هي الاسلام ودعوته ، وغايتها اخراج الناس من الظلمات الى النور ،
ومن ضيق الكفر الى سعة الاسلام . فغاية المسلم حين يقاتل هي رفع
كلمة الله ، وهدفه توحيده ، والى هذا المعنى يشير كعب بن مالك في
مناقضته لضرار بن الخطاب يوم بدر :^(٢)

فلما لقيناهم وكلُّ مجاهد لأصحابه مستبسلُ النفس صابر^(٣)
شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر

(١) انظر الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ص ٣ ، وغناوي الزهيري :

نقائض جرير والفرزدق ص ١٣ .

(٢) مستبسل النفس : موطنها الموت .

(٣) الديوان ص ٢٠٠ .

وإذا دافع المسلمون فإنما يدافعون عن دينهم ضد كل عدو ، مهما عظمت كتيبته أو كانت معتادة للقتال ، مدرّبة عليه قال كعب :^(١)

مجالدنا عن ديننا كل فخمة

مدرّبة فيها القوانس تلمع^(٢)

وإذا حملوا السيوف فإنما يحملونها في سبيل الله وإعزازاً لدينه ، قال حسان في مناقضته لابن الزبعرى :^(٣)

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى

فلا بدّ أن يُردى لمن صريع^(٤)

بهنّ نعزّ الله حتى يعزّنا

وإن كان أمرٌ يا سخين فظيع^(٥)

أما معاني هذه النقائض فهي على نوعين :

اسلامية جديدة ، كالإيمان والكفر ، والجنة والنار ، والوحي والملائكة ، وأخرى قريبة من المعاني الجاهلية ، تعالج المآثر والاحساب ، والمثالب والايام ، والتهديد والوعيد .

فمن هذه المعاني الاسلامية ما ورد في مناقضة كعب لضرار يوم بدر :^(٦)

(١) الديوان ص ٢٢٣ .

(٢) مجالدنا : مدافنا . الفخمة : الكتيبة العظيمة . المدرّبة . المعقودة للقتال . الماهرة فيه .

(٣) ابن هشام ١٤٣/٢

(٤) حمش الوغى : حمي وطيس الحرب .

(٥) سخين : لقب قریش .

(٦) الديوان ص ٢٠٠ .

عجبتُ لأمر الله واللهُ قادر
 على ما أراد ليس لله قاهر
 قضى يوم بدرٍ أن نلاقي معشراً
 بغوا وسبيلُ البغيِّ بالناس جائز
 فلما لقيناهم وكلُّ مجاهدٍ
 لأصحابه مستبسل النفس صابر
 شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره
 وأن رسول الله بالحق ظاهر
 فكُتِبَ أبو جهل صريعاً لوجهه
 وعتبة غادرته وهو عاثر^(١)
 وشيبة والتميمي غادرنا في الوغى
 وما منهم إلا بذي العرش كافر^(٢)
 فأمسوا وقود النار في مستقرها
 وكلُّ كفور في جهنم صائر
 تلاطى عليهم وهي قد شُبَّ حميُّها
 بزبر الحديد والحجارة ساجر^(٣)
 وكان رسول الله قد قال أقبلوا
 فولّوا وقالوا : إنما أنت ساحر
 لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به
 وليس لأمرٍ حمّه الله زاجر^(٤)

(١) عاثر ساقط .

(٢) التيمي : قتل من تيم في بدر وجلان هما عثمان بن مالك ، وعمير بن عثمان

ابن عمرو .

(٣) زبر الحديد : قطعة . ساجر : موقد .

(٤) حمه : قدره .

وفي مناقضة حسان لابن الزبعرى يوم أحد: ^(١)
وَعَلُونَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى طَاعَةَ اللَّهِ وَتَصْدِيقَ الرَّسْلِ

وفي مناقضة حسان الاخرى في اليوم نفسه ايضاً: ^(٢)

وحامى بنو النجار فيه وصابروا

وما كان منهم في اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا يخذلونه

لهم ناصرٌ من ربهم وشفيع

وقوا اذ كفرتم ياسخينُ بربكم

ولا يستوي عبدٌ وفيٌّ ومُضِيع ^(٣)

وتتضح هذه المعاني ايضاً في مناقضة كعب لهبيرة بن أبي وهب: ^(٤)

وفينا رسول الله نتبع أمره اذا قال فينا القول لا نتطالع

تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع

ومثل هذه المعاني الاسلامية كثيرة مبثوثة في جميع النقائض

الاسلامية ، أما المعاني الجاهلية فهي كثيرة ايضاً ، منها ما جاء في قول

كعب الذي ناقض فيه هبيرة معدداً ماثر قومه ، مفتخراً الى درجة

المبالغة ، مهدداً ومتوعداً المشركين ، وهذه المعاني جميعها جاهلية

طبعاً قال: ^(٥)

(١) ابن هشام ٢/٣٨٠ .

(٢) الديوان ص ٢٥٨ .

(٣) ورويت : ولا يستوي عبد عصا ومطيع .

(٤) ديوان كعب ص ٢٢٤ .

(٥) الديوان ص ٢٢٣

وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانِ أَهْلِهَا
 سَوَانَا لَقَدْ أَجْلَوْا بَلِيلٍ فَاقْشَعُوا^(١)
 إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
 أَعْدُوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ^(٢)
 فِيهِمَا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا
 فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الْبَرِيَّةُ
 قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا^(٣)
 نَجَادٌ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
 مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا^(٤)
 وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرِضِ قَالَ سِرَاتُنَا
 عِلَامٌ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعَرِضَ نَزْرَعُ^(٥)
 وَيَقُولُ فِي النَّقِيضَةِ نَفْسَهَا :
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَزِي الْقَتْلَ سُبَّةً
 عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَّارَ وَيَمْنَعُ^(٦)
 جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَزِي
 عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ^(٧)

-
- (١) اقشعوا : فروا وزالوا وذلوا .
 (٢) يزجي : يجمع . وابن حرب : يعني أبا سفيان بن حرب .
 (٣) توزعوا : تقسموا وانشعبوا .
 (٤) يفظعوا : يهابوا ويفزعوا .
 (٥) ابتنوا : ضربوا ابنيهم ، والعرض : موضع خارج المدينة ، وكل واد فيه شجر .
 (٦) السبة : العار . والذمار : ما يجب على الرجل حمايته .
 (٧) جلاد : جمع جليد وجلد وهو الصلب . وريب الحوادث : صروفها .

بنو الحرب لا نعيًا بشيء نقوله
ولا نحن مما جرت الحرب نجزع^(١)
بنو الحرب إن نظفروا فلسنا بفحشٍ
ولا نحن من اظفارها نتوجع

أما الفنون التي عالجتها هذه النقائض فهي نفس الفنون الجاهلية
من مديح وهجاء وفخر ونحوها ، مع تعديل في الاتجاه ، وعفة في
الالفاظ .

وامتازت هذه النقائض بتكرار الفنون ، وتداخل بعضها في
القصيدة الواحدة ، فالشاعر يفخر ثم يمدح ثم يهجو ثم يعود الى الفخر
ثانيةً وبعده الى الهجاء وهكذا ، ففي نقيضة كعب لضرار مثلاً نراه
يفخر في أولها بالصبر والتوكل على الله :^(٢)

وسائلةٍ تسائلُ ما لقينا ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى الله عدلاً على ما نابنا متوكلينا^(٣)
ثم ينتقل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :
وكان لنا النبيُّ وزيرَ صدقٍ به نعالو البريةَ أجمعينا^(٤)
وينتقل بعد هذا الى هجاء المشركين ، فينعتهم بالظلم والعقوق
والعداوة لله وللإسلام فيقول :
نقاتلُ معشراً ظلموا وعقُّوا وكانوا بالعداوة مُرصدينا^(٥)

(١) لا نعيًا : لا نتعب . (٢) الديوان ص ٢٧٧ .

(٣) العدل : المثل .

(٤) وزير : مؤازر ، لانه يحمل وزره اي ثقله .

(٥) المرصد : المعد للامر عدته .

ثم يعود ثانية الى الهجاء فيقول :

كما قد ردكم فلا شريداً بغيضكم خزايا خائبينا^(١)
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدم أن تكونوا دامرينا^(٢)
بريح عاصف هبت عليكم فكنتم تحتها متمهيننا^(٣)

وفي بعض الاحيان كان يتضافر اكثر من شاعر مسلم لنقض
ما قاله شاعر المشركين ، من ذلك ما حصل يوم الخندق حين نظم ابن
الزبيرى قصيدته التي منها :^(٤)

حتى الديار محامعارف رسمها

طول البلى وتراوخ الاحقاب^(٥)

فكأتما كتب اليهود رسوماها

الا الكنيف ومعقد الاطناب^(٦)

فاترك تذكر ما مضى من عيشة

ومحلة خلق المقام يباب^(٧)

واذكر بلاء معاشر واشكرهم

ساروا باجمعهم من الانصاب^(٨)

-
- (١) الفل : القوم المنهزمون . والشريد : الطريد النافر من الخوف والفرع .
(٢) الدامرون : الهالكون . (٣) المتكمه : من الكمه وهو العمى .
(٤) ابن هشام ١٥٠/٢ .
(٥) الاحقاب : جمع حقب ، وهو الدهر ، والحقب (بالكسر) : السنون واحدا
حقبية .
(٦) الكنيف : اراد به الحظيرة التي تصنع للابل . والاطناب جمع طناب ، وهو
الحبل الذي تشد به الاخيبة ، ويوت العرب . واراد بمعقدها الاوتاد التي تربط فيها .
(٧) خلق المقام : اراد ان محل الاقامة منها خال من كل من يقيم به . واليباب : القفر .
(٨) الانصاب : الحجارة التي يلم بها الحرم ، او التي يذبحون لها ويعظمونها .

فتصدى له حسان ينقض قصيدته هذه بنقيضة منها :

هل رسمُ دارسةِ المقامِ يباب

متكلم لمُحاورٍ يجواب^(١)

قفرٌ عفا رهمُ السحابِ رسومه

وهبوب كل مطلةٍ مرباب^(٢)

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم

بيض الوجوه ثواقب الاحساب^(٣)

فدع الديارَ وذكر كلَّ خريدة

بيضاء أنسة الحديثِ كعاب^(٤)

واشكُ الهموم الى الاله وما ترى

من معشرٍ ظلموا الرسول غضاب

ساروا باجمعهم اليه وألبوا

اهل القرى وبوادي الأعراب

ثم انبرى له كعب بن مالك لتنقض القصيدة نفسها فقال قصيدة
منها^(٥)

أبقى لنا حدث الحروب بقيةً من خيرِ نحلةِ ربنا الوهاب^(٦)

(١) دارسة المقام : عفا محل الإقامة منها ، والمحاور الذي يراجمك الكلام ويتحدث معك .

(٢) عفا : غير . والرهم ، جمع رهمة ، وهو المطر الدائم . مطلة : اسم فاعل من اطلت السماء اذا جاءت بالطل ، وهو الضعيف من المطر . ومرباب : دأمة ثابتة .

(٣) الحلول : البيوت المجمعمة ، والثواقب : المشرقة .

(٤) الخريدة : المرأة الناعمة . وكعاب : الفتاة الشابة .

(٥) الديوان ص ١٧٨ . (٦) النحلة : العطاء .

بيضاء مشرفة الذراومعاطناً^(١) حُمَّ الجذوع غزيرة الاحلاب^(١)
وفي غمرة الانتصارات التي حققها المسلمون ظهرت بعض النقائص
البعيدة عن روح الاسلام ، كان طرفا المناقضة فيها من المسلمين
أنفسهم يحدوهم التعصب القبلي ، وتدفعهم النعرات الجاهلية ، من
ذلك ما حصل بين عطية بن عفيف النصري والعباس بن مرداس حين
اكثر ابن مرداس على هوازن في يوم حنين . ومما قال العباس :^(٢)

اني والسوابح يوم جمع^(٣) وما يتلو الرسول من الكتاب^(٤)
لقد احببت ما لقيت ثقيف^(٥) يجنب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من أهل نجد فقتلهم ألد من الشراب
فأجابه عطية بن عفيف النصري :

أفاخرة رفاعة في حنين وعباس ابن راضعة اللجباب
فانك والفخار كذات مُرط لربتها وترفل في الأهاب

وبين رجل من بني جذيمة وآخر من بني ليث في فتح مكة .^(٤)
وبين زيد بن صحار وعبدالله بن وهب يوم حنين^(٥)

وفي بعض الاحيان كان يتصدى أحد الشعراء المسلمين لمناقضة
شاعر مشرك ثم ينظم المشرك نقيضة لهذه النقيضة وعندئذ يظهر شاعر
مسلم آخر للرد على الشاعر المشرك وهكذا ، ومن ذلك ما حدث عندما

-
- (١) بيضاء مشرفة الذرا : الحصون والاطام العالية . والمعاطن : منابت النخل
عند الماء تشبهاً لها بمعاطن الابل ، وهي مباركم - حول الماء ، وحم : جم احم وهو
الاسود . والاحلاب : ما يجلب منها ، وهو تشبيه لما يجتنى من النخل .
(٢) انظر ابن هشام ١٥٠/٢ .
(٣) جم : هي الزدلفة ، وهي المشعر الحرام .
(٤) انظر ابن هشام ٤٣٤/٢ (٥) المصدر نفسه ٢٠٠/٢ .

امتدح العباس بن مرداس رجال بني النضير بقصيدة مطلعها :^(١)

ولو انَّ اهل الدار لم يتصدَّعوا

رأيت خلال الدار ملهىً وملعبا

فناقضه خوَّات بن جبير بقصيدة مطلعها :

تبكي على قتلى يهود وقد ترى

من الشجوة لو تبكي أحب وأقربا^(٢)

فاجابه ابن مرداس بقصيدة مطلعها :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم

لهم نعمٌ كانت من الدهر تُرتبا^(٣)

ثم تصدى له كعب بن مالك بنقيضة مطلعها :

لعمري لقد حكمت رحي الحرب بعدما

أطارت لؤياً قبلُ شرقاً ومغربا

بقية آل الكاهنين وعزَّها

فعاد ذليلاً بعدما كان أغلبا^(٤)

ومما يلاحظ ان الشعراء المسلمين لم يلتزموا بجميع القيود التي فرضت في العصر الاموي حيث وصل فن النقائض الى أوج كماله ، وانما كان يلتزم احدهم ان يقول في نفس موضوع الشاعر الذي يناقضه ، ونفس قافيته وبجره ، اما الروي فلم يكن يلتزم به ،

(١) المصدر السابق ٤٧٦/٢ (٢) الشجو : الحزن والاي

(٣) ترتب : ثابت والتاء الاولى زائدة ، واصله من رتب الامر .

(٤) آل الكاهنين : الكاهنان قبيلتان من يهود المدينة ، يزعمون انهم من ولد هارون عليه السلام . واغلبا : القوى البين الغلبة .

وكذلك لم يكن يلتزم بنقض معاني القصيدة الواحد تلو الآخر ،
وانما كان شاعرهم يحاول نقض المعاني العامة التي ترد في قصيدة الشاعر
الآخر .

واخيراً فالذي يلاحظ على هذه النقائض انها ظهرت في غالبيتها
العظمى في ظل الايام الاسلامية .

ومعروف ان اهم ما يعتمد عليه الشاعر في نقائضه ، نقض المعاني
التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر . وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر
للوصول الى هذا الغرض منها :

التكذيب : فيكذب ما يدعي الشاعر من مآثر محاولاً ان يجعل
هذه المآثر له ولقومه ، بدل الشاعر وقومه .

والمقابلة : وهي ان يضع ازاء كل ما يدعيه الشاعر الآخر من
مفاخر ما يقابله .

والقلب : فيقلب الشاعر المعاني على قائلها .

والتوجيه : فيفسر الحادثة بما يؤيد موقف الشاعر .

و الوعيد والشماتة : فيهدد بذلك الشاعر وقومه ، ويشتم بما ينزل
بهم من مصائب ونكبات .^(١)

وقد سلك الشعراء المسلمون جميع هذه الطرق في نقائضهم مع
غلبة عنصر الوعيد على اكثرها .

فحين ناقض كعب عمرو بن العاص ، الذي فخر بنصر قومه في
أحد وعجز المسلمين عن تحقيق هذا النصر والتي يقول فيها^(٢)

(١) انظر الشايب : تاريخ النقائض ص ٢٧ (٢) ابن هشام ١٤٣/٢ .

خرجنا من الفيفا عليهم كاننا
 مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق^(١)
 تمتت بنو النجار جهلاً لقاءنا
 لدى جنب سلع والاماني تصدق^(٢)
 فما راعهم بالشرّ الا فجاءةً
 كراديس خيل في الازقة تمرق^(٣)
 ارادوا لكيا يستبيحوا قباينا
 ودون القباب اليوم ضرب محرف
 وكانت قباب اومت قبل ما ترى
 اذا رامها قوم ابيحوا واحنقوا
 كأن رؤوس الخزرجين غدوةً
 وايمانهم بالمشرفية بروق^(٤)

سلك كعب مسلك التوجيه في مناقضته له ، ولم يتخاذل لعدم
 انتصار المسلمين في احد ، بل صور صبرهم وبلاءهم في تلك المعركة ،
 وذكّر اعتزاز المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ذى الشائل
 الكريمة :

ألا ابلاغاً فهِراً على نأى دارها
 وعندهم من علمنا اليوم مصدق

-
- (١) الفيفا : القفر . رضوى : اسم جبل . الحبيك : ذو الطرق . المنطق : الحزم
 (٢) سلم : اسم جبل في المدينة
 (٣) الكراديس : جماعات الخيل ، وتمرق : تخرج كما يخرج السهم
 (٤) البروق : نبات له اصول يشبه البصل

بأنا غداةَ السفح من بطن يثرب
 صبرنا وراياتُ المنية تخفق^(١)
 صبرنا لهم والصبرُ منا سجيّةٌ
 إذا طارت الأبرامُ نسمو ونرتق^(٢)
 على عادةٍ تلکم جرینا بصبرنا
 وقدماً لدى الغایات نجري فنسبق
 لنا حومةٌ لا تُستطاع يقودها
 نبيُّ أتى بالحقِّ عَفٌّ مُصدق^(٣)
 ثم راح يقابل فسلك مسلك الموازنة حين ناقض فخر ابن العاص
 بتقتيل المسلمين فقال :
 الاهل أتى أفناءً فهر بن مالك مقطّعُ أطرافٍ وهامٌ مفلق^(٤)
 وحين افتخر ابو سفيان بن حرب بتقتيل المسلمين :^(٥)
 وسلّى الذي قد كان في النفس أني
 قتلتُ من النجار كلَّ نجيب
 ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومصعباً
 وكان لدى الهيجاء غير هيب^(٦)

- (١) السفح : جانب الجبل : تخفق : تضطرب من مكان الى مكان
 (٢) الابرام : اللثام . نرتق : نسد ونصلح
 (٣) الحومة : الجماعة . وقوله لا تستطاع : لا يتمكن منها احد لشجاعته
 وتماسكها .
 (٤) الافناء : القبائل المختلطة ، ومقطع : مصدر ميمي بمعنى التقطيع . والهام :
 جمع هامة وهي الرأس
 (٥) الطبري ٢/٢٣٠
 (٦) القرم : الفحل الكريم من الابل وعني به ههنا حمزة بن عبدالمطلب رضي الله
 عنه . والمصعب : الفحل من الابل ايضاً . وهيب : خائف شديد الخوف

ولو انني لم اشف نفسي منهم^١
لكانت شجاً في القلب ذات ندوب^(١)

تصدى له حسان فسلك سبيل المقابلة في مناقضته ، وراح يعدد
من قُتل من اشراف المشركين في قريش مقابلة لمن ذكر ابو سفيان
من كبار المسلمين :

ذكرت القروم الصيّد من آل هاشم
ولست لزورٍ قلتَه بمصيب^(٢)
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم
نجيباً وقد سمّيته بنجيب^(٣)
الم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه
وشيبة والحجاج وابن حبيب^(٤)
غداة دعا العاصي علياً فراعه
بضربةٍ عضبٍ بلدهُ بنحبيب^(٥)

وحين ناقض كعب بن مالك هبيرة بن ابي وهب الذي فخر
بالانتصار في احد ، وبتقتيل المسلمين بعد تجميع القبائل العربية
ضدهم في قوله :^(٦)

-
- (١) الشجا : الحزن . والندوب : جم ندب وهو اثر الجرح
(٢) الصيد : جم اصيد وهو البطل والمتكبر لعظمته
(٣) اقصدت : اصبت
(٤) يعدد حسان ههنا من قتله المسلمون من علية قريش في احد
(٥) العضب : السيف القاطم . والنحبيب : هنا الدم
(٦) ابن هشام ١٣١/٢

سقنا كنانة من أطراف ذي يَمَنِ
 عرض البلاد على ما كان يُزجِها^(١)
 قالت كنانة أنى تذهبون بنا
 قلنا النخيل فأمشوها ومن فيها^(٢)
 نحن الفوارس يوم الجرّ من أحد
 هابت معدّ فقلنا نحن نأتيها^(٣)
 ثمّت رحنا كأننا عارض برد
 وقام هامُ بني النجار يبكيها^(٤)
 كان مسلك كعب في نقضه له التهديد والوعيد ، فكثرة العدد
 والجموع التي خاض بها هبيرة جعلها كعب سبّة عليهم ، لانهم اوردوها
 حياض الموت في الدنيا والنار في الآخرة .
 سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم
 الى رسول فجنّد الله مخزبها
 اوردتموها حياض الموت ضاحيةً
 فالنار موعدها والقتل لاقبها^(٥)
 ثم عمد كعب الى مسلك الموازنة والمقابلة ، فذكر انتصار المسلمين

-
- (١) العرض : (بضم العين) السعة . يزجِها : يسوقها
 (٢) النخيل : اراد مدينة الرسول (ص) . اموها : اقصدوها
 (٣) الجر : - بفتح الجيم - أصل الجبل .
 (٤) العارض : السحاب . البرد : الذي فيه برد . الهام : جمع هامة وأصله الطائر
 الذي تزعم العرب انه يخرج من رأس القتل ويبقى حائماً حول قبر القتل قائلاً اسقوني
 اسقوني حتى يؤخذ بثأر القتل .
 (٥) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البازرة للشمس .

في بدر مقابل انتصار المشركين في احد و ذكر قتلاهم بقلب بدر
إزاء قتل المسلمين في احد .

جَمَعْتُمُوهَا أَحَابِيثًا بِـلَا حِسْبِ

أُمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا^(١)

أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ

أَهْلَ الْقَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا^(٢)

كَمْ مِنْ أُسَيْرٍ فَكَكَنَاهُ بِبَلَا ثَمَنٍ

وَجَزَّ نَاصِيَةَ كُنَا قَوَالِيهَا^(٣)

وفي بدر ناقض كعب ضرار بن الخطاب الذي توعد المسلمين
بجولة اخرى منكرأ على الانصار فخرهم بانتصارهم ، عازياً سبب
الانتصار الى قيادة الرسول و من معه من المهاجرين ، لا الى بطولة
الانصار مع المهاجرين من حول الرسول ، و قصدُ ضرار واضح
طبعاً ، فهو يريد أن يحول النصر الذي حققه المسلمون - انصارهم
ومهاجروهم - الى قريش التي ينتمي اليها الرسول والمهاجرون ، ليجرد
الانصار من هذه الفضيلة تعصباً قال :^(٤)

فان تكُ قتلى غودرت من رجالنا

فإننا رجالٌ بعدهم سنغادر

(١) الحسب : النسب .

(٢) القلب : قلب بدر يريد ما حصل لقريش يوم بدر .

(٣) الجز : القطم ، والناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس ، والموالي : جم
المولى والمراد به المتولي والصاحب .

(٤) ابن كثير : البدايه والنهاية ٤ / ١٣٠ .

وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم
بني الاوس حتى يشفي النفس نأثر^(١)
ووسط بني النجار سوف نكرها
لها بالقنا والدارعين زوافر^(٢)
الى ان يقول :

فان تظفروا في يوم بدر فائما
بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر^(٣)
وبالنفر الاخيار هم اولياؤه
يُحامون في اللاواء والموت حاضر^(٤)
يُعد أبو بكر وحمزة فيهم
ويُدعى علي وسط من أنت ذاكر
ويُدعى أبو حفص وعثمان منهم
وسعد اذا ما كان في الحرب حاضر
اولئك لا من نتجت في ديارها
بنو الاوس والنجار حين تفاخر^(٥)

فعمد كعب الى هذين المعنيين فنقضها ، سالكاً في نقض المعنى
الاول سبيل التكذيب ، اذ جمع المشركون في بدر وحشدوا كل
ما استطاعوا ، ومع ذلك كان النصر حليف المسلمين ، فعلام هذا

(١) تردى : تسرع . الجرد : الخيل القصيرة الشعر . العناجيج ، جمع عنجوج
وهو الحصان الطويل السريع .

(٢) الزوافر : جمع زافرة ، وهي الحاملات للنقل .

(٣) جدكم : حظكم . (٤) اللاواء :

(٥) نتجت : ولدت .

الادعاء الطويل ، والضجيج الصاخب الذي اصطنعه ضرار ؟!

عجبت لامر الله والله قادر

على ما أراد ليس لله قاهر

قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً

بغوا وسبيلُ البغي بالناس جائزٌ

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم

من الناس حتى جمعهم متكاثراً

اما لنقض المعنى الثاني فقد سلك سبيل القلب ونفر بالرسول عليه

السلام، وتأييد الانصار له ، وعير قريشاً بصدّهم عن سبيل الهداية،

وتولّيتهم عن الاستجابة لما دعاهم الرسول من الخير .

وفينا رسولُ الله والايوس حوله

له معقل منهم عزيز وناصر^(١)

وجمعُ بني النجار تحت لوائه

يُمشون في الماذي والنقع^(٢) ناثراً

وبعد أن فخر بشجاعة المسلمين وإقدامهم قال :

وكان رسول الله قد قال أقبلوا

فولوا وقالوا إنما انت ساحر

وزاد على نقضه هذين المعنيين بأن اظهر شماتته بقتل رؤوس الكفر

في بدر حيث قال :

(١) المعقل : الموضع الذي يلجأ اليه ويمتنع به .

(٢) الماذي : الدروع البيض اللينة ، والنقع : النبار .

فكُتِبَ أبو جهل صريعاً لوجهه

وعتبه قد غادرته وهو عاثر

وشيبة والتميمي غادرن في الوغى

وما منهم إلا بذي العرش كافر

وحين امتدح العباس بن مرداس نساء بني النضير بقوله: ^(١)

إذا جاء باغي الخير قلن فجاءةً له بوجوه كالذنانير مرحبا

واهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا أنت تحشى عندنا ان تؤثبا

تصدى له الشاعر المسلم خوأت بن جبير بنقيضة سالها كآ سبيل

التكذيب لما ادعاه من فضل بني النضير، جاعلاً هذه المآثر للانصار:

فانك لما أن كلفت تمداً لمن كان عيباً مدحه وتكذباً

رحلت بأمر كنت أهلاً لمثله ولم تلف فيهم قائلاً لك مرحبا

فهلاً الى قوم ملوك مدحتهم تبنا من العز المؤثل منصبا

الى معشر صاروا ملوكا وكرموا ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا

اولئك أحرى من يهود بمدحة تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا ^(٢)

أما المراجعات في هذا الباب فقد وصلت اليها منها اكثر من

مراجعة، منها حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فقال لسامة

ابن الاكوع ازل هات من هناتك ^(٣) فنزل سامة يرتجز ويقول: ^(٤)

لم يغذها مدُّ ولا نصيفٌ ولا تميرات ولا تعجيف ^(٥)

لكن غذاها اللبن الخريف المحض والقارص والصريف

(١) ابن هشام ٢/٢٠٠ . (٢) ترتب : ثابت .

(٣) هناتك : اخبارك واشمارك .

(٤) الجو اليقي شرح ادب الكاتب ص ٣٩١ .

(٥) المد : مكيال . والنصيف : نصفه . والتعجيف : الاكل دون الشبم .

فلما سمعته الانصار يذكروا التميرات والمد والنصيف ، علموا انه
يعرض بهم ، فاستنزلوا كعب بن مالك الانصاري ، فقالوا : يا كعب
انزل فاجبه ، فنزل كعب يرتجز وهو يقول :

لم يغذها مدُّ ولا نصيف ولا تميرات ولا تعجيف
لكن غذاها حنظل نقيف ومذقة كطرة الخنيف^(١)
تبيت بين الزرب والكنيف

وبذلك نقض كعب ما تصوّره الانصار تعريضاً بهم ، وسلك في
هذا النقض اسلوب المقابلة ، فشاعر قريش لم يزد عن ذكر التميرات ،
فقلبها كعب بتعريض أشد منه وأقسى ، فذكر الحنظل المنقوف^(٢) .
ثم ذكر المذقة وهي الشربة من اللبن المذوق ، شبهها بحاشية الكتان
الردى ، لتغيير لونها . ولم يكتبف بذلك فادعى ان تلك المذقة كانت
مما تعلفه الشاء والابل في الزرب والحظائر لا بالكلا والمراعي لان
مكة لا رعي بها . فقال النبي (ص) : اركبا . مخافة ان يجري
بينهما شي . .

وحين خرج مرحب اليهودي من حصنهم يرتجز^(٣) :
قد علمت خبيراً أي مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
اطعن احياناً وحيناً اضرب اذا الليوث أقبلت تحرب
إن حمي للحمى لا يقرب

(١) النقيف : المشقوق المذقة الشربة من اللبن المزوج . والحنيف : نوع
غليظ من أردأ الكتان . شبه بحاشيته اللبن المزوج في لونه ، لتغير لونه وذها به بالمزج .
الزرب : الحظيرة .

(٢) كانت قريش وثقيف تتخذان من الحنظل اطبخة فميرهم بذلك .

(٣) النويري : نهاية الارب في فنون الادب ٢٠٢/١٧ .

وهو يقول من يبارز؟ فتصدى له كعب بمفاخر تقابل ما افتخر
به من شجاعة وزاد عليها بقوله :

قد علمت خيبر أي كعبُ مفرج الغمى جرى صلب
اذ شبت الحرب تلتها الحرب معي حسام كالعقيق غضب^(١)
نطوكم حتى يذل الصعب نُعطى الجزاء او يضى النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

وهكذا نقض عليه معانيه التي فخر بها سالكاً سبيل المقابلة ،
فوضع ازاء كل مفخرة افتخر بها الشاعر ما يقابلها ثم سلك سبيل
التهديد والوعيد له ولقومه اليهود ، فذكر له الحكم الذي قرره الاسلام
فيهم وهو الجزية أو القتل .

(١) المقيق : شعاع البرق .

الرثاء

الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر الاسلامي ، فقد بكى شعراء العصر من فاروقهم سواء من مات منهم او استشهد .
وقد سلك الشعراء في رثائهم ثلاثة سبل هي :

الندب : وهو بكاء الفقيد ، فيثن الشاعر ويتفجع ، وتسيل دموعه مدراراً ، وكأنها لا تريد ان تجف ، وتتدفق كلمات الشاعر باكية محزونة وتنظم اشعاراً كلها آلام واحزان .

وقد كان مصاب المسلمين بفقد رسول الله (ص) عظيماً ورزؤهم كبيراً فندب به شعراؤهم ، وبكوه بدموع ساخنة^(١)

وقد استعان الشعراء على رثاء موتاهم وقتلاهم بالبكاء فطالبوا الى اعينهم ان تنجدهم بالدمع والى ما قيمهم ان تسعفهم بالبكاء .
فحين استشهد شماس بن عثمان المخزومي في احد بكته زوجته نعم بنت عثمان المخزومي بكاء حاراً فقالت :^(٢)

يا عين جودي بدمع غير ابساس

على كريم من الفتيان لباس^(٣)

(١) انظر صراحي رسول الله (ص) .

(٢) الاصابة ٤/٤٠٤ .

(٣) ابساس : الابساس ان تسمع ضرع الناقة لندر وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفاتض بغير تكلف . ولباس : صيغة مبالغة للذي يلبس اداة الحرب .

وقد استحوالت المدينة المنورة إلى بركان يقذف بحمم الندب
والبكاء. حين اسشهد حمزة بن عبدالمطلب (رض) فقد كان
استشهاده صدمة عنيفة بالنسبة لجميع المسلمين ، فرثاه شعراؤهم
بقصائد تفيض بالشعور الصادق والعواطف المتأججة ، عبروا فيها
عن نفوس محزونة قد تجدد في الدمع متنفسا لما فيها من كرب وحزن
وربما كان مبعث هذه الآلام وتلك الاحزان ما قدم للاسلام من
خدمات في وقت لم يكن انصاره من القوة ما يمكنهم ان يستغنوا
عنه ولحزن الرسول البالغ عليه ، وتأثره العميق لاستشهاده ، فقد
روي انه لما وقف على حمزة قال : لن اصاب بمثلك ابداً ، ما وقفت
موقفاً قط اغيظ اليّ من هذا. ^(١)

وقد يكون سبب ولوج المسلمين هذه السبيل في رثائه ، رغبة
الرسول (ص) في بكائه فقد روي انه حين سمع بكاء الانصار على
قتلهم ذرفت عيناه ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له. ^(٢)

فطالب كعب صفيّة بنت عبدالمطلب أن تبكي النساء عليه ولا
تسأم ان تطيل عليه البكاء. فقال : ^(٣)

صفيّة قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزة
ولا تسأمي ان تطيلي البكاء على أسد الله في الهزة ^(٤)

وطلب حسان الى احدى نساء المسلمين اسمها مي أن تندب حمزة
ومن أصيب معه من أصحاب رسول الله يوم أحد فقال : ^(٥)

-
- (١) ابن هشام ٩٥/٢ . (٢) ابن هشام ٩٩/٢ .
(٣) الديوان ص ٢١٦ . (٤) اسد الله : لقب حمزة (رض) . والهزة : بالكسر تحرك الموكب .
(٥) ابن هشام ١٠١/٤ .

يا مي قومي فاندبي بسحيرة شجو النوائح^(١)
كالخاملات الوتر بالثقل الملححات الدوالح^(٢)
المعولات الخامشات وجوه حرات صحائح^(٣)
الى أن يقول:

يا حمز لا والله لا انساك ما صر اللقائح^(٤)
لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصابيح
من كان امسى وهو عما اوقع الحدثن جانح
فلياتنا فلتبك عيننا ه لهلكانا النوافح^(٥)
وسأل في قصيدة اخرى الشعراء ان يقلعوا عن بكاء الاطلال
ليندبوا حمزة: ^(٦)

دع عنك داراً قد عفا رسمها وابك على حمزة ذي النائل^(٧)
وبكاه كعب في قصيدة اخرى مع اعترافه الا فائدة من البكاء
والعويل: ^(٨)

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغني البكاء ولا العويل
على اسد الاله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القليل
وبكته أخته صفية بقصيدة حزينة منها: ^(٩)

-
- (١) الشجو : الحزن .
(٢) الملححات : النباتات التي لا تبرح . الدوالح : التي تحمل الثقل .
(٣) المعولات : الباكيات بصوت . الخامشات : الحادشات .
(٤) صر : ربط . اللقائح جمع لقحة بالكسر وهي الناقة .
(٥) النوافح : الذين كانوا ينفحون بالمعروف ويوسعون به .
(٦) ابن هشام ١٥٥/٤ . (٧) النائل : المطاء .
(٨) الديوان ص (٩) ابن هشام ٢/٢

فوالله لا أنساك ماهبت الصبا

بكاء وحرنا محضري ومسيري^(١)

فياليت شلوي عند ذاك واعظمي

لدى اضبع تعنادني ونسور^(٢)

وعندما استشهد خبيب توارد الشعراء على ندبه وبكائه ايضاً

فقال حسان بن ثابت: ^(٣)

يا عين جودي بدمع منك منسكب

وابكي خبيباً مع الفتيان لم يؤب

قد هاج عيني على علاّت عبرتها

اذ قيل نُصَّ الى جذع من الحشب^(٤)

وبكاه في قصيدة اخرى فاستهلها بقوله: ^(٥)

ما بال عينك لا ترقا مداً معها

سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق

على خبيب فتى الفتيان قد عاموا

لا فسل حين تلقاه ولا نرق^(٦)

وحين يستشهد دعاة الاسلام في يوم بئر معونة يطلب حسان الى

عينه أن تستهل بالدموع ويعلن لهفته على منذر بن عمرو فيقول: ^(٧)

(١) مسيري : أي غيابي .

(٢) الشلو : البقية . تعنادني : تتعاهدني :

(٣) ابن هشام ١٧٧/٢ . (٤) الملات : المشقات . نص : روم .

(٥) ابن هشام ١٧٧/٢ . (٦) الفسل : الجبان الضعيف .

(٧) ابن هشام ١٨٩/٢ .

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر
 فيا لهني لمنذر اذ تولى واعنق في منيته بصبر^(١)
 وسلك كعب سبيل الندب والبكاء ايضاً حين رثى عبيدة بن
 الحارث فطالب عينيه ان تجودا بالدمع ولا تبخلا عليه بذلك فقال:^(٢)
 ايا عين جودي ولا تبخلي بدمعك حقاً ولا تنزري
 على سيد همدنا هلكه كريم المشاهد والعنصر
 وحين يسنشهد سعد بن معاذ في يوم بني قريظة يدع حسان عينيه
 تسجمان عبراتها ويعذرهما عندما تفيضان في ذلك فيقول:^(٣)
 لقد سجمت من دمع عيني عبرة
 وحق لعيني ان تفيض على سعد^(٤)
 قتيل ثوى في معرك فجعت به
 عيون ذواري الدمع دائمة الوجد^(٥)
 وتتقد اللوعة في فؤاد متحم بن نويرة ، وسيتولى عنه الحزن
 والالم ، ويلف حياته الجزع فيظل يبكي اخاه مالكا الذي قتل في
 حروب الردة بقلب موجع وفؤاد ملتاغ فيقول:^(٦)
 لقد لامني عند القبور على البكا
 صديقي لتذراف الدموع السوافك

(١) اعنق : اسرع .

(٢) الديوان ص ٢٠٢ .

(٣) ابن هشام ٢/٢٦٩ .

(٤) سجمت : سالت .

(٥) معرك : موضع القتال . ذواري الدمع : ساكبات الدمع .

(٦) الاصابة ٣/٣٤٠ .

يقول اتبكي كل قبر رأيتَه
لقد ثوى بين اللوى والدكادك^(١)
فقلت له ان الشجى يبعث الشجى
فدعني فهذا كله قبرُ مالك

وقد ظل يبكيه ، وتذوب نفسه عليه حسرات حتى اسخط عمر
ابن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له . وصار ندبه له .
مضرب الامثال فتمثل به كل محزون ، ورواه كل مفجوع ، ويمكن
ان نعد رثاءه لأخيه خير مثال لشعر الندب والبكاء في الادب العربي .
ويستشهد سليمان بن خالد بن الوليد في احدى حروبه مع الروم
لفتح الشام ، فيرسل دموعه مدراراً ، وتشب نار الالم والحرقه في
فؤاده ، وتذوب احشاؤه ، ويظل يبكيه ما اشرق النهار واظلم الليل .
فيقول :^(٢)

جرى مدمعي فوق المهاجر منهمل
وحر فؤادي من جوى البين يشتعل
وهام فؤادي حين اخبرت نعيه
فليت بشير البين لا كان قد وصل
لقد ذوب الاحشا واجرى مدامعي
حبيبا وعن نار الفؤاد فلا تسل
سابكي عليه كلما اقبل المسا
وما ابتسم الصبح المنير وما استهل

(١) لوى الرمل : منقطه . والدكادك : جم دكدك وهو الرمل المستوي .

(٢) فتوح الشام ١٨٠/٢

لقد كان بديراً زائداً الحسن طالعا

فاصبح بعد النور والنور قد أفل

وتمتد يد آئمة مجرمة لاغتيال الخليفة عمر بن الخطاب فيخر شهيداً
فيبكيه الشعراء جميعاً ، ويكون الندب من ابرز وسائلهم في رثائه .
فطالبت زوجته عاتكة بنت زيد عينها ان تجودا بالعبرة والنحيب
والإفلا بكا الفقيده الحبيب فتقول :^(١)

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الامام النحيب
وعندما يقتل معرض بن الحجاج يوم الجمل تفرغ نفس اخيه نصر ،
وتدمع عيناه ، وتفارق نفسه حبها وامنها فيقول :^(٢)

لقد فزعت نفسي لذكري معرضاً
وعيناي جادت بالدموع شؤونها
فاصبحت قد فض القوارع مروتي
وفارق نفسي حبها وامينها

ولم يكتف الشعراء ببكاء من يفقدون ، و اظهار حزنهم وأساهم
عليهم بل حاولوا ان يشركو العوالم الطبيعية رزء المصاب فهي تحس
وتتألم معهم ، وتبكي وتنوح على موتاهم ، وعمار بن ياسر يشرك حمام
الايك فيما يحس به من آلام واحزان لمصرع سليمان بن خالد بن
الوليد ، فيطلب اليها بعد ان تشاركه النواح ان تعلم خالداً بما جرى
لابنه وان تنقل اخبار قتلى المسلمين الى ذويهم فيقول :^(٣)

(١) اسد الغابة ٧٨/٤

(٢) الاستيعاب ٣٧٧/٣

(٣) فتوح الشام ١٧٧/٢

فيا حمام الايك نوحى اذاً على فتى قد كان غصناً رطيب
وأعلمي بما جرى خالداً لعله يبكي بدمع صبيب
واخبري المقداد من بعده بان عبدالله اضحى سليب^(١)
بل واندي الأخياري من بعدهم وكل قرم للمعاني مصيب

ويستشهد جعفر بن ابي طالب في موقعة مؤتة فيظلم القمر ،
وتكسف الشمس وتكاد ان تأفل كما يقول كعب بن مالك :^(٢)

فتغير القمر المنير لفقده

والشمس قد كسفت وكادت تأفل^(٣)

وأظلمت اركان الارض واسود نور القمر لمصرع حمزة قال
حسان :^(٤)

اظلمت الارض لفقده واسود نور القمر الناصل^(٥)
وتنهى الجبال لمصرع عثمان (رض) وتحزن النجوم لمقتله ،
وتشارك الشمس المسلمين احزانهم فلا تبزغ كعادتها كل يوم ، بل
هي مكسوفة عليه قال كعب بن مالك :^(٦)

(١) عبدالله : هو عبدالله بن المقداد . حين رأى سليمان بن خالد ملقى على الارض
مصرعاً صاح لا حياة بعدك يا ابا محمد والملتقى في جنات عدن ثم غاص يقاتل فأحاطوا به
واشبتك عليه الأسنة وضرب ضربات كثيرة في وجهه ، وهو يقطع الرماح ويمسح الدم
عن وجهه حتى سقط به الجواد وصاح واشوقاه اليك يا مقداد ثم تبسم وقال : مرحباً ثم
مات رحمة الله عليه

(٢) ديوانه ص ٢٦١

(٣) تأفل : تغرب وتغيب

(٤) ابن هشام ١٥٦/٢ .

(٥) الناصل : الخارج من السحاب . ويقال : فصل القمر من السحاب اذا خرج عنه .

(٦) الديوان ص ٣٣١ .

ويحُ لامر قد أتاني رائع هد الجبال فانقضت برجوف
قتل الخليفة كان امراً مفضماً قامت لذلك بليمة التخويف

أما الطريقة الثانية التي سلكها الشعراء المسلمون في رثاء من
فقدوا فهي التآبين ، وهو ليس نواحاً ولا نشيجاً .. بل هو ادنى
الى الشناء منه الى الحزن الخالص ... فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه
هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهم من افرادها
، ولذلك يسجل فضائله ويلح في هذا التسجيل و كأنه يريد ان يحفرها
في ذاكرة التاريخ حفرأ حتى لا تُنسى على مر الزمن :^(١)

فحين رثت زينب بنت العوام ابنها عبد الله بن حكيم ، اظهرت
اثر فقدته وفقد عثمان بن عفان قبله على الدين وعلى قومها فقالت :^(٢)

فكيف بنا أم كيف بالدين بعدما

أصيب ابن اروى وابن ام حكيم

وعندما استشهد حمزة (رض) عم مصابه الناس جميعاً وخص
رسول الله (ص) كما عبر عن ذلك كعب بن مالك :^(٣)

اصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد اصيب به الرسول

وضاع امر المسلمين وتشتت بهم سبل الرشاد بعد استشهاد عثمان
ابن عفان (رض) كما قالت ليلى الاخيلية :^(٤)

قتل ابن عفان الامام وضاع امر المسلمين
وتشتت سبل الرشاد لصادرين وواردين

(١) شوقي ضيف : الرثاء ص ٦

(٢) جمهرة نسب قریش واخبارها ص ٣٧٩ .

(٣) الديوان ص ٢٥٢ (٤) الاستيعاب ٨٣/٣

وعندما كان الشعراء يسجلون فضائل المرثي ويعددون مناقبه
كانوا يخضعون هذه المناقب للمقاييس الإسلامية ، فتحدثوا بسيرة
لم تكن تعرفها الجاهلية ، فيها المجد والتقوى والإسلام ، وفيها الخير
والبر والوفاء وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت مصيبة الإسلام
والمسلمين في فقد أبي بكر الصديق ، فرثاه حسان بقوله :^(١)

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعد لها
بعد النبي وأوفاهما بما فعلا
الثاني اثنين والمحمود مشهده
وأول الناس طراً صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا
ويستشهد عمر بن الخطاب (رض) في رثيته الشماخ ويؤبنه تأييداً
رائعاً بمناقب إسلامية خالصة ساس بها المسلمين ورعى أمورهم فيها
بالعدل قال :^(٢)

جزى الله خيراً من إمام وباركت
يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يجر أو يركب جناحي نعامة
ليدرك ما قدّمت بالأمس يُسبَق

(١) الديوان ٢٩٩ .

(٢) الاستيعاب ٤٦٥/٢ .

قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها
 بوائج في اكمامها لم تُفتَق^(١)
 أبعد قتيل بالمدينة أظلمت
 له الأرض تهتز العِضاة بأسوق^(٢)
 ويستشهد عثمان (رض) فيتوارد الشعراء على تأييده بمحامده
 الإسلامية ومناقبه الدينية فيقول حسان^(٣) :
 ضحَّوا بأشمطَ عنوان السجود به
 يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(٤)
 صبراً فدى لكم أمي وما ولدت
 قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
 لتسمعنَّ وشيكاً في دياركم
 الله اكبر يا ثارات عثمان
 وراثاه في قصيدة أخرى مؤبناً آياه بنحوال إسلامية جديدة أيضاً
 فهو ولي الله وهو الرشيد المسدد^(٥) :
 قتلتم وليَّ الله في جوف داره
 وجئتكم بأمر جائز غير مهتد
 فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا
 على قتل عثمان الرشيد المسدد

-
- (١) بوائج : جم بائجة وهي الداهية .
 (٢) العِضاة : شجر ، وأسوق : جم ساق .
 (٣) الاستيعاب ٨٢/٣ .
 (٤) أشمط : شائب .
 (٥) الاستيعاب ٦٦/٣ .

وحين يستشهد الامام علي كرم الله وجهه ينهض الشعراء لراثه
فيؤبنونه بما فقد وامن أخلاقه الاسلامية وشمائله السامية ، فكل
مناقبه خير ، فهو حب رسول الله ، وخير قریش حسباً وديناً ، يقيم
الحق في الارض ولا يتردد فيه ، ويحكم بالعدل فلا يحيد عنه ، ويفيض
علماً ولا يكتمه ولا يتبختر تباهاً به كما يقول ابو الاسود الدؤلي: ^(١)

الا يا عين ويحك أسعدينا ألا تبكي أمير المؤمنين
أفي شهر الصيام فجمعتمونا بخير الناس طراً أجمعينا
فكل مناقب الخيرات فيه وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قریش حيث كانت بأنك خيرها حسباً وديناً
وكنا قبل مقتله بخيرٍ نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكتامٍ علماً لديه ولم يُخلق من المتجبرينا

ولم يقتصر الشعراء وهم في معرض تعديد مآثر المرثي وذكر
مفاخره على المناقب الاسلامية الجديدة ، وانما عرضوا ايضاً الى
كثير مما تعارف عليه العرب من مفاخر جاهلية لم ينكرها الاسلام ،
من ذلك التأبين بذكر الكرم فقد تداول اكثر الشعراء هذه المنقبة
التي عرف بها العربي في جاهليته ، قالت هند بنت اثالة ترثي عبيدة
ابن الحارث معددة خصاله من سيادة وحلم ورجاحة عقل وكرم ونجدة
وهي جميعاً من المناقب التي يفخر بها العربي في الجاهلية: ^(٢)

(١) الاستيعاب ٦٦/٣ .

(٢) ابن هشام ٤١/٢ .

لقد ضمن الصفراء مجداً وسودداً
 وحلماً اصيلاً وافر اللب والعقل^(١)
 عبيدة فابكيه لأضياف غربة
 وارملة تهوى لا شعث كالجدل^(٢)
 وبكيه للاقوام في كل شتوة
 اذا احمرّ افاق السماء من المحل^(٣)
 وبكيه للايتام والرياح زفزة
 وتشبيب قدر طالما ازبدت تغلي^(٤)
 فان تصبح النيران قدمات ضوءها
 فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
 لطارق ليل او لملتمس القـرى
 ومستنبح أضحى لويه على رسل^(٥)
 وأتى كعب بن مالك على ذكر الكرم في معرض تعديده مناقب
 عثمان واطاف اليه مناقب جاهلية اخرى كالوفاء وحفظ الجار والشجاعة
 فقال: ^(٦)

من معشر لا يغدرون بجارهم كانوا بمكة يرتعون زمانا

-
- (١) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة .
 (٢) الجدل اصل الشجرة : تصفه بالثبات والعقدة .
 (٣) المحل : القحط .
 (٤) الزفزة من الرياح : الشديدة السريعة المرور . والتشبيب : ايقاد النار تحت القدر ونحوها .
 (٥) المستنبح : الرجل يضل بالليل فيتكف بنباح الكلاب لتجاوبه كلاب الحي المتوم نزولهم في طريقه فيتهدي بصياحها . والرسل : بالكسر : اللبن .
 (٦) الديوان ٢٨٦ .

يعطون سائلهم ويأمن جارهم فيهم ويردون الكفاة طعانا
وذكرت ام سلمة هذه السجية ايضا حين رثت ابن عمها الوليد
ابن الوليد فقالت: (١)

قد كان غيثا في السنين ورحمة فينا وميره
وذكرت زينب بنت العوام هذه السجية في رثائها ابنها عبد الله
بن حكيم الذي فقدته يوم الجمل فقالت: (٢)

اعيني جودا بالدموع وأفرغا على رجل طلق اليدين كريم
وكانت الشجاعة من المناقب البارزة في تأبين الشعراء الاسلاميين
فهذه عاتكة بنت زيد تبكي زوجها عبد الله بن ابي بكر فلا تصفه الا
بالفتوة والشجاعة يوم الهياج فعندما تشرع الاسنة يتقدم الصفوف
ولا يعود الا بعد ان يحمرّ رمحه بدماء الاعداء فقالت: (٣)

فله عينا من رأى مثله فتى اكرّ وأحمى في الهياج واصبرا
اذا أشرعت فيه الاسنة خاضها الى الموت حتى يترك الرمح احمررا
وابرزت هذه السجية حين رثت عمر بن الخطاب فقالت: (٤)

فجعتني المنون بالفارس المع لم يوم الهياج والتشويب
وأبن حسان حمزة (رض) بهذه السجية ايضا فقال: (٥)

والتارك القرن لدى لبدة يعثر في ذي الخرص الذابل (٦)

(١) اسد الغابة ٩٣/٥ .

(٢) الاصابة ٣١٢/٤ .

(٣) الاستيعاب ٣٥٥/٤ .

(٤) المصدر السابق ٣٥٦/٤ .

(٥) ابن هشام ١٥٥/٢ .

(٦) القرن : المنازل في القتال . ذو الخرص : الرمح . الذابل : الرقيق .

واللابس الخيل اذا احجمت كالليث في غابته الباسل
 وجاء تأيين كعب له مؤ كدأ هذه السجية ايضاً اذ قال: ^(١)
 والتارك القرن الكمي مجدلاً^(٢) يوم الكريهة والقنا يتقصد^(٣)
 وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البرائن أربد^(٤)
 وقد توارداكثر الشعراء على هذه السجية في مرثيتهم.^(٥)
 وجمع حسان اغلب الخصال الجاهلية في مرثيته لحمزة (رض)
 فهو عون اليتامى وغوث الأراامل، وهو من يدعى حين ينوب
 الدهر وتسعر الحرب . فارس القوم والمدافع عنهم باللسان وباليد .
 وهو السيد الشريف اذا عد السادة الشرفاء كان في عليتهم ، وهو
 جواد طلق اليدين ، حلیم ذو وقار قال: ^(٥)

يا حمز ، لا والله لا انساك ما صرّ اللقائح^(٦)
 لمناخ أيتام واضيف وارملة تلامح^(٧)
 ولما ينوب الدهر في حرب حرب وهي لاقح
 يا فارساً يا مدرهاً يا حمز قد كنت المصامح^(٨)
 عنا شديداً الخطو ب اذا ينوب لمن فادح

-
- (١) الديوان ص ١٩٠ .
 (٢) مجدلاً : مطروحاً على الجدالة وهي الارض . يتكسر .
 (٣) ذو لبدة : اسد . واللبدة : الشعر الذي على كتفي الاسد . الاربد : الاغبر .
 يخالطه السواد .
 (٤) انظر مثلاً ديوان كعب ص ٢٠٢ و ٢٤٠ و ٢٦١ . واسد الغابة ٧٨/٤ .
 (٥) ابن هشام ١١٣/٢ .
 (٦) صر : ربط . واللقائح : جمع لقحة وهي الناقة لها لبن .
 (٧) المناخ : المنزل . تلامح : تنظر بعينها نظراً سريعاً ثم تفضها .
 (٨) المدره : المدافع عن قومه بلسانه ويده . والمصامح : الشديد الدفاع .

ذكرتني أسد الرسو ل وذاك مدرهنأ ، المنافع
عنا وكان يُعد اذ عُدد الشريفون الججاجح^(١)
يعلو القماقم جهرة سبط اليدين اغرّ واضح^(٢)
لا طائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح^(٣)

اما العزاء، وهي الطريقة الثالثة التي كان يسلكها شعراء الجاهلية في مراتبهم والتي برع فيها العباسيون من بعد فحظ المرآثي الاسلامية منها قليل مع ان القرآن الكريم قد حث عليها و امر بها في قوله تعالى (... وبشّر الصابرين . الذين إذا اصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون)^(٤) .

وتعني هذه الطريقة أن ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصدددها الى التفكير في حقيقة الموت والحياة وقد ينتهي به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة، ومرد هذا كله ان الحياة ظل لا يدوم واذن فليقبلوا الحياة كما هي ليقبلوها على انها دار زوال وانتقال وليست دار بقاء، واستمرار، فكل شيء يلعب دوره ويمضي ولا شيء، يدوم، والانسان ضعيف امام هذا التغير والتقلب لا يملك من امره ولا من حياته شيئاً ولهذا وجب ان تكون نظرتنا الى الحياة قائمة على التسليم لله والرضا بقضائه والصبر على امتحانه احتساباً وطلباً للاجر

(١) الججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد .

(٢) القماقم : السادة . وسبط اليدين : جواد .

(٣) الانح : البعير الذي اذا حمل الثقل اخرج من صدره .

(٤) سورة البقرة : آية ١٥٥-١٥٧ .

والمشوبة^(١) ولعل ضياع كثير من الشعر الاسلامي كان سبباً في
ظاهرة القلة .

وتوجد نماذج قليلة من هذا اللون من الرثاء ، ومن هذه النماذج
القليلة التي تناولت تلك المعاني وخضعت للتوجيه الذي بيناه مرثية
ابي ذؤيب الهذلي لابنائه الخمسة الذين فقدهم مرة واحدة في طاعون
حيث يقول :^(٢)

أمنّ المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع^(٣)
ولقد حرصت بأن ادافع عنهم فاذا المنية اقبلت لا تُدفع
واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تيممة لا تنفع^(٤)
والدهر لا يبقى على حدائنه جون السراة له جدائد اربع^(٥)
وثمة لون جديد لم يعرفه الشعر العربي من قبل وهو رثاء الاعضاء
والاشلاء التي كان يفقدها المجاهدون في ساحات المعركة . فيعدون
تلك الاعضاء احتساباً ، ويفخرون ببذلها في سبيل الله ، ومن تلك
الصور أن اخا بني كاهل فقد رجله في احدي حروب الاسلام فاحتسبها
عند الله وقال :^(٦)

صبراً عفاق انها الاساوره صبراً ولا تغمدك رجل نادرة

(١) انظر الرثاء ص ٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ص ٢ .

(٣) المنون : الدهر وقيل المنية . معتب : راجم عما تكره الى ما تحب .

(٤) انشبت اظفارها : ادخلت مخالبها في جسم فريستها . الفيت . وجدت .

(٥) يريد حمار الوحش . والجون : الاسود . والسراة : اعلى الظهر . جدائد :

أذن . وقد اعتبر الشاعر في حدثان الدهر بحمار الوحش ، لما ذكروا من انه يعمر
مائتي سنة او اكثر من ذلك .

(٦) الطبري ٢٢٠٥/٥

وحين قُطعت رجل عياض بن قيس القشيري في معارك اليرموك
جعل ينشدها وفي ذلك يقول سوار بن ابي اوفى^(١)

ومنا ابن عتاب وناشد رجله

ومنا الذي ادى الى الحي حاجبا

ويُطعن علباء بن جحش العجلي في بطنه ، فتندلق امعاؤه ، فلا
يجزع ولا يتردد ، وانما يدفع بها الى داخل بطنه قائلاً ، وهو يجود
بانفاسه الاخيرة :^(٢)

ارجو بها من ربنا ثوابا قد كنت ممن احسن الضرابا

وتقطع يد عبدالله بن سبرة الجرشي في مبارزة رئيس الروم في
يوم فلتاس فيحتسبها عند الله ، مشيداً بما قدمته تلك اليد في سبيل
الله ، فقد بارزت اربطون الروم ، ووجهت اليه ضربة سيف ، ولم
تقطع حتى قطعت اوصال الخصم ، ومع ذلك فقد بقي منها ما يفيد
المسلمين حين يأنسون فزعاً وجزعاً من الاعداء.^(٣)

يمنى يديّ عدت مني مفارقة لم استطع يوم فلتاس لها تبعا
وقائل غاب عن شأني وقائلة هلاّ اجتنبت عدو الله اذ صرعا
وكيف اتركه يسعى بمنصله نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلقي ولوتقارب مني الموت فاكتنعا^(٤)
وإن يكن اربطون الروم قطعها فان فيها بحمد الله منتفعا

(١) الاصابة ١/٣٨٣ .

(٢) الطبري ٥/٢٣١٠ .

(٣) الامالي ١/٤٧ .

(٤) اكتنعا : دنا .

وان يكن اربون الروم قطعها فقد تركت بها اوصاله قطعاً
بنانتين وجرموزاً اقيم بها صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا

وقد عرف شعر الفتوحات رثاء الشعراء انفسهم ، وقد عظمت
مصيبة هؤلاء الشعراء حينما كانوا يجدون انفسهم بعيدين عن وطنهم ،
غرباء عن ديارهم ، فبكوا انفسهم ، لا من اجل الموت ، بل للموت
البعيد ، ينظر الشاعر حوله فلا يجد أهلاً او احباباً ، ولا من يبكيه
او يندبه ، فتعظم المصيبة عليه ويزداد أنيه وبكاه ومن ذلك مرثية
مالك بن الريب الذي غزا خراسان فلما حضرته منيته بكى نفسه
قائلاً :^(١)

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة
يجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا^(٢)
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماش الركاب لياليا
لقد كان في اهل الغضا لو دنا الغضا
مزاراً ولكن الغضا ليس دانيا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا
برابية اني مقيم لياليا
وخطاً بأطراف الاسنة مضجعي
ورداً على عيني فضل ردائي

(١) الحماسة ٣٧/٢

(٢) النضا : شعرا وارض بنجد .

خذاني فخراني بيردي اليكما
 وقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
 تفقدت من يبكي علي فلم اجد
 سوى السيف والرمح الرديني باكيا
 وبالرمل منا نسوة لو شهدني
 بكين وفدين الطيب المداويرا
 عجوزي وأختاي اللتان أصيبتا
 بموتي وبنت لي تهيج البواكيا
 يقولون لا تبعد وهم يدفنوني
 واين مكان البعد الا مكانيا

وقد تميز الرثاء الاسلامي بانه كان يُستغل من قبل الشعراء لصالح
 فكرتهم وعقيدتهم ، فقد جعلوه صورة من صور الدعاية للدعوة
 الاسلامية وبث افكارها ، ونشر مبادئها ، فكان الشعراء يمزجون
 رثاءهم بثواب الآخرة ، والتنعيم بمجنات الخلد ، مؤكدين قيمة الاستشهاد
 في سبيل الله ، وتبرز هذه المعاني جميعاً في رثاء كعب بن مالك لشهداء
 أحد حيث يقول :^(١)

وقتلاهم في جنان النعيم كرام المداخل والمخرج
 بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذى الاضوج^(٢)
 غداة اصابت باسيافنا جميعاً بنو الاوس والخزرج
 واشياع أحمد اذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهبج

(١) الديوان ص ١٨٧ .

(٢) الاضوج : منعطف الوادي . او موضع قرب المدينة .

فما برحوا يرضون الكرامة ويمضون في القسطل المرهج^(١)
كذلك حتى دعاهم مليك الى جنة دوحه الموج^(٢)
واكد حسان حقائق الاسلام ومبادئه حين رثى سعد بن معاذ
الانصاري ، فقد اوضح حسن عاقبة المؤمنين الصادقين الذين باعوا
دنياهم بأخرتهم ليحصلوا على جنات الخلد فقال :^(٣)

فان كان ريب الدهر امضاك في الأولى

شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

فنعم مصير الصادقين اذا دُعوا

الى الله يوماً للوجهة والقصد

وفي مراثيته الاخرى له ولمن استشهد في يوم بني قريظة تناول
مبادئ الاسلام من خلال رثائه ايضاً فشرحها متجسمة في شهداء
الاسلام فقال :^(٤)

تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت

بنات الحشى وانهلّ مني المدامع^(٥)

صباية وجد ذكّررتني أحبة

وقتلى مضى فيها طفيل ورافع^(٦)

(١) الكرامة : الشجمان . والقسطل : النبار . المرهج : الذي علا في الجو .

(٢) دوحه : شجرة عظيمة .

(٣) ابن هشام ٢/٢٧٠ .

(٤) ابن هشام ٢/٢٧٠ .

(٥) بنات الحشى : القلب وما اتصل به . انهل : سال

(٦) طفيل : هو الطفيل بن النعمان الخزرجي الانصاري

وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت
منازلهم فالارض منهم بلاقع^(٧)
وقووا يوم بدر للرسول وفوقهم
ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم
مطيع له في كل أمر سامع
فما نكلوا حتى تولوا جماعة
ولا يقطع الآجال الا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعته

إذا لم يكن الا النبيون شافع
وتأتي هذه المعاني في رثاء كعب لحمزة (رض) فقد اوضح فيه
ثواب الشهيد وهو الجنة وما يخاطها من نعم دائم لا يزول فقال: ^(٥)
عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعم لا يزول
وحين يدعو حسان لخبيب بالجنة وطيب المقام فيها انما يؤ كدمبدأ
الآخرة والثواب قال: ^(١)

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الحور في الرفق^(٢)
وكذلك حين يصلي على من اسنشهد يوم الرجيع حيث يقول: ^(٤)
صلى الأله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

(٧) بلاقع : قفار ، خالية

(٨) الديوان ص ٢٥٢

(٢) ابن هشام ١٧٧/٢

(٣) الرفق : جم رفيق

(٤) ابن هشام ١٨٣/٢

مَرَاتِمُ رَسُولِ اللَّهِ

أحسَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام بوعكة المرض الذي ألمَّ به في أوخر صفر من السنة الحادية عشرة ، وجعلت الآلام تشتد عليه ووطأتها يوماً بعد يوم ، وقد عبّرت السيدة فاطمة عن ذلك بقولها :
مارأيت أحداً كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .
وتمكنت الحمى منه ، وتصعدت حرارتها في سائر أعضائه الجسمية حتى إن عمر بن الخطاب دخل عليه وهو محموم ، فوضع يده عليه فقبضها من شدة الحر .

وبدأت قواه البدنية تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى حلَّ الاجل ووقعت المصيبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول .
ولحق بجوار من اختاره واصطفاه ، وتسربَّ النبأ الفادح من البيت المحزون ، وفزع المؤمنون لهذا النبأ ، واطلمت آفاق المدينة ، وزاغت ابصار من فيها من أصحابه ، وافقد الهلع وعي كثير من المسلمين ، فلا يدرون ماذا يفعلون ، فاقتمحوا على النبي عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة ، ينظرون إليه ، فقالوا : كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس ، فيموت ولم يظهر على الناس ؟ لا والله ما مات ، ولكنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى بن مريم ، وليرجعن .

(١) ابن سعد ٢٠٧/٢

وتوعدوا من قال انه مات ، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب :
لا تدفنوه ؛ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يميت ^(١) . ووقف عمر
خطيبا - وقد اخرجته هول المصاب عن وعيه - فقال :

لا اسمعن احداً يقول : ان محمداً قد مات ، ولكنه أرسل اليه ،
كما أرسل الى موسى بن عمران ، فلبث عن قومه اربعين ليلة ، والله اني
لارجو أن يقطع ايدي رجال وارجلهم ، يزعمون انه مات ^(٢) .

واقبل ابو بكر فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل
بيت عائشة فتيتم رسول الله وهو مسجى ببردة ، فكشف الثوب
عن وجهه ، فاسترجع ، فقال : مات رسول الله . ثم تحول من قبل
رأسه فقال : وانبياء ، ثم حدر رفته فقبل جبهته ، ثم سجّاه بالثوب ثم
خرج ^(٣) الى الناس في المسجد وعمر يكلمهم . فقال ابو بكر : اجلس ،
فأبى عمر ان يجلس ، فكلمه ابو بكر مرتين او ثلاثا . فلما ابى عمر
أن يجلس قام ابو بكر خطيباً فاقبل الناس اليه ، وتر كوا عمر . وبعد
التشهد قال : أما بعد : فمن كان منكم يعبد محمداً فان محمداً قد مات ،
ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت ! قال الله تبارك وتعالى :
« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين »

فلما تلاها ابو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) ابن سعد ٢٧١/٢

(٢) نفس المصدر ٢٦٦/٢

(٣) ابن سعد ٢٥٦/٢

حتى قال قائل من الناس : فوالله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية
نزلت ، حتى تلاها ابو بكر ، فانما هي في أفواههم .

وقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو الا أن سمعت ابا بكر تلاها
فَعُقِرْتُ^(١) ، حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاي ، وعرفت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات^(٢) .

وعم الناس الحزن ، ولفهم الأسي ، فضجّت اجواء المدينة
بالشيج والبكاء ، وارتفعت اصوات الشعراء في أرجاء المعمورة ،
معبرةً عن مشاعر اصحابها الحزينة ومفصحة عن لوعة أفئدتهم .

وقد وصلت الينا صور كثيرة من هذه الاشعار الباكية الحزينة .
والشعر الذي بين ايدينا من مرثي الرسول يجمع بين شعر العاطفة
الخاصة ، المعبرة عن شعور الشخص ، وبين شعر الرثاء العام ، المعبر
عن عظم المصيبة في فقدده وخسارة الامة بفراقه .

وخير ما يمثل النوع الاول قصيدة السيدة فاطمة فهي تقطر أسي
وحزناً ، وتتفجر عاطفة ولوعة ، فكل بيت فيها يقطر دمعاً بل دماً ،
فالحزن يجري في قلبها وفؤادها ، ويتمثل في حر كاتها وسكناتها ،
بل في كل بيت من أبيات قصيدتها .

ولم أجد خيراً من ايرادها كاملة لتصور تلك النفس المعذبة الملتاعة .

قد كنت ذات حمية ما عشت لي

أمشي البراح و كنت أنت جناحي^(٣)

(١) عقرت - بالبناء للمجهول - دهشت وتعيرت ، تقول عقر الرجل اذا تمير

ودمش .

(٢) ابن هشام ٤/٣٣٥ .

(٣) براحاً : الظهور والبيان .

فاليوم أخضع للضعيف وأتقي
منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قرية شجنتها
يوماً على فنن دعوت صباح
وأغضني مني الطرف أعلم انه
قدمت خير فوارسي وسلاحي
حضرت منيته فأسلمني العزا
فتمكنت جمر الغضا لجراحي
نشر الفراش علي ريش جناحه
فظللت بين سيوفه ورماح
من ذا يؤمل أن يعيش مخلداً
والموت بين غدوه ورواح
يارب صبرني على ما حل بي

مات النبي وانظفاً مصباحي^(١)

وقد حاول بعض الشعراء عبثاً تسليتها ، وتصبيرها ، لعلها تخفف
من تلك اللوعة ، وتطفىء بعض النيران الملتهبة بين جنبها ، فخاطبتها
هند بنت اثاثة بقولها :^(٢)

أفطم فاصبري فلقد أصابت

مصيبتك التهاثم والنجودا^(٣)

(١) الف با ٤٥/٢

(٢) ابن سعد ٢٣٩/٢

(٣) التهاثم : ما انخفض من الارض . والنجود : ما ارتفع منها

واهل البر والأبحار طرّاً

فلم تخطى مصيبتة وحيدا

وقد أحسن حسان في تصوير ما أصابه عند فقد رسول الله، فصور
حاله بأنه أصبح بعد فقدته وحيداً في صحراء قاحلة يكاد يقتله الضمأ
بعد ان كان في ماء ونهر فقال: ^(١)

يا افضل الناس اني كنت في نهر

اصبحت منه كمثلي المفرد الصادي ^(٢)

ويبلغ به التأثر منتهاه حين يقول: ^(٣)

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وصور غنيم بن قيس المازني أثر فقد الرسول في نفسه فقال: ^(٤)

ألاي الويل على محمد قد كنت في حياته بمقعد
وفي أمان من عدو معتد

أما الصديق فقد ضاقت عليه الديار، ووهنت منه العظام، وودفن

حبه، وبقي منفرداً وهو حسير: ^(٥)

لما رأيت نبينا متجدلاً ضاقت عليّ بعرضهن الدور

وارتعت روعة مستهام واله والعظم مني واهن مكسور

أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى وبقيت منفرداً وأنت حسير

(١) الديوان ص ١٠٠ .

(٢) اي كنت ريان في حياتك فصرت بعدك صادياً من الصدى وهو العطش الشديد.

(٣) الديوان ص ١٦٥ .

(٤) الاصابة ٣ / ١٨٩ .

(٥) ابن سعد ٢ / ٣٢٠ .

وتفنن الشعراء في النوع الثاني من الرثاء وهو تبيان أثر فقدته
على المجتمع والناس ، واجادوا في صورته ، فابتدت السيدة صفية بنت
عبد المطلب تخوفها مما سيحل بالمسلمين من الاضطراب أثر فقدته
فقالت :^(١)

لعمرك ما أبكي النبيَّ لفقدته ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
واوضحت ما حصل بينهم فعلا في قصيدة اخرى^(٢)

قد كان بعدك أنباء وهنئة

لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب^(٣)

انا فقدناك فقد الارض وابلها

واختل قومك فاشهدهم فقد سغبوا

وأوضح عبد الله بن سلمة فداحة المصيبة التي عمت جميع المسلمين
فقال :^(٤)

ان فقد النبي جزعنا اليوم م فدته الاسماع والابصار

ما أُصيب به الغداة قريش لا ولا أفردت به الانصار^(٥)

أما أبو الهيثم بن التيهان فانه كنى عما أصاب المسلمين من ذل

لفراقه بقوله :^(٦)

لقد جُدعت اذاننا وانوفنا غداة جُفِعنا بالنبي محمد

(١) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤

(٢) البيان والتبين ٢٠٤/٣

(٣) الهنئة الامر الشديد

(٤) سغبوا : السغب الجوع من التعب

(٥) الاصابة ٢١٠/٤

(٦) الاصابة ٢١٠/٤

وصور حسان أثر المصيبة في بيت الرسول :^(١)

أمسى نساؤك عطلمن البيوت فما

يضربن فوق قفا سترٍ بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد

أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي^(٢)

وخصّ قومه الأذنين - الانصار - باثر المصيبة فضاقت بهم البلاد

واسودت منهم الوجوه :^(٣)

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا

سوداً وجوههم كلون الأثم^(٤)

وذلت رقابهم لما حل بهم من أمر الله :

ذلت رقاب بني النجار كلهم

وكان امراً من امر الله قد قدرا

وحاول الشعراء ان يشر كوا العوالم الطبيعية رزء المصاب ، فهي

تحس وتتألم لفراقه ، فانكسفت الشمس ، وخبا البدر ، وتزعزعت

الآطام ، وانهدت الجبال ، واقتلعت النخيل كما يقول ابو ذؤيب

الهدلي :^(٥)

(١) الديوان ص ١٠٠

(٢) لعل حسان يريد ان بيوت النبي اصبحت بعده لا يقصدها أحد وأمسى نساؤه فيها مثل الراهبات ، يلبسن المسوح ، بعد ان فارقتن النعيم بفراق النبي ، وأيقن بالبؤس البادي .

(٣) الديوان ص ٩٨

(٤) الأثم : قيل حجر يتخذ منه الكحل ، وقيل الكحل نفسه .

(٥) الاستيعاب ٦٦/٤

كُسفت لمصرعه النجوم وبدرها
وتزعزعت آطامُ بطنِ الابطح
وتزعزعت أجيال يثرب كلها
ونخيلها لخلول خطبٍ مفدح
وفي رثاء السيدة فاطمة شاركت الطبيعة أيضاً فأغربت آفاق
السما، وكُوِّرت الشمس، واطلم النهار، واضطربت الارض :
اغبر آفاق السماء وكُوِّرت شمس النهار واطلم العصران^(١)
فالارض من بعد النبي كئيبه أسفاً عليه كثيرة الرجفان^(٢)
ولم تضمن الطبيعة في قصيدة فاطمة الاخرى أيضاً، فشاركت
المسلمين أحزانهم:

ان يوماً أتى عليك ليومٌ كُوِّرت شمسه وكان جلياً
وشاركت الارض المسلمين في مصيبتهم فالت جوانبها ومادت
تحت أرجل المسلمين في رثاء أبي سفيان بن الحارث :
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قد قيل قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
وأوضحت هذه المرثي ما سوف ينبع فقد الرسول من انقطاع
الوحي الذي كان يتنزل على قلبه الشريف .

فكعب بن مالك أكد أن فقدته يعني انقطاع الوحي الذي كان
يهبط عليه في حياته ، وما دام محمد عليه السلام قد انتقل الى الرفيق

(١) الممددة ١٢٢/٢

(٢) كورت : سقطت ، والعصران : الفداة والشبي الى أحمرار الشمس .

(٣) الدخائر والاعلاق ٢٤٠

الاعلى فلا أمل بعد ذلك اليوم في هذا النور، الذي كان يعم الكون،
ويشمل العالمين: ^(١)

ألا انعمي النبي الى من هدى من الجن ليلة اذ تسمعونا
لفقد النبي امام الهدى وفقد الملائكة المنزلينا
وأتى حسان على هذا المعنى بعد أن مهّده بالحديث عن فداحة
الرزء، وعظم المصيبة، فقال: ^(٢)
وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد
وتناولت السيدة فاطمة هذا المعنى حين وقفت على قبر أبيها تبكيه
فقالت: ^(٣)

إنا فقدناك فقد الارض وابلها
وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
وتطرق أبو سفيان بن الحارث الى هذا المعنى في مرثيته ايضاً فقال: ^(٤)
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به وينعدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس او كادت تسيل
وتعديد الخصال وتسجيل المناقب من السبل التي سلكها معظم
من رثى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكروا مناقبه، وعددوا
فضائله، ونشروا محامده، وهو ما يسمى بـ (التأبين). ^(٥)

(١) الديوان ص ٢٨١

(٢) الديوان ص ٩٢

(٣) يفور: يبلغ الدور وهو المنخفض من الارض. وينجد يبلغ النجد، وهو المرتفع من الارض.

(٤) ابن كثير ٢٨٢/٥.

(٥) انظر شوقي ضيف: الرثاء ص ٥٤

ولكن جميع هؤلاء الشعراء تحدثوا بسيرة جديدة لم تكن تعرفها
الجاهلية . فيها المجد والتقوى والايان ، وفيها الخير والبر والوفاء .
وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت فاجعة الاسلام والمسلمين
عند فقد رسول الله عليه السلام .
فهذا كعب بن مالك يلح على عينيه ان تبكيها رسول الله بدمع
منهمر :^(١)

يا عين فابكي بدمع ذرى خـير البرية والمصطفى
وبكى الرسول وحق البكاء عليه لدى الحرب عند اللقاء
على خير من حملت ناقه واتقى البرية عند التقى
على سيد ماجد جحفل وخير الانام وخير الالهة^(٢)
وبكت السيدة اروى بنت عبدالمطلب فيه البر والرحمة والهدى ،
فقالته^(٣)

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
و كنت بنا براً ولم تك جافيا
و كنت بنا رؤفاً رحيماً نبينا
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
ويقرر حسان أن الذين كانوا يهيلون عليه التراب ويذرفون
لاجله الدموع ، قد دفنوا أحلاماً رفيعة ، وغيبوا علماً ورحمة :^(٤)
تهيل عليه التراب أيدٍ وأعينٌ عليه وقد غارت بذلك أسعد^(٥)

(١) الديوان ص ١٧٣ :

(٢) جحفل : عظيم التقدر . واللاه . جم لهوة وهي المطية .

(٣) ابن سعد ٢/٣٢٥ .

(٤) الديوان ص ٩١ .

(٥) غارت بذلك أسعد : غاب بغيابه اليمن والبركة .

لقد غيَّبوا حِلماً ورحمة عشية عدَّوه الثرى لا يوسد
وحسان أكثر الشعراء، إيثاراً لهذه الطريقة، فقد أطل في عرض
شماثله الكريمة، وخصاله الحميدة :

امامٌ لهم يهديهم الحق جاهداً معلمٌ صدق ان يطيعوه يسعدوا
عفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم وان يحسنوا فالله بالخير أجود
ويقول :

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعفٌ وأوفى ذمة بعد ذمة واقرب منه نائلاً لا ينكد^(١)
وظل يحاول تعديد هذه المآثر ويعرض لتلك الشماثل الى ان اعياه
التعداد، فظهر عجزه؛ لانه لم يقو على احصائها اكثرتها، ولم يسعفه
التفكير لتشعبها :

ظلت بها أبكي الرسول فأسعدت

عيون ومثلاهما من الجفن تُسعد

تذكرُ آلاء الرسول وما أرى

لها محصياً نفسي فنفسى تبدد^(٢)

مفجعةٌ قد شفها فقد أحمد

فظلت لآلاء الرسول تُعدُّ

أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها

على طلل القبر الذي فيه أحمد

وساكت هندية بنت عبد المطلب تعديد المناقب أيضاً حين خاطبت

(١) النائل : ما تناله ، أي عطاء . والمنكد : النزر .

(٢) تبدد : أي تبدد وهي التي تلحقها الحيرة . وهو نقيض التجلد ايضاً .

السيدة فاطمة في مرثيتها لرسول الله: ^(١)

الميكُ خير من ركب المطايا واكرمهم- اذا نُسبوا- جدودا
وكان المجد يصبح في ذراه سعيد الجُد قد ولد السعودا
فموتي ان قدرت ان تموتي فقدت الطيبَ الرجلَ المجيدا
رسول الله خير الناس حقاً فلست ارى له أبداً نديدا
وحين بكت عاتكة بنت عبدالمطلب انما كانت تبكي خصاله
الشريفة ايضاً قالت: ^(٢)

فابكي المبارك والموفق ذا التقى

حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد

من ذا يفك عن المغل غلّه

بعد المغيب في الضريح الملحد

أم من لكل مدفع ذي حاجة

ومسلسل يشكو الحديد مقيّد

وبكت هذه السجايا وامثالها ايضاً في مرثيتها الاخرى فقالت: ^(٣)

وسحا عليه وابكيا ما بكيما

على المرتضى للمحكيات العزائم

على المرتضى للبر والعدل والتقوى

وللدين والاسلام بعد المظالم

على الطاهر الميمون ذي الحلم

وذي العقل والداعي لخير التراحم

(١) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٨ .

(٢) ابن سعد ٢/٣٢٦ .

(٣) ابن سعد ٢/٣٢٧ .

وعرضت السيدة صفية لخصاله الكريمة في مرثيتها له ايضاً فقالت^(١)
 ثمال المعدمين وكل جار وماوى كل مضطهد غريب^(٢)
 فاما تمشي في جدث مقيماً فقدما عشت ذا كرم وطيب
 وكنت موفقاً في كل امر وفيما ناب من حدث الخطوب
 ولم تعد هذه الطريقة في مرثياتها الاخرى^(٣) .

واستعان شعراء هذه المرثي في رثائهم للرسول بالبكاء ، فطالبوا
 طلبوا الى اعينهم ان تنجدهم بالدموع ، والى مآقيهم ان تسعفهم
 بالبكاء ، فنثروا الدموع الغزار ، فاستهل كعب بن مالك مرثيته
 بقوله :^(٤)

يا عين فابكي بدمع ذري لخير البرية والمصطفى
 وبككي الرسول وحق البكاء عليه لدى الحرب عند اللقاء
 واستهلّت السيدة صفية معظم مرثياتها ، بمطالبة عينها ان تجودا
 بالدموع فقالت :^(٥)

أعيني جودا بدمع سجّم يبادر غرباً بما منهدم^(٦)
 أعيني فاسحنفرا واسكبا بوجد وحزن شديد الالام^(٧)
 على صفوة الله رب العباد ورب السماء وباري النسم
 واستهلّت اخرى بذلك فقالت :^(٨)

-
- (١) المصدر نفسه ٣٢٩/٢ . (٢) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .
 (٣) انظر ابن سعد ٣٢٩/٢ و ٣٣٠ .
 (٤) الديوان ص ١٧٣ .
 (٥) ابن سعد ٣٢٨/٢ .
 (٦) سجّم : سائل .
 (٧) اسحنفرا : اسحنفر المطراي كثر .
 (٨) ابن سعد ٣٢٩/٢ .

عين جودي بدمعة تسكاب
للنبي المطهر الأواب
واندي المصطفى فعمي وخصي
بدموع غزيرة الأسراب
واستهلت مرثيتها الثالثة بالمطالبة بالدموع ايضاً فقالت^(١):
عيني جوداً بدمعة وسهود^(٢) واندي خير هالك مفقود
واندي المصطفى بحزن شديد خالط القلب فهو كالمعمود^(٣)
وانكرت على عينيها الا تجوداً بدموعها على خير البرية في مرثية
اخرى فقالت^(٤):
ما لعيني لا تجودان رياً اذ فقدنا خير البرية حياً
وسلكت بقية الشواعر هذه الطريقة ايضاً فاستهلت هند بنت
البحارث مرثيتها بقولها^(٥):
يا عين جودي بدمع منك وابتدري
كما تنزل ماء الغيث فانشعبا
لقد أتتني من الانبياء معضلة
ان ابن آمنة المأمون قد ذهباً
واستهلت هند بنت أثالة مرثيتها بقولها^(٦):
ألا يا عين بكّي لا تملي فقد بكر النعي بمن هويت

(١) ابن سعد ٢/٢٣٠ . (٢) سهود : الارق وقلة النوم .

(٣) المعمود : من هذه العشق

(٤) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٥

(٥) ابن سعد ٢/٢٣٠

(٦) ابن سعد ٢/٢٣١

واستهلت السيدة ام أيمن مرثيتها بذلك ايضاً فقالت^(١) :
 عيني جودي فان بذلك للدم -ع شفاء فاكثري م البكاء
 وابكيا خير من رزئناه في الدن -يا و من خصته بوحي السماء
 و فعلت الشيء نفسه أروي بنت عبدالمطلب فقالت^(٢) :
 الا يا عين ويحك واستهلي على نور البلاد واسعديني
 الا يا عين ويحك اسعديني بدمعك ما بقيت وطاوعيني
 وسلك حسان هذا الاسلوب في معظم مرثيته ايضاً فخاطب عينيه
 طالبا اليهما ان تسيلا بدمع منهنم ، وان تسعداه بالبكاء الغزير ،
 ويسألها ان تنشجا على من سوف لا يجود الدهر بمثله ، فيقول^(٣) :

فبكى رسول الله يا عين عبرة
 ولا اعرفنك الدهر دمعك يجمد
 فجودي عليه بالدموع وأعولي
 لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

الى أن يقول :

ظلمتُ بها ابكي الرسول فأُسعدتُ
 عيونٌ ومثلاها من الجفن تُسعد
 واستهل مرثيته الاخرى بقوله^(٤) :
 يا عين جودي بدمع منك اسبال
 ولا تمدن من سح واعوال

(١) ابن سعد ٢/٣٣٣

(٢) المصدر السابق ٢/٣٢٥

(٣) الديوان ص ٩٥

(٤) ابن سعد ٢/٣٣٣

ولم يكتفِ الشعراء بما صبت أعينهم من دموع ، وما تفجر في
مآقي المسلمين من بكاء ، وإنما حاولوا ان يشرخوا جميع الكائنات
والموجودات معهم في البكاء .

فهذا حسان بن ثابت يذكر بكاء السموات والارض فيقول^(١) :

يَبْكُونُ مِنْ تَبْكِي السَّمَوَاتِ يَوْمَهُ

وَمَنْ قَدْ بَكَتِ الْأَرْضُ فَالْنَّاسُ الْكَمْدُ^(٢)

وتطالب السيدة فاطمة شرقي البلاد وغربيها ان تبكيها ، وكذا
عرب الشمال والجنوب ، والجبال والبيت الحرام فتقول^(٣) :

فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْيَبْكِهِ مَضْرُوكُ الْيَمَانِ
وَلْيَبْكِهِ الطُّودُ الْمُعْظَمُ جَوْهَ وَالْبَيْتُ ذُو الْإِسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ^(٤)

واشرك عامر بن الطفيل الارض والسماء في البكاء ايضاً فقال^(٥) :

بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى النَّوْرِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا
مَنْ هَدَيْنَا بِهِ إِلَى سَبِيلِ الْإِلَهِ حَقٌّ وَكُنَّا لَنَعْرِفَ الْمُنْهَاجَا

واشرك مران بن ذى عمير الهمداني جبريل مع الارض والسماء
فقال^(٦) :

ان حزني على الرسول طويل ذاك مني على الرسول قليل
بكت الارض والسماء عليه وبكاه خديمه جبريل

(١) الديوان ص ٩١

(٢) الكمد : أي احزن من الكمد وهو الحزن .

(٣) الممددة ١٥٣/٢

(٤) الطود : الجبل . وجوه : منخفضة .

(٥) الاصابة ٢٤٢/٢

(٦) الاصابة ٤٦٥/٣

وحاول الشعراء من خلال هذا الرثاء تأكيد هدايته لهم ، وانه
مصدر النور والاشراق ، فشبهوه بالضياء تارة ، وبالبدر المتلالي ،
حيناً ، وبالسراج الوهاج حيناً آخر .

فقال حسان^(١) :

يا بَكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنةً بسعد الاسعد
نوراً اضاء على البرية كلها من يُهد للنور المبارك يهتدي
وقال في مرثية اخرى^(٢) :

كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الاله وكان السمع والبصر
واستعارت هند بنت ابي ذؤيب هذه الاوصاف في رثائها ايضاً فقالت^(٣) :
قد كنت بديراً ونوراً يُستضاء به

عليك تنزل من ذي العزة الكتب

واكدت السيدة صفية هذه الاوصاف فشبهته بالسراج المنير^(٤) :
وسراجاً يجلو الظلام منيراً ونبيلاً مُسدداً عربياً
وجاء رثاء عامر بن الطفيل تأكيداً لذلك ايضاً فقال^(٥) :

بكت الارض والسماء على النور

والذي كان للعباد سراجاً

من هدينا به الى سبيل الحق وك

سنا لا نعرف المنهاجاً

(١) الديوان ص ٩٨

(٢) المصدر السابق ص ١٦٤

(٣) ابن سعد ٣٣٢/٢

(٤) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤

(٥) الاصابة ٢٤٢/٢

ولم ينس من رثى رسول الله من الشعراء ان يخصصوا نبيهم بالدعاء ،
والصلاة ، والتبريك ، والتسليم ، خلال رثائهم له .

فحسان يبارك قبره الشريف ولحده الطاهر فيقول: ^(١)

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك أحد منك ضمن طيبا

عليه بناء من صفيح منضد ^(٢)

ثم يتوجه الى الله ان يصلي وملائكته والطيبون على حبيبه فيقول:

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد

وأبو بكر يضرع الى الله ان يصلي عليه فيقول: ^(٣)

فصلى المليك ولي العباد ورب البلاد على احمد

وتدعو له أروى بنت عبد المطلب بالسلام والجنان: ^(٤)

عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا

وخصه عبد الله بن سلمة الهمداني بالسلام كلما هبت الريح، وازال

النور الظلام ، فقال: ^(٥)

فعليه السلام ما هبت الريح ومدت جناح الظلام نوار

وسلكت السيدة صفية هذه الطريقة فبلغته سلامها وسلام ربه

(١) الديوان ص ٩١ .

(٢) الصفيح : الحجر الرقيق العريض . والبناء : المنضد : ما رصف وجعل بعضه

على بعض .

(٣) ابن سعد ٣١٩/٢ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٥/٢ .

(٥) الاصابة ٢٤٢/٢ .

كل بكرة وعشاء فقالت: (١)

فعليك السلام منا ومن ربك بالروح بكرة وعشيا
واستنزلت عليه رحمة الله وسلامه ، وحسن ثوابه فقالت: (٢)

رحمة الله والسلام عليه وجزاه المليك حسن الثواب
وترضت عنه في الدنيا والآخرة ودعت له بالجنان الخالدات فقالت: (٣)
رضي الله عنه حيا وميتا وجزاه الجنان يوم الخلود
وعاتكة تدعو له بالمغفرة فتقول: (٤)

فاذهب حميداً جزاك الله مغفرة يوم القيامة عند النفخ في الصور
وتمنى هؤلاء الشعراء ان يقدوا رسول الله بكل ما يملكون ،
بانفسهم واهليهم والمسلمين فقال حسان: (٥)

وجهي يقيك التراب لهفي ليتني
بابي وامي من شهدت وفاته
غيببت قبلك في بقيع الغرقد (٦)
في يوم الاثنين النبي المهدي
الى ان يقول :

أقيم بعدك في المدينة بينهم
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً
يا ليتني صبحت سمّ الأسود (٧)
محضاً ضرائبه كريم المحمد (٨)

(١) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤ .

(٢) ابن سعد ٢/٢٢٩ .

(٣) المصدر السابق ٢/٣٣٠ .

(٤) نفس المصدر ٢/٣٢٦ .

(٥) الديوان ص ٩٧ .

(٦) بقيع الغرقد : بقيم يقع في المدينة يدفنون فيه موتاهم .

(٧) صبغت : سقيت صبغاً . والاسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .

(٨) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية .

وذهب الى ابعده من ذلك حين تمنى الا يبقى بعده مخلوق على
وجه البسيطة فقال: (١)

فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه والقوا فوقه المدرا (٢)
لم يترك الله فيما بعده أحدا ولم يُعش بعده انشى ولا ذكرا
وتمت السيدة صفية لو حل يومها قبل ان تحل مصيبة فقد
الرسول فتقول: (٣)

ليت يومي يكون قبلك يوماً انضح القلب للحرارة كياً
اما سيدنا ابو بكر فانه تمنى ان تقوم القيامة بعد فقده، والى يرى
بعده ما لالا ولا ولداً وان يفديه باغلى ما يملك الانسان بنفسه فقال: (٤)
يا ليتني حيث نُبئت الغداة به

قالوا الرسول قد أمسى ميتاً فُقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه

ولا نرى بعده ما لالا ولا ولدا

الى ان يقول:

نفسى فداؤك من ميت ومن بدن

ما اطيب الذكرو الاخلاق والجددا

وتمنى في مرثية اخرى ان لو غيب من قبل ان يُروّع بفقد

صاحبه عليه السلام فقال: (٥)

(١) الديوان ص ١٦٤ .

(٢) المدر : التراب .

(٣) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤ :

(٤) ابن سعد ٢ / ٣٢٠ .

(٥) ابن سعد ٢ / ٣٢٠ .

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غُيبت في جدث عليّ صخور
وتمت السيدة فاطمة لو صادفت الموت قبل ان يصل اليها نعي
الرسول ، وغيبته الكُثبان فقالت :^(١)

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما نُعيت وحالت دونك الكُثب

وفدته السيدة صفية بامها وخالتها وعمها وكل آباءها وبنفسها
وما لها فقالت :^(٢)

أفاطم صلى الله رب محمد علي جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله امي وخالتي وعمي وآبائي ونفسي وماليا
ومتى عبد الله بن انيس ان يقتل نفسه فداء لرسول الله لو عاد ميت
بقتل آخر فقال :^(٣)

فلو ردّ ميتاً قتل نفسي قتلتها ولكنه لا يدفع الموت دافع
واخيراً فما دام الموت حقاً ، فلا مناص من التسليم لله ، والرضا
بقضائه في رسوله ، ولكن أئني للمسلمين ان يطيقوا فراق ربيع
قلوبهم ، ومن تغلغل حبه في كل ذرة من اجسادهم ، أئني لهم ان
يصبروا عن النور الذي غمر افئدتهم والسعادة التي ملأت عقولهم .

ان لقاءه اصبح حلم كل شاعر ، ومصاحبته أمل كل مسلم
ومسامة ، فتمنوا ان يجمعهم الله به يوم القيامة ، ليُسعدوا بجواره ،
ويأنسوا بقربه ، فقال حسان :^(٤)

(١) مرثي شاعر العرب ص ١٦٦ .

(٢) الاستيعاب ٢١/١ .

(٣) ابن سعد ٣٢١/٢ .

(٤) الديوان ص ٩٨ .

يا رب فاجمعنا معاً ونبيننا في جنة تشني عيون الحُسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلي والسُودد
وتضرّع الى الله أن يحقق له تلك الامنية في مرتبة اخرى فقال: (١)
اقول ولا يُلفى لقولي عائب

من الناس الاعازب العقل مُبعد (٢)

وليس هوائي نازعاً عن ثنائه

لعلي به في جنة الخلد اخلد

مع المصطفى ارجو بذاك جواره

وفي نيل ذلك اليوم اسعى وأجهد

ولم يتمن أبو بكر الصديق الموت الا ليكون مع الحبيب المهتمدي
عليه السلام: (٣)

فكيف الحياة لفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد

فليت الممات لنا كلنا وكنا جميعاً مع المهتمدي

واخيراً أود ان اقف عند بعض الظواهر التي لاحظتها على هذه
المراثي ، لعل في ذلك ما يمكن ان يساهم في فائدة هذا البحث وهي:

١ - شيوع المقطوعات التي قد تهبط احياناً الى البيت الواحد ،
كما هو موضح في الشبث الملحق بالبحث ، وربما يكون مرد ذلك
الى ان كثيراً من شعر هذه المراثي ، قد امتدت اليه يد الضياع ،
والا فليس من الممكن ان يرثي شاعرٌ رسولَ الله بييت واحد ، او
بيتين فقط .

(٢) عازب العقل: بعيده .

(١) نفس المصدر ص ٩٦ .

(٣) ابن سعد ٣١٩/٢ .

٢ - مساهمة المرأة المسلمة بالقسط الاكبر ، والنصيب الاوفر من هذه المراثي ، ونحن لا نستكثر ذلك على المرأة المسلمة ، فمعروف ان المرأة ادق حساً ، وأرق شعوراً من الرجل في مثل هذه الاحداث والمناسبات وكتاب - مراثي شواعر العرب - للويس شيخو يصور مدى ما قدمت المرأة العربية في هذا الميدان مع الاقرار بأن بعض هذه المراثي يمكن ان يكون منتحلاً .

٣ - عدم مساهمة كثير من فحول الشعراء المسلمين في رثاء رسول الله ، مثل كعب بن زهير ، والعباس بن مرداس ، والنابغة الجعدي ، وعمرو بن العاص وغيرهم من الشعراء . ولا نظن ان يمر مثل هذا الحدث الجلل عليهم ، فلا يشجيهم ، او يثير اشجانهم فينطقهم بالشعر .

٤ - انفراد بعض المصادر المتأخرة بايراد بعض هذه المراثي ، مثل الذخائر والاعلاق للباهلي^(١) ، ومناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب^(٢) ، مما يجعلنا متيقنين بان هذه الكتب قد اخذت عن مصادر لم تصل الينا ، ولو وصلت لقدمت لنا ثروة شعرية كبيرة ، في هذا الباب وغيره .

٥ - اغفال الطبري لجميع هذه المراثي ، مع توسعه في اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وايراده الشعر المناسب لجميع الاحداث التاريخية ، وقد تابعه في ذلك ابن الاثير في الكامل ، بينما اقتصر ابن هشام في سيرته على مراثي حسان فقط .

(١) انفرد بداليه كعب بن مالك وهي المقطوعة ١٦ من ديوان كعب .

(٢) انفرد بالنونية ، وهي المقطوعة ٦٤ من ديوان كعب بن مالك .

ثبت بمرآثي الرسول (ص)

الشاعر	القافية عدد الابيات	المصدر
ابو بكر الصديق	دالية ٧	ابن سعد ٣٣٠/٢
	دالية ٥	ابن سعد ٣١٩/٢
	رائية ٥	ابن سعد ٣٢٠/٢
ابو ذؤيب الهذلي	حائية ٧	الاستيعاب ٦٦/٤
ابو سفيان بن الحارث	لامية ١٠	ابن كثير ٢٨٢/٥
ابو الهيثم بن التيهان	دالية ١	الاصابة ٢١٠/٤
حسان بن ثابت	دالية ٤٦	الديوان ص ٨٩
	دالية ١٨	الديوان ص ٩٧
	دالية ٨	الديوان ص ٩٩
	رائية ٧	الديوان ص ١٦٤
	رائية ٢	الديوان ص ١٦٥
	رائية ٣	العقد الفريد ٢٤/٢
	لامية ١٣	ابن سعد ٣٢٣/٢
عامر بن الطفيل بن الحارث الازدي	جيمية ٢	الاصابة ٢٤٢/٢
عبد الله بن انيس	عينية ١٢	ابن سعد ٣٢٠/٢
عبد الله بن سلمة الهمداني	رائية ٣	الاصابة ٢٤٢/٢

(١) أثبت اقدم مصدر روى المرتبة فقط .

الشاعر القافية عدد الابيات المصدر

علي بن ابي طالب	تائية	٢	الديوان ٢٦
	يائية	٥	الذخائر والاعلاق ص ٢٣١
	يائية	١٢	الديوان ص ١١
	يائية	١٠	الديوان ص ٨٣
عمر بن الخطاب	عينية	٨	الذخائر والاعلاق ص ٢٣٢
غنيم بن قيس المازني	دالية	٣	الاصابة ٢٤٢/٢
كعب بن مالك الانصاري	همزية	٨	الديوان ص ١٧٣
	نونية	٤	الديوان ص ٢٨١
مران بن ذي عمير	لامية	٢	الاصابة ٤٦٥/٣
الهمداني			
أروى بنت عبد المطلب	نونية	٦	ابن سعد ٣٢٥/٢
ام أيمن	همزية	٧	ابن سعد ٣٣٢/٢
عاتكة بنت زيد	نونية	٨	ابن سعد ٣٣٢/٢
عاتكة بنت عبد المطلب	دالية	٩	ابن سعد ٣٢٦/٢
	رائية	٧	ابن سعد ٣٢٦/٢
	ميمية	٧	ابن سعد ٣٢٧/٢
صفية بنت عبد المطلب	بائية	١١	ابن سعد ٣٢٨/٢
	بائية	٩	ابن سعد ٣٢٨/٢
	بائية	٧	ابن سعد ٣٢٩/٢
	بائية	٦	ابن سعد ٣٢٩/٢

الشاعر	القافية عددالابيات	المصدر
	بائية ^(١) ٢	البيان والتبيين ٢٠٤/٣
	دالية ٧	ابن سعد ٤٢٠/٢
	دالية ٥	ابن سعد ٣٣٠/٢
	يائية ^(٢) ١٠	الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤
السيدة فاطمة بنت محمد (ص)	حائية ^(٣) ٨	الف با ٥٤٥/٢
	فونية ٥	العمدة ١٥٣/٢
هند بنت أثالة	بائية ٥	ابن سعد ٣٣٢/٢
	تائية ٧	ابن سعد ٣٣١/٢
	دالية ٨	ابن سعد ٣٣١/٢
هند بنت الحارث	بائية ٥	ابن سعد ٣٢٠/٢

- (١) نسبها شيخو مع ثالث لها في صرائي شواعر العرب ص ١٦٦ للسيدة فاطمة .
(٢) في نسبتها اختلاف انظر : ابن سعد ٣٢٥/٢ والاصابة ٢٢٢/٤ .
(٣) نسب بعضها في صرائي شواعر العرب ص ١٦٤ لفاطمة بنت الاحجم الخزاعية في بكاء قومها .

شعر السوء الخاصة

ان معظم من عاش في العصر الاسلامى كان قد أدرك عصر الجاهلية قبله ، ومعروف ان العصر الجاهلي كان يزخر بالاشعار المعبرة عن عواطف ومشاعر الناس فلا يكاد يعرض لهم شيء في حياتهم الخاصة والعامة الا وقالوا فيه شعراً ، وحين جاء الاسلام ظل معظم الناس على شأنهم هذا ، يصطنعون الاشعار في جزئيات حياتهم اليومية وينظمونها في خصوصياتهم ، وفيما سنعرض من النصوص صورة لبعض جوانب حياة الناس في ذلك العصر مما كانت تستأثر بنظمهم فيسيل الشعر على السنتهم .

ومن تلك الجوانب ما روي عن عبد الله بن الاعور المازني ، فقد كانت له زوجة يقال لها معاذة وحين خرج يميز أهله من هجر هربت تلك الزوجة ناشزة عليه وعازت برجل يقال له مطرف بن نهصل فجعلها خلف ظهره فلما قدم زوجها الشاعر لم يجدها في بيته وأخبر انها نشزت وانها عازت بمطرف بن نهصل ، وكان مطرف أعز منه فخرج حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فعاذ به وانشأ يقول :

يا سيد الناس وديان العرب اشكو اليك ذربة من الذرب^(١)
كالذئبة العسلاء في ظل السرب خرجت ابغيها الطعام في رجب^(٢)

(١) الذربة : السليطة اللسان .

(٢) العسلاء : المضطربة في عدوها .

فخالفني بـتـزاع وهـرب اخلفت العهد ولظت بالذنب^(١)
وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبي (ص) : وهن شر غالب لمن غلب ، وشكا اليه امرأته
وما صنعت وانها عند رجل منهم يقال له مطرف بن نهصل فكتب له
رسول الله (ص) الى مطرف : انظر امرأة هذا معاذا فادفعها اليه ،
فاتاه بكتاب النبي (ص) فقري ، عليه فقال لها : يا معاذا هذا كتاب
النبي (ص) فيك وانا دافعك اليه فقالت خذ لي العهد والميثاق وذمة
النبي (ص) ان لا يعاقبني فيما صنعت فأخذ لها ذلك ودفعها اليه فأنشأ
يقول :

لعمرك ما حبي معاذا بالذي يغيره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به اذ ازلهـا غواة رجال لا ينادونها بعدي^(٢)
ومن الامور الشخصية ان امرأة جاءت الى عمر بن الخطاب
فقلت ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال : ما تريدن ؟ اتريدن
ان انهاء عن صيام النهار وقيام الليل ؟ ثم رجعت اليه فقالت : ان زوجي
يصوم النهار ويقوم الليل . قال : افتريدن ان انهاء عن صيام النهار
وقيام الليل ؟ ثم جاءته الثالثة فقالت : ان زوجي يصوم النهار ويقوم
الليل . قال : افتريدن ان انهاء عن صيام النهار وقيام الليل ؟ وكان
عند عمر كعب بن سور فقال كعب : انها امرأة تشتكي زوجها .
فقال عمر : اما اذ فطنت لها فقم فاحكم بينهما . فقام كعب وجاءت
بزوجها فقالت :

(١) لظت : ضربت .

(٢) الاستيعاب ٢٥٦/٢ .

يا ايها القاضي الفقيه ارشده
زهده في مضجعي تعبه
ولست في أمر النساء احمده
فقال الزوج :

اني امرؤ قد شفني ما قد نزل
وفي الحواميم الشفاء وفي النحل
فقال كعب :

ان السعيد بالقضاء من فصل
ان لها حقاً عليك يا بعل
ومن قضى بالحق حقاً وعدل
من اربع واحدة لمن عقل
امض لها ذلك ودع عنك العلل

ثم قال له : ايها الرجل ان لك ان تتزوج من النساء مثنى وثلاث
ورباع فلك ثلاثة ايام ولامرأتك هذه من اربعة ايام يوم ومن اربع
ليال ليلة ، فلا تصل في ليلتها الا الفريضة^(١) .

ومن هذه الجوانب الشخصية التي قيل فيها شعر ماروي عن عبد الله
ابن أبي بكر الصديق . فقد تزوج امرأة اسمها عاتكة وكان معجباً بها
فشغلته عن اموره فقال له ابوه طلقها فطلقها ثم ندم فقال :

أعاتك لا أنساك ما ذرّ شارق
لها خلق جزل ورأي ومنصب
وما لاح نجم في السماء مخلق
وخلق سوي في الحياة مصدق
ولم ار مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شي . تطلق

(١) الاستيعاب ٢٨٨/٣

وظل ينظم فيها فرق له ابوه فأمره بمراجعتها فراجعها وبقيت
عنده حتى مات .^(١)

ومن هذه الاشعار ماروي عن عمرو بن شاس فقد كان تزوج
امراً تدعى ام حسان السعدية، وكان له ولد من أمة سوداء فكانت
تؤذيه وتظلمه وتعير اباه به وتشتمه فقال في زوجته وفي عرار ابنه :

ارادت عراراً بالهوان ومن يرد

عراراً لعمري بالهوان لقد ظلم

فان كنتِ مني او تريدني صحبني

فكوني له كالسمن ربت به الادم

والافسيري سير راكب ناقه

تيمم غيثاً ليس في سيره امم^(١)

وان عراراً ان يكن غير واضح

فاني احب الجون ذا المنطق العمم^(٢)

وقد جهد ان يصلح بين ابنه وامراته فلم يمكنه ذلك فطلقها ثم

ندم ولام نفسه فقال :

تذكر ذكرى ام حسان فأقشعر

على دبر لما تبين ما أثمر

تذكرتها وهناً وقد حال دونها

رعان وقيعان بها الماء والشجر^(٣)

(١) امم : اضطراب في المشي .

(٢) الجون : من الاضداد . الاسود والاييس .

(٣) رعان : جم وعن وهو انف يتقدم الجبل .

فكنت كذات البو لما تذكرت

لها ربعاً حنت لمعهده سحر^(١)

ومن هذه الاشعار التي كانت تعالج موضوعات عائلية شعر
السعدي فقد كان له ابن عاق يدعى (منازل) فشكاه ابوه الى عمر بن
الخطاب ، وله في ذلك شعر يقول فيه :^(٢)

وما كنت اخشى ان يكون منازل

عدوي وادني شانئي انا راهبه

حملت على ظهري وقربت شخصه

صغيراً الى ان امكن الطر شاربه^(٣)

واطعمته حتى اذا صار شيطما

يكاد يساوي غارب الفحل غاربه^(٤)

تخون مالي ظالماً ولوى يدي

لوني يده الله الذي هو غالبه

وعندما كان يبلغ العمر من الرجال عتياً كانوا يحسون بوطأة
السنين وثقل الايام والشهور فتسيل الاشعار على السننهم شكوى
مرة وحسرات على ما فات ، وقد حفظ لنا السجستاني في كتابه
« المعمرون » ثروة كبيرة من هذه الاشعار منها ان مالك بن عامر
الاشعري الذي عمّر طويلاً قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلم وشرح احواله في قصيدة طويلة منها :^(٥)

(١) الاستيعاب ٥١٩/٢ .

(٢) الاصابة ٢٠٦/٣ .

(٣) الطر : الظهور والوضوح .

(٤) الشيطم : الطويل الجسم الفتى .

(٥) الاصابة ٣٢٦/٣ .

وعمرت حتى مللت الحياة ومات لداتي من الاشعر
اتت لي سنون فنيتهما فصرت أحكم للعمور
نسيت شبابي فامضيته وصرت الى غاية المكبر
واصبحت في أمة واحداً أجول كالجمال الاصدر^(١)
الى ان يقول :

كان الفتى لم يعيش ليلة اذ صار رمساً على صور
وطول بقاء الفتى فتنة فاطول لعمر ك او اقصر
وعمّر قرده بن تعائة السلولي طويلاً فقال يصف حاله :^(٢)

اصبحت شيخاً ارى الشخصين اربعة
والشخص شخصين لما مسني الكبر
لا اسمع الصوت حتى استدير له
وحال بالسمع دوني المنظر العسر
وكنت أمشي على ساقين معتدلاً
فصرت أمشي على ما تنبت الشجر
اذا أقوم عجت الارض متكئاً
على البراجم حتى يذهب النفر

وتناول المستوغر بن ربيعة السعدي هذا الموضوع في شعره
فشكا الحياة بعد ان عمر زمناً طويلاً فقال :^(٣)

(١) الاصدر : العظيم .

(٢) اسد الغابة ٢٠١/٤ .

(٣) الاصابة ٤٦٨/٣ .

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي
وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتني
يوم يمر وليلة تحدوننا
وشاعت عادة تقديم الشعر بين يدي حاجات الناس عند شعراء
العصر من ذلك :

لما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، واصابوا منهم ما
اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (ص) من العهد والميثاق
بما استحلوا من خزاعة ، وكان في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم
الخزاعي حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة ، وكان ذلك مما
هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس
فقال :^(١)

يا رب إني ناشد محمداً حلف ايينا وابيه الاتلدا^(٢)
قد كنتم ولداً وكنا والداً ثم اسلمنا فلم ننزع يدا^(٣)
فانصر هداك الله نصراً اعتداً وادعُ عباد الله يأتوا مددا^(٤)

(١) ابن هشام ٢/٢٩٤ .

(٢) ناشد : طالب ومذكر . الاتلدا : القديم .

(٣) يريدان بني عبد مناف امهم من خزاعة وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد
الخزاعي . واسلنا : من السلم .

(٤) اعتد : حاضر . والمدد : العون .

فيهم رسول الله قد تجردا ان سيم خسفاً وجهه ترّبدا^(١)
 في فيلق كالبجر يجري مزبدا ان قريشاً اخلفوك الموعدا
 ونقضوا ميثاقك الموكدا وجعلوا لي في كداء رُصدًا^(٢)
 وزعموا ان لست ادعو احدا وهم اذلّ وأقل عددا
 هم بيتونا بالوتير هجّدا وقتلونا ركعاً وسجّدا^(٣)
 فقال رسول الله (ص): نصرت ياعمرو بن سالم ، ثم عرض لرسول
 الله (ص) سحاب من السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر
 بني كعب .

وقد عرضت قتيلة بنت النضير بن الحارث للنبي (ص) وهو
 يطوف وكان قد قُتل ابوها في بدر، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى
 انكشفت منكبه وانشدته قصيدة في العتاب مطلعها :^(٤)

يا راكبا ان الاثيل مظنة

من صبح خامسة وانت موفق^(٥)

وتقول فيها :

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
 فرق لها رسول الله (ص) وتأم ، وقال : لو بلغني هذا قبل قتله
 لمننت عليه .

(١) تربد : شمر وتهياً للحرب .

(٢) رصد : جمع راصد وهو الطالب للشيء الذي يرقبه .

(٣) الوتير : اسم ماء باسفل مكة لخزاعة .

(٤) ابن هشام ١٤٧/٢

(٥) الاثيل : موضع فيه قبر النضر . والمظنة : موضع ايقاع الظن . تقول ان

الاثيل مظنة ان تصل اليه في صبح الالية الخامسة اذا وفقت وانت موفق .

وكان لأمية بن حرثان ولد اسمه كلاب ، هاجر الى البصرة في
خلافة عمر (رض) فقال أمية :

ساستعدي على الفاروق رباً له عمد الحجيج الى بساق^(١)

إنّ الفاروق لم يردد كلاباً على شيخين هامهما زواقي^(٢)

فكتب عمر الى ابي موسى الاشعري بإشخاص كلاب ، فما

شعر أمية الابن يقرع الباب^(٣)

وقد ذكرنا نحو هذه الحادثة في شعر الفتوحات الاسلامية

وقصة استعطاف الحطيئة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو في

سجنه ثم اطلاق سراحه بعد ان كتب اليه شعراً يتوسل فيه اليه طالباً

العفو والمغفرة مشهورة فقد كتب اليه :^(٤)

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لاما ، ولا شجر^(٥)

غيبت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

انت الامين الذي من بعد صاحبه

القت اليك مقاليد النهي البشر

لم يؤثروك بها اذ قدّ موك لها

لكن لانفسهم كانت بها الاثر

(١) بساق : جبل بعرفات وبلد بالحجاز .

(٢) الهامة : رأس الميت ، يريدان موتها قريب .

(٣) العمدة ٥٨/١ .

(٤) ديوان الحطيئة ص ٢٠٨ .

(٥) ذو مرخ : اسم واد بالحجاز . وزغب الحواصل : لم يثبت على حواصلهم

سوى الزغب القصير كناية عن صغر سنهم .

ولم يتورّع بعض الشعراء عن ذكر ما كانوا يرتكبون من آثام
واخطاء فصوروا ذلك في اشعارهم متحملين ما قد ينجم عن ذلك من
حساب وعقاب من ذلك قول النعمان بن عدي بن نضلة والي عمر ابن
الخطاب على ميسان^(١) :

من مبلغُ الحسنة أن حليلها
بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئتُ غنتني دهاقينُ قريةٍ
وصنّاجةٌ تجثو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالا كبر اسقني
ولا تسقني بالأصغر المتسلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادينا في الجوسق المتهدم^(٢)

فلما بلغ عمر ذلك قال : نعم والله انه ليسوؤني ، من لقيه فليخبره
اني قد عزلته . وقد قدم هذا الشاعر الى عمر معتذراً بأنه امرؤ شاعر ،
وقد جرت على لسانه ابيات لا يريد بها شيئاً . الا ان هذا العذر لم
ينفعه وحرمه العمل حياته .^(٣)

وجاهر أبو محجن الثقفي بتعاطيه الحمرة وشغفه بها فأنشد :^(٤)
إذا مت فادفني الى أصل كرمة تروني عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها
ودفع ثمن هذه المعصية فقد جلده عمرو ونفاه من المدينة بهذا الشعر .

(١) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط .

(٢) الجوسق : فارسي معرب ، ويعني القصر الصغير .

(٣) ابن الجوزي : تاريخ عمر بن الخطاب ص ١١٦ .

(٤) الشعر والشعراء ص ١٦٢ .

سُعر الشعراء التاريخيّة

كان الشعر في العصر الاسلامي . كما كان من قبل - ديوان العرب وسجل تأريخهم ومستودع اخبارهم ، وما لهم من مآثر تذكر وعادات تؤثر ، فلم يترك الشعراء حادثه الا سجلوها في أشعارهم ، ولا موقفاً الا عبّروا فيه عن آرائهم حتى يمكن ان نقول انه كان مجموعة وثائق تؤرخ للفترة الاولى من حياة الاسلام والمسلمين ، ويستطيع كل من يقلب صفحات السيرة وكتب التاريخ ان يدرك هذه الحقيقة بسهولة فقد غطى الشعراء كل احداث عصرهم .

فمن الاشعار التي أرخت للدعوة الاسلامية في مكة والمدينة قول صرمة بن قيس ، وقد كان ابن عباس يختلف اليه يتعلم منه تلك الابيات وهي :

نوى في قریش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلفي صديقاً مواليا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم يرَ مَنْ يؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى
وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وأصبح ما يخشى ظلامه ظالم
بعيد ولا يخشى من الناس باغيا

بذلنا له الاموال من جُلِّ مالنا
وانفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادي من الناس كلهم
جميعاً وان كان الحبيب المواتيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره
وان كتاب الله أصبح هادياً^(١)

وأرّخ كعب بن مالكبيعة العقبة الثانية فحفظ لنا اسماء النقباء
الذين وقع عليهم اختيار قومهم حين قال الرسول (ص) : أخرجوا
اليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم فيهم . فقال :^(٢)

ودونك فاعلم ان نقض عهدنا
أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وأسعد يأباه عليك ورافع^(٣)
وسعد أباه الساعدي ومنذر
لائفك إن حاولت ذلك جادع^(٤)
وما ابن ربيع ان تناولت عهده
بمسلمه لا يطمعن ثم طامع^(٥)

(١) الاستيعاب ٢/١٩٥

(٢) الديوان ص ٢١٩

(٣) البراء : هو البراء بن معرور بن صخر . وابن عمرو : عبدالله بن عمرو بن
حزام واسعد : اسعد بن زرارة . ورافع : رافع بن مالك بن العجلان .

(٤) سعد الساعدي : سعد بن عبادة . ومنذر : المنذر بن عمرو . وجادع : قاطم

(٥) ابن ربيع : سعد بن الربيع

وايضاً فلا يعطيكه ابن رواحة

(١) وإخفاره من دونه السمّ نافع

وفاء به والقوقليّ بن صامت

(٢) بمندوحة عما تحاول يافع

ابو هيثم ايضاً وفيّ بمثلها

(٣) وفاء بما أعطى من العهد خانع

وما ابن حضير ان أردت بطمع

(٤) فهل أنت عن أحموقة الغيّ نازع

وسعد اخو عمرو بن عوف فانه

(٥) ضروح لما حاولت ملامر مانع

اولاك نجوم لا يغيبك منهم

(٦) عليك بنحس في دجى الليل طالع

وحدثت أول مناوشة بين قريش والرسول (ص) حين ارسل
الرسول سرية عبدالله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين الى نخلة
ليصدوا بها قريشاً حتى يأتوا منهم بخبر، وحين نزلت السرية هذا الموضع
صرت بهم غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي تحمل زيبساً وادماً
وتجارة من تجارة قريش فقتلت السرية ابن الحضرمي واسروا اثنين

(١) ابن رواحة : هو عبدالله رواحة الشاعر الاخفار : نقض العهد ناقم :

ثابت ولازم .

(٢) القوقلي : عبادة بن الصامت . ومندوحة : سعة . يافم : موضع مرتفع .

(٣) ابو هيثم : مالك بن اليتهان . خانم : مقر متدل .

(٤) ابن حضير : اسيد بن حضير .

(٥) سعد : هو سعد بن خيشمة . ضروح : مانم ودافم عن نفسه . ملامر : من الامر

(٦) يغيبك : يغيب عنك . نحس : ضد السعد .

من رفاقه هما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واستاقوا العير ، فلما
 قدموا على الرسول المدينة قال : ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ،
 فوقف العير والاسيرين ، وأبى ان يأخذ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك
 رسول الله (ص) سُقط في ايدي القوم وظنوا انهم قد هلكوا وقالت
 قريش قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم
 واخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال ، فقال لهم المسلمون الذين
 كانوا بمكة ، انما اصابوا ما اصابوا في شعبان فلما اكثر الناس في ذلك
 انزل الله على رسوله (ص) : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ،
 قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله و كفر به والمسجد الحرام ،
 وإخراج اهله منه اكبر عند الله ، والفتنة اكبر من القتل) فلما نزلت
 هذه الآيات قبض الرسول العير والاسيرين ثم أفدى رسول الله اسيريه
 بسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان اللذين كانا اسيرين لدى المشركين .
 وقد خلد الشعر هذه الحادثة كما ذكرها القرآن أيضاً فقال ابو بكر
 الصديق وقيل عبد الله بن جحش :^(١)

تعدون قتلاً في الحرام عزيمةً
 وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
 صدودكم عما يقول محمد
 وكفر به والله راي وشاهد
 واخراجكم من مسجد الله اهله
 لئلا يرى الله في البيت ساجد
 فاننا وان عيرتونا بقتله
 وأرجف بالاسلام باغ وحاسد

(١) ابن هشام ١/٦٠٥ .

سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب وأقد
دما، ابن عبدالله عثمان بيننا
ينازعه غل من القد عاند^(١)

وتعد قصيدة حسان وثيقة مهمة في احصاء ايام الانصار مع النبي
(ص) وذكر مواطنهم معه في ايام غزو قال: ^(٢)

الست خير معدّ كلها نفراً
ومعشراً إن هم عموا وان حصلوا^(٣)
قوم هم شهدوا بدرأ باجمعهم
مع الرسول فما ألوا وما خذلوا^(٤)
وبايعوه فلم ينكث به احد
منهم ولم يك في إيمانهم دخل^(٥)
ويوم صبّحهم في الشعب من احد
ضرب رصين كحر النار مشتعل^(٦)
ويوم ذي قرد يوم استثار بهم
على الجياد فما خافوا وما نكلوا^(٧)

(١) القد : شرك يقطع من الجلد . وعاند : سائل بالدم لا ينقظم .

(٢) ابن هشام ٥٥٤/٢ .

(٣) حصلوا : جموا .

(٤) ما ألوا : ما قصدوا .

(٥) دخل : فساد .

(٦) رصين : ثابت محكم .

(٧) خافوا ونكلوا : جبنوا عن هيبة وفزع .

وذا العُشيرة جاسوها بجيـلهم
 مع الرسول عليها البيض والاسل^(١)
 ويوم ودان اجلوا اهله رقصاً
 بالخيـل حتى نهانا الحزن والجبل^(٢)
 وغزوة يوم نجد ثم كان لهم
 مع الرسول بها الاسلاب والنفل
 وليلة بحنين جالدوا معه
 فيها يعدّهم بالحرب اذ نهلوا^(٣)
 وغزوة القاع فرقنا العدو به
 كما تفرق دون الشرب الرّسل^(٤)
 وغزوة الفتح كانوا في سريته
 مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
 ويوم خيبر كانوا في كتيبته
 يمشون كلهم مستبسل بطل^(٥)
 ويوم سار رسول الله محتسباً
 الى تبوك وهم راياته الاوّل
 وكان استشهاد حمزة (رض) صدمة عنيفة لجميع المسلمين ،
 فشارك الشعراء في هذا المصاب الجلل بقصائد تفيض لوعة والمألم

-
- (١) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الاسل : الرماح .
 (٢) الرقص : ضرب من المشي . والحزن : ما ارتفع من الارض .
 (٣) يعلمهم : يكررها عليهم من العلل وهو الشرب الثاني . النهل : الشرب الاول .
 (٤) الرسل : الابل .
 (٥) مستبسل : موطن نفسه على الموت .

تمتع به سيدنا حمزة عند رسول الله والمسلمين من حب وتقدير . فحين
وقف رسول الله (ص) على حمزة قال : لن أصاب بمثلك ابداً ، ما
وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا .^(١)

ومعروف ان وحشياً غلام جبير بن مطعم قد رماه بحربة فارداه
قتيلاً فقال كعب بن مالك مصوراً ذلك من مرثية طويلة :^(٢)

فلاقاه عبد بني نوفل يبربر كالجمل الادعج^(٣)

فأوجره حربة كالشهاب تذهب في اللهب الموهج^(٤)

واستأثرت حادثة الغدر بخبيب بن عدي الانصاري باهتمام الشعراء

فأتوا على تفصيلاتها في اشعارهم ، وتبدأ هذه الحادثة حين قدم على

رسول الله (ص) بعد غزوة أحد رهط من قبيلتي عضل والقارة فقالوا :

يا رسول الله ان فينا اسلاماً فابعث معنا نفرأ من اصحابك يفقهوننا

في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول

الله (ص) نفرأ من اصحابه فيهم خبيب حتى اذا كانوا على الرجيع^(٥)

غدروا بهم ، وكان من حديث خبيب انهم خرجوا به حتى اذا جاءوا

الى التنعيم ليصلبوه قال لهم : ان رأيتم ان تدعوني حتى اركع

ركعتين فافعلوا ؟ قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمها وأحسنهما

ثم اقبل على القوم فقال : اما والله لولا ان تظنوا اني انما طولت جزعاً

من القتل لاستكثرت من الصلاة ثم رفعوه على خشبة فلما اوثقوه ،

قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم

(١) ابن هشام ٩٥/٢ . (٢) الديوان ص ١٨٨ .

(٣) يبربر : يتكلم بما لا يفهم وبصوت مرتفع . الادعج : الاسود .

(٤) أوجره : طعنه في صدره . الموهج : الموقد .

(٥) ابن هشام ١٧٢/٢ .

قال : اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ولا تغادر منهم احداً . ثم
قتلوه رحمة الله وبعده قُتل بقية النفر الذين معه وقد نظم حسان اسما .
هو لاء الشهداء ، وحادثة استشهادهم فقال : (١)

صلى الاله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فاكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم وابن البكير امامهم وخبيب (٢)
وابن لطارق وابن دثنة منهم وافاه ثم حمامه المكتوب (٣)
والعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي انه لكسوب (٤)
منع المقادة ان ينالوا ظهره حتى يجالده انه لنجيب (٥)

وصور خبيب الطريقة التي سلكها المشركون في تعذيبه ، وقدم
لنا وصفاً دقيقاً لما جرى له قبيل استشهاده فقال : (٦)

لقد جمع الاحزاب حولي وألّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع (٧)
وقد قرّبوا ابناهم ونساءهم
وقرّبت من جذع طويل ممنوع
وكلهم يبدي العداوة جاهداً
عليّ لأني في وثاق بمضيع

(١) المصدر نفسه ١٨٢/٢

(٢) مرثد : هو مرثد بن ابي مرثد الغنوي . وابن البكير : هو خالد بن البكير
الليثي .

(٣) ابن طارق : هو عبدالله بن طارق . وابن دثنة هو زيد بن الدثنة بن معاوية .

(٤) العاصم : هو عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح .

(٥) المقادة : الاقياد والمذلة . يجالده : يضارب بالسيف .

(٦) أسد الغابة ١٠٤/٢

(٧) ألّبوا : جمعوا .

الى الله اشكو غربتي بعد كربتي
 وما جمع الاحزاب لي عند مصرعي
 فذا العرش صبرني على ما أصابني
 فقد بضّعوا الحمي وقد ضلّ مطمعي^(١)
 وذلك في ذات الاله وان يشأ
 يبارك على أوصال شلو ممزّع^(٢)
 وقد عرضوا بالكفر والموت دونه
 وقد ذرفت عيناى من غير مدمع
 وما بي حذار الموت انى لميت
 ولكن حذاري حرنار تلفّع^(٣)
 فلست بمبدٍ للعدو تخشعاً
 ولا جزعاً انى الى الله مرجعي
 ولست ابالي حين اقتل مسلماً
 على اى جنبٍ كان في الله مصرعي

وتقع في السنة التي تليها حادثة شبيهة بحادثة يوم الرجيع في الغدر
 والخيانة فقد قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على
 رسول الله (ص) فعرض عليه الرسول الاسلام فدعاه اليه ، فلم يسلم ،
 ولم يبعد من الاسلام وقال : يا محمد لو بعثت معي رجالاً من اصحابك
 الى اهل نجد فدعوهم الى امرك ، رجوت ان يستجيبيوا لك ، فقال

-
- (١) بضّعوا : قطعوا .
 (٢) الشلو : البقية . والمزّع : المقطع .
 (٣) الملقع : المشتعل العام .

الرسول (ص) : اني اخشى عليهم اهل نجد ، فقال ابو براء : انا لهم جارٌ . فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من اصحابه ، فنزلوا بئر معونة وهي ارض بني عامر وحررة بني سليم ، ثم بعثوا احدهم بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا ان يجيبوه وقالوا : لن نخفر أبا براء ، فقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم من قبائل سليم فأجابوه الى ذلك ، ثم رجعوا اليهم فقتلوهم عن آخرهم غير واحد .^(١)

فقال كعب بن مالك مصوراً هذه الحادثة ومشيراً الى ما فيها من غدر وخيانة :^(٢)

لقد طارت شعاعاً كل وجه	خفارة ما اجار ابو براء ^(٣)
فمثل مسهب وبني ابيه	يجنب الرده من كنفى سواء
بني ام البنين اما سمعتم	دعاء المستغيث مع المساء
وتنويه الصريخ بلى ولكن	عرفتم انه صدق اللقاء ^(٤)
فاصفرت عياب بني كلاب	ولا القرطاء من ذم الوفاء ^(٥)
أعامر عامر السوءات قدما	فلا بالعقل فزت ولا السناء

(١) انظر تاريخ الطبري ٥٤٩/٢

(٢) الديوان ص ١٧٠

(٣) خفارة : نقص الهدى . وابو براء عامر بن مالك . ملاعب الاسنة .

(٤) الصريخ المستغيث .

(٥) صفرت : خلت . عياب جم عيبة وهي ما يجعل فيها الثياب كالكيس

والعرب تكفي عن الصدور والقلوب بالعياب . والقرطاء : بطون من بني كلاب .

أحفزتَ النبي و كنتِ قدما الى السوءات تجري بالعراء
فلستَ كجارِ جارِ ابي دؤاد ولا الاسدي جارِ ابي العلاء^(١)
وقال حسان في هذه الحادثة ايضاً محرضاً بني ابي براء على عامر
ابن الطفيل :^(٢)

بني ام البنين ألم يرفعكم وانتم من ذوائب اهل نجد^(٣)
تهكم عامر باي براء ليخفره وما خطأ كعمد
الا ابلغ ربيعة ذا المساعي فما احدثت في الحدثن بعدي^(٤)
ابوك ابو الحروب ابو براء وخالك ما جد حكم بن سعد

وحين تمادى اليهود من بني النضير في تأمرهم ضد الاسلام فاجلام
الرسول (ص) لم يتخلف الشعر عن تسجيل هذا الحدث فقال كعب
ابن مالك من قصيدة طويلة :^(٥)

فتلك بنو النضير بدار سوء ابارهم بما اجتمروا المبير^(٦)
غداة اتاهم في الزحف رهوا رسول الله وهو بهم بصير^(٧)
فذاقوا غب امرهم وبالاً لكل ثلاثة منهم بعير^(٨)
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهم نخل ودور^(٩)

-
- (١) جار ابي دؤاد : كعب بن مامه الذي تضرب العرب به المثل في حسن الجوار
انظر قصته في الميداني ١٧٠/١
(٢) ابن هشام ١٨٧/٢
(٣) الذوائب : الاطالي
(٤) المساعي : السعي في طلب المجد والمسكارم
(٥) الديوان ٢٠٤ وانظر ص ٢٧٨ ايضاً
(٦) ابارهم : اهلكهم . اجتمروا : اكتسبوا
(٧) رهو : المشي في مهل وسكون
(٨) غب : عاقبة . وبال : نكال
(٩) عامدين : قاصدين

وسجل علي بن ابي طالب قيل رجل من المسلمين اجلاء بني
النضير فقال: ^(١)

واجلي النضير الى غربة وكانوا بدار ذوي زخرف
الى اذرع رُدافى وهم على كل ذي دبر اعجف ^(٢)
وقد استأثر قتل كعب بن الاشرف باهتمام الشعراء فقد كان
هذا اليهودي شاعراً يحرض على رسول الله (ص) ويشبب بنساء
المسلمين ويطعن في الاسلام حتى اهدر الرسول (ص) دمه فقال:
من لي بابن الاشرف؟ فقال له محمد بن مسلمة: انا لك به يا رسول الله
انا اقتله قال: فافعل ان قدرت على ذلك، فاجتمع في قتله محمد بن
مسلمة وجماعة من المسلمين فيهم سلكان بن سلامة وهو اخو كعب
من الرضاة، وعباد بن بشر ^(٣) ومن الاشعار التي تناولت هذه الحادثة
بالتفصيل قول كعب بن مالك قال: ^(٤)

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علتها بايدينا مشهرة ذكور ^(٥)
بامر محمد اذ دس ليلاً الى كعب اخا كعب يسير ^(٦)
فأكره فانزله بمكر ومحمود اخو ثقة جسور
وصور عباد بن بشر هذه الحادثة بكل تفصيلاتها فقال: ^(٧)

(١) ابن هشام ١٩٧/٢

(٢) ذو دبر اعجف: يعنى جملاً

(٣) ابن هشام ٥٤/٠

(٤) الديوان ص ٢٠٤

(٥) مشهرة ذكور: السيوف القوية التي شهرها اصحابها اي المسلوقة القوية.

(٦) اخو كعب: يقصد سلطان بن سلامة اخاه من الرضاة.

(٧) الاستيعاب ٤٤٦/٢

صرخت به فلم يعرض لصوتي ووافى طالعاً من رأس جدر
فعدت له فقال من المنادي؟ فقلت اخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها لشهران وفي او نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا وما عدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعاً وقال لنا لقد جئتم لامر
وفي ايماننا بيض حداد مدربة بها الكفار نفري^(١)
فعانقه ابن مسلمة المرادي بها الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتاً عليه فقطره ابو عبس بن جبر
فكان الله سادسنا فأبنا بانعم نعمة واعز نصر

ومن الحوادث التي استأثرت باهتمام الشعراء ايضاً فجميعه المسلمين
بفقد الرسول (ص) وقد شارك عشرات الشعراء في هذا الحدث
الجليل^(٢).

وينقسم الناس بعد اختلافهم في موضوع الخلافة فينبري الشعراء
لتصوير ذلك الانقسام فيقول النعمان بن العجلان الزرقي وكان لسان
الانصار وشاعرها: ^(٣)

وكان خطأ ما أتينا وانتم
صواباً كأننا لانزيش ولا نبري
وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

(١) نفري : نذبح ونقتل

(٢) تجد تفصيل ذلك في موضوع مرآة الرسول (ص).

(٣) الاستيعاب ٥٢١/٣

وأهل أبو بكر لها خير قائم
وان علياً كان أخلق للأمر
وكان هوأنا في عليّ وانه
لأهل لها من حيث ندرى ولا ندرى
وهذا بحمد الله يشفى من العمى
ويفتح اذانا ثقلن من الوتر
نجي رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها
ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض الا بالرضا ولربما
ضربنا بأيدينا الى اسفل القدر

ويجمع المسلمون على مبايعة الصديق بعدما حدث في سقيفة بني
ساعدة ويؤرخ الشعر ذلك فقال أبو عزة الجمحي: (١)

شكراً لمن هو بالثناء حقيق ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعدما دحضت بسعد نعله ورجا رجاء دونه العيوق (٢)
ويرتد الناس في اول خلافة الصديق فيتقدم الشعر ليواكب
معارك الردة (٣) ويتولى الخلافة عمر بن الخطاب (رض) وينساح
المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فاتحين ومحررين ويسير معهم
الشعر حيث ساروا فيصور وقائعهم ويتغنى بانتصاراتهم ويرثي

(١) المصدر السابق ٢٤٦/٢ (٢) العيوق : من نجوم السماء المرتفعة .

(٣) انظر الفصل الخاص بـ (دور الشعر في حروب الردة)

شهداءهم^(١) وتمتد يد آئمة الى خليفة رسول الله فتغتاله فيؤرخ الشعر
ذلك فتقول عاتكة بنت زيد بن عمرو:^(٢)

فجّعني فيروز لادرّ دره
بأبيض تالٍ للكتاب منيب
رؤوف على الأذى غليظ على العدى
أخي ثقة في النائبات مجيب
متى ما يقلّ لا يكذب القول فعله
سريع الى الخيرات غير قطوب^(٣)

وتندلع الفتنة بين المسلمين في خلافة عثمان بن عفان (رض)
وتتطور الامور فيطالب بعض الطامعين بئنازل الخليفة عن الحكم ،
وينهض الشعر مرة اخرى ليسهم في سرد وقائع تلك الفتنة فيقول
حنظلة الكاتب:^(٤)

عجبت لما يخوض الناس فيه يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها ذلاً ذليلاً
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلهم ضلوا السبيلاً
وعندما هاجم الشارئون الدار تصدى لهم بعض من كان يحميها
فقال الحسن بن علي:

لا دينهم ديني ولا انا منهم حتى اسير الى طمار شمام

(١) انظر الفصل الخاص بـ (شعر الفتوحات الاسلامية)

(٢) الطبري ٢١٨/٤

(٣) غير قطوب : غير عبوس

(٤) الطبري ٣٨٦/٤

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :
انا ابن من جامى عليه بأحدٍ ورداً احزاباً على رغم معد
وخرج سعيد بن العاص وهو يقول
صبرنا غداة الدار والموت واقب
بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نُصرة
نشافهم بالضرب والموت ثاقب^(١)

ووصلت الفتنة الى القمة حين فتك الثائرون بخليفة رسول الله
نحرّ شهيداً في داره وهو يتلو القرآن في حجره ، وسجل الشعر هذه
الفاجمة ايضاً فقال ايمن بن خزيمه^(٢)

ضحوا بعثان في الشعر الحرام ضحى
واي ذبح حرام ويلهم ذبحوا
واي سنة كفرسن اولهم
وباب شر على سلطانهم فتحوا
ماذا ارادوا اضل الله سعيهم
بسفك ذاك الدم الزكي الذي سفحوا
وقدم لنا كعب صورة كاملة لما حدث يوم الدار فقال^(٣)
يا للرجال لأمرٍ هاج لي حزنا
لقد عجبت لمن يبكي على الدمن

(١) الطبري ٣٨٨/٤ .

(٢) الاستيعاب ٨٣/٣ .

(٣) الديوان ص ٢٨٢ .

اني رأيت قتيل الدار مضطهدا
عثمان يهدى الى الاجداث في كفن
يا قاتل الله قوماً كان امرهم
قتل الامام الزكي الطيب الردن^(١)
ما قاتلوه على ذنب المّ به
الاّ الذي نطقوا زوراً ولم يكن
قد قتلوه واصحاب النبي معاً
لولا الذي فعلوا لم تُبلّ بالفتن
قد قتلوه نقياً غير ذي ابن
صلى الاله على وجه له حسن^(٢)
قد جمّع الحلم والتقوى لمعصمه

مع الخلافة امراً كان لم يشن
ونظم كعب الأمر الذي اصدره عثمان لمن جاء بالسلاح ليذب
عنه وهو محصور: ان كنتم ترون الطاعة والحق فاغمدوا اسيافكم
وانصرفوا ولا تستقتلوا^(٣)، فقال: ^(٤)

فكفّ يديه ثم اغلق بابه وأيقن انّ الله ليس بغافل
وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرى لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم وولّى كإدبار النعام الجوافل

(١) الردن: اصل الكم، وهو هنا كناية عن الصلاح.

(٢) ابن: عداوات

(٣) العقد الفريد ٢/٢٩٤

(٤) الديوان ص ٢٦٤

وقالت زينب بنت العوام مشيرة الى حصار يوم الدار وتعطيش
الخليفة بعد منع الماء عنه: ^(١)

وعطَّشْتُم عثمان في جوف داره
شربتم كشرِب الهيم شرب حميم
فكيف بنا أم كيف بالنوم بعدما
أصيب ابن اروي وابن أمّ حكيم

وتحفل كتب التاريخ بمثل هذه الصور الشعرية. ^(٢)
وحين احتدم الخلاف بين الامام علي وبين معاوية لم يتخلف الشعر
عن تصوير ما حدث فقال كعب بن جعيل ^(٣)

أرى الشام تكره مُلك العراق
وأهل العراق لهم كارهينا
وكلاً لصاحبه مبغضاً
يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم
ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا عليّ إمام لنا
فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له
فقلنا الا لا نرى ان ندينا

(١) الاستيعاب ٨٣/٣

(٢) انظر مثلاً الاستيعاب ٨٢/٣ والتمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٢١٠

(٣) المبرد : الكامل ٢٨٢/١

ومن دون ذلك خرط القتاد

وضرب وطعن يقر العيون

وقد ارسل معاوية بالابيات السابقة الى الامام علي ، فلما قرأها

الامام قال لشاعره النجاشي : أجب . فقال ^(١)

دعن معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا

اتاكم علي بأهل العراق واهل الحجاز فما تضعونا

فان يكره القوم ملك العراق فقد ما رضينا الذي تكرهونا

وتشتعل الفتنة من جديد فيتقاتل المسلمون في وقعة الجمل

ويتساقط الآلاف من القتلى حتى بلغ عددهم عشرين ألفاً . وجزع

المسلمون لذلك وافزعتهم هذه الدماء المراقبة فلجأ الناس الى الشعر

للتعبير عن آلامهم واحزانهم لما حدث فهذا احد الشعراء الذين شهدوا

ذلك يعبر عن فظاعة وهول تلك الحرب ويعلن رأيه فيما نزل بالناس

ويتمنى لو لم تخرج السيدة عائشة ولم يتوجه اليها عسكر علي

فيقول : ^(٢)

شهدت الحروب وشيبتني فلم تر عيني كيوم الجمل

اثير على مؤمن فتنة وأفتك منه تخرق بطل

فليت الظعينة في بيتها وليتك عسكر لم ترتحل

ولم تكذب دماء الضحايا حتى تراق دماء ضحايا آخر في صفين

ويسهم الشعر في تصوير ما كان يدور في تلك الوقعة فقال رفاعة بن

شداد البجلي مصوراً ما اصاب الناس : ^(٣)

(١) الاخبار الطوال ص ١٦٣

(٢) المقدم الفريد ٢٢٩/٢

(٣) وقعة صفين ص ٤٨٨

تطاول ليلى للهموم الحواضر
وقتلى اصيبت من رؤس المعاصر
بصفين أمست والحوادث جمّة
يهيل عليها التربّ ذيل الاعاصر
فانهم في ملتقى الخيل بكرة^(١)
وقد جالت الابطال دون المساعر^(١)
فان يكُ اهل الشام نالوا سراتنا
فقد نيل منهم مثل جزرة جازر
وقام سجال الدمع منا ومنهم
يبكين قتلى غير ذات مقابر
فلن يستقيل القوم ما كان بيننا
وبينهم اخرى الليالي الغواير
وماذا علينا ان تريح نفوسنا
الى سنة من بيضنا والمغافر
ومن نصبنا وسط العجاج جباهنا
لوقع السيوف المرهفات البواتر
وطعن اذا نادى المنادي ان اركبوا
صدور المذاكي بالرماح الشواجر
اثرنا التي كانت بصفين بكرة^(١)
ولم نك في تسعيرها بعواثر

(١) المساعر : جمع مسعر يقال رجل مسعر حرب اذا كان يؤرثها .

فان حكا بالحق كانت سلامة

ورأي وقانا منه من شؤم تأثر^(١)

وقال عدي بن حاتم بصفين ايضاً^(٢)

اقول لما ان رأيت المعمعة واجتمع الجندان وسط البلقعة
هذا علي والهدى حقاً معه يا رب فاحفظه ولا تضيعه
فانه يخشاك ربّي فارفعه ومن اراد عيبه فضعه

وعاش الناس في رعب وخوف شديد لا يدرون ما سيأتي به الغد
وهذا عمرو بن الحمق الخزاعي يترجم احاسيس قومه فيقول: ^(٣)

تقول عرسى لما أن أرقى

ماذا يهيجك من اصحاب صفينا

أست في عصبة يهدي الاله بهم

لا يظلمون ولا بغياً يريدونا

فقلت اني على ما كان من سدر

اخشى عواقب امرٍ سوف يأتينا^(٤)

ادالة القوم في امر يراد بنا

فاقني حياءً وكفي ما تقولينا

ووصف الشعراء المعارك التي وقعت بين الفريقين فقال ابو واقد

الحارث بن عوف الحشني: ^(٥)

(١) التأثر: الذي يطلب التأثر.

(٢) وقعة صفين ص ٣٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨١.

(٤) الصدر: بالتحريك الحيرة.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٨٢.

سائل بنا يوم لقينا الازدا
والخيل تعدو شقراً ووردا^(١)
لما قطعنا كفهم والزندا
واستبدلوا بغياً وباعوا الرشدا
وضيّعوا فيما ارادوا القصد
سحراً لهم في رأيهم وبعدا
وقال أيمن بن خريم الاسدي متوعداً جيش الامام علي: ^(٢)
الى رجب اوغرة الشهر بعده
يصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانين الفاً دين عثمان دينهم
كتائب جبرئيل يقودها
فمن عاش عبداً عاش فينا ومن يميت
ففي النار يسقى مهلها وصيدها
ويخر كتاب وقعة صفين بمئات المقطعات والقصائد التي واكبت
وقائع صفين بالتفصيل .
واشتد القتال وكاد الأمر يترجم لعلي ، فنادت شيوخ اهل الشام:
الله الله في الحرمات والنساء والبنات ، فقال عمرو بن العاص : ايها
الناس من كان معه مصحف فليرفعه علي رمحه فكثرت في الجيش رفع
المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا : كتاب الله بيننا وبينكم ، من
لثغور الشام بعد اهل الشام ومن للترك ، ومن للكفار ؟ ورفع في

(١) شقراً ووردا : من صفات كرام الخيل .

(٢) وقعة صفين ص ٥٥٥ .

عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفي ذلك يقول النجاشي
ابن الحارث

فأصبح اهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا علياً يا ابن عم محمد
اما تتقي ان يهلك الثقلان

نجدع الناس بذلك، وترك اهل العراق القتال على الرغم من علي^(١)
ويشتبك الامام علي مع الخوارج بحروب طويلة وتفيض كتب
التاريخ باشعار الخوارج وجماعة الامام فيما وقع بينهما ومن هذه الاشعار
ما قيل في احدى هذه الحروب وهي حرب النهروان فقد خرج احد
الخوارج وهو يرتجز بقوله :

اضربهم ولو اذى علياً البسته ابيض مشرفيا
فيخرج اليه الامام علي مجيباً :
يا ايهدا المبتغي علياً اني اراك جاهلاً شقياً
قد كنت عن كفاحه غنيا هلم فابرزها هنا إلياً
ثم يحمل عليه فيقتله^(٢) ، ويخرج آخر فيفتك بالناس وهو يقول:
اضربهم ولو ارى ابا حسن البسته بصرار مي ثوب غبن
فيخرج اليه الامام وهو يقول :
يا ايهدا المبتغي ابا حسن اليك فانظر اينما يلقي الغبن
ثم حمل عليه وشكه بالرمح تاركاً الرمح فيه قائلاً : لقد رأيت
ابا حسن فرأيت ما تكره^(٣)

(٢) المصدر نفسه ٤١٦/٢ .

(١) مروج الذهب ٢٧٥/٢ .

(٣) المصدر نفسه ١١٧/٢ .

وتمتد يد ائيمة لتغتال خلافة الراشدين في شخص الامام علي
فقد طعنه ابن ملجم بضربة قاتلة ، وجمع جميع المسلمين به فبكوه
بكا حاراً ، ونهض الشعر مصوراً هذه المأساة الجديدة فقال ابو
الاسود الدؤلي ^(١)

الا ابليغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشاميينا
افي شهر الصيام فجمعتمونا بخير الناس طراً اجمعينا ؟
قتلتم خير من ركب المطايا وخيسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمئينا
اذا استقبلت وجه ابي حسين رايت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت بانك خيرهم حسبا ودينا

وتوارد جمع كبير من الشعراء على رثائه رضى الله عنه وتصوير
المأساة التي امت بالمسلمين فقال ابو زيد الطائي ^(٢)

ان الكرام على ما كان من خلُق
رهط امرىء خاره للدين مختار
طبّ بصير بأضغان الرجال ولم
يُعدّل بحبر رسول الله أحبار
وقطرة قطرت اذ حان موعدها
وكل شيء له وقت ومقدار
حتى تنصلها في مسجد طهر

على امام هدى ان معشر جاروا ^(٣)

(١) ديوانه ص ٣٢ . (٢) شعر أبي زيد الطائي ص ٦٤

(٣) تنصلها : استخرجها .

سُحِّتْ لِيَدْخُلَ جَنَاتِ ابْنِ حَسَنِ
وَأُوجِبَتْ بَعْدَهُ لِلْقَاتِلِ النَّارَ^(١)

وقد أوضح الشعر الأسباب التي دعت ابن ملجم الى الاقدام على هذه الجريمة المنكرة فبين إنما اقدم ابن ملجم على ذلك ثمناً لمهر ابنة عم له اسمها - قطام - فقد طالبت بذلك ثأراً لأبيها واخيها اللذين قُتلا في حرب النهروان وجعلت مهرها ثلاثة الاف وعبداً وقينة وقتل الامام علي^(٢)

وفي ذلك يقول ابن ابي مياس المرادي^(٣) :

ولم ارَ مهراً ساقه ذو سماحة كهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة الاف وعبد وقينة وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر اغلى من علي وان غلا ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم
وهكذا ظل الشعر مع الاحداث ، يؤرخ لها ، ويصور وقائعها
بدقة قد تعجز عنها كتب التاريخ ، فقدم لنا وثائق تاريخية لا يستغني
عنها كل باحث او مؤرخ .

(١) حمت : قدرت .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٤٢٠ .

(٣) الطبري ٥ / ١٥٠ .

سعر الوعظ والارشاد

جاء الاسلام ليهدي الناس الى طريق الصلاح في الدنيا والآخرة .
وليخرجهم من الظلمات الى النور، وقد اعتمد سبيل الوعظ والارشاد
والنصيحة لتحقيق اغراضه فقال تعالى: (ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي احسن) . وقال الرسول (ص) :
الدين النصيحة . وقد افاد الشعراء المسلمون من فنههم لتحقيق ذلك
الغرض النبيل فجاءت اشعارهم زاخرة بالنصائح والارشادات ، ومن
تلك الاشعار قصيدة صرمة بن ابي انس التي نصح فيها ابناؤه ، فقد
صاغ فيها مثل الاسلام وشمائله باسلوب بليغ وطريقة سهلة فقال :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسهُ وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال
وفيها يقول :

يا بنيَّ الارحام لا تقطعوها واصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
واعلموا ان لليتيم ولياً علما يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه ان مال اليتيم يرعاه وال
يا بنيَّ النجوم لا تخذلوها ان خذل النجوم ذو عقال
يا بنيَّ الايام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومكر الليالي

واجمعوا امركم على البر والتقوى وترك الخنا واخذ الحلال^(١)
ومن نصائح الشعراء ومواعظهم قول شداد بن عارض الجشمي
حين كان بصحبة رسول الله (ص) في مسيرة الى الطائف حيث نصح
بترك عبادة الاصنام مؤكداً عدم فائدتها ولو استطاعت لدافعت عن
نفسها قال: ^(٢)

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها
و كيف ينصر من هو ليس ينتصر
ان التي حرقت بالسد فاشتعلت
ولم يقاتل لدى احجارها هدر^(٣)
ان الرسول متى ينزل بداركم
يرحل وليس بها من اهلها بشر
وأوصى عبدة بن الطبيب ابناؤه بتقوى الله وبر الوالد والجد
من النمام الذي يبذر الضغائن والاحقاد بين الناس قال: ^(٤)
اوصيكم بتقى الاله فانه
يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وبير والدكم وطاعة أمره
ان الابر من البنين الاطوع
واعصوا الذي يزجي النمام بينكم
متنصفاً ذاك السمام المنقع^(٥)

(١) الاستيعاب ١٥٨/٤ (٢) اسد الغابة ٢/٣٨٨
(٣) هدر: باطل لا يؤخذ بثأره. (٤) المفضليات ص ١٤٦.
(٥) يزجي: يدفع ويسوق. المنقم: القاتل.

يزجى عقاربه ليعث بينكم

حرباً كما بعث العروق الاخدع^(١)

ونصح سراقه بن مالك الكناني أبا جهل بان يكف قومه عن
ايداء رسول الله (ص) لان امره ظاهر لا محالة فلا فائدة ترجى من
مقاومته ، مذكراً اياه بما جرى له شخصياً حين لحق برسول الله (ص)
محاولاً قتله وهو في طريقه للهجرة و كيف ساخت فرسه الى بطنها في
الارض يقول: ^(٢)

أبا حكم والله لو كنت شاهداً لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشك بان محمداً رسول بيرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فاني ارى امره يوماً ستبدو معاله
بامر يود الناس فيه بأسرهم بان جميع الناس طراً يسالنه

ونصح النمر بن توبل بعدم الغضب لمال الغير والتزام الغضب في
فقدان المال الشخصي، وبالتوكل على الله واللجوء اليه دائماً يقول: ^(٣)

لا تغضبنَّ على امرى في ماله
وعلى كرائم صلب مالك فاغضب
واذا تصبك خصاصة فارحُ الغنى
والى الذي يعطي الرغائب فارغب

وحين رفعت الفتنة عقيرتها بعد وفاة الرسول (ص) واحتدم
الجدال بين الانصار والمهاجرين حول الخلافة بادر خزيمة بن ثابت

(١) الاخدع : عرق في العنق اذا ضرب اجابته العروق .

(٢) اسد الغابة ٢/٢٦٦ .

(٣) الاصابة ٣/٥٤٣ .

الانصاري الى اسداء النصيح للناس بالانصراف والاقلاع عن
الاختلاف و الى التصافي والتآخي فيما بينهم يقول: ^(١)

يال قریش اصلحوا ذات بيننا وبينكم قد طال حبل التماحك
فلا خير فيكم بعدنا فارقوا بنا ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الاعداء كف طويلة اذا كان يوم فيه حب الحواريك
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم ففي ذكر ما قد كان مشي التشارك

وكان الشاعر الصلصال بن الدهميس قد جاء مع وفد بني تميم فاوصاهم
الرسول (ص) بشيء فقال قيس بن عاصم وددت لو كان هذا الكلام
شعراً نعلمه اولادنا فقال الصلصال انا انظمه يا رسول الله فقال: ^(٢)

تجنب خليطاً من مقالك انما

قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ولا بد بعد الموت من ان تعده

ليوم ينادى المرء فيه فيقبل

وان كنت مشغولاً بشيء فلا تكن

بغير الذي يرضى به الله تشغل

ولن يصحب الانسان من قبل موته

ومن بعده الا الذي كان يعمل

الا انما الانسان ضيف لاهله

يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

(١) شرح نهج البلاغة ١٤/٦ .

(٢) الاصابة ١٨٦/٢

سُورَةُ الْفَتْوحِ الْمَكِّيَّةِ

حين دخل العرب في الاسلام ، أمدهم الاسلام بقوة روحية هائلة ، فاندفعوا في اقطار الارض فاتحين محررين ، لا حياء في الغزو ، ولا تهافتاً على غنيمة ، وانما جهاداً في سبيل الله ، واعلاء لرسالته في الارض . فكانوا يستهينون بالصعاب ، ويستعذبون الشهادة في سبيل الله ، موقنين ان الحياة تفتى ، والآخرة تدوم ، وان ما عند الله خير وأبقى .

وقد حَبَّبَ اللهُ الى المؤمنين الجهاد ، وزينه في صدورهم ، فقال تعالى : (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب ، فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) . (إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله) . (يا أيها الذين آمنوا . هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) . وهناك عشرات الآيات التي تحث على الجهاد وتدعو الى القتال في سبيل الله .

وجاءت الاحاديث النبوية مؤكدة لمعنى الجهاد في قلوب المؤمنين ، فجعلته أفضل الاعمال بعد الايمان ، وذروة سنام الاسلام ، وباباً من ابواب الجنة ، الى ما هناك من احاديث تبين فضله ، وتحث على الاخذ به ، وتؤكده أن ما سوف يلاقيه المؤمنون واحداً من أمرين : الشهادة فالجنة أو النصر فالعزة والكرامة .

وضرب رسول الله (ص) أروع الامثلة في البطولة والجهاد في
سبيل الله . فأثرت تعاليمه ، وانطلق المسلمون وهم يحملون في
صدورهم هذه التعاليم الربانية ، يحدوهم ذلك الهدف السامي الذي
خرجوا من اجله .

وقد عبر عن ذلك المغيرة بن شعبه حين التقى برستم ملك الروم
فقال : يدخل من قُتل منا الجنة ، ومن قُتل منكم النار ، ويظهر
من بقي منا على من بقي منكم^(١) .

وقد ترددت هذه المعاني السامية في اشعار المجاهدين ، فهذا النابغة
الجعدي يخاطب زوجته حين ناشدته الله أن يبقى ، ولا يخرج الى
القتال :^(٢)

باتت تذكّرني بالله قاعدة

والدمع ينهل من شأنيهما سبلا

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني

كرهاً وهل أمنعن الله ما بذلا

فان رجعتُ قربّ الناس أرجعني

وإن لحقت بري فابتغني بدلاً

ما كنت اعرج او اعمى فيعذرني

او ضارعاً من ضنيّ لم يستطع حولاً^(٣)

وهذا شاعر مسلم آخر يصور استجابة المؤمنين لداعي الله حين

(١) الطبري ٢٢٧٩/٥ .

(٢) ابن قتبية : الشعر والشعراء ٢٥١/١ .

(٣) ضارعاً : ضاويأ نعيلاً . ضنيّ : مرض .

رثى شهداء الاسلام في القادسية فقال: (١)

جزى الله اقواماً يجنب مشرق

غداة دعا الرحمن من كان داعياً

جنانا من الفردوس والمنزل الذي

يحل به م الخير من كان باقياً

وفي شعر ابناء الشاعرة الكبيرة الخنساء خير مثال على تشرب
روح المؤمنين بحب الجهاد والفداء في سبيل الله ، فصاغوا نصيحة
امهم ملحمة شعرية رائعة ، وجعلوها انشودتهم في ساحات الوغى فقد
حضرت حرب القادسية ومعها بنوها الاربعة فقالت لهم من اول
الليل : يا بني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي
لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ،
ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت
نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الشواب الجزيل في حرب
الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى
(يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون)

فان اصبحتم غداً ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم
مستبصرين وباللّٰه على اعدائه مستنصرين فاذا رأيتهم الحرب قد شممت
عن ساقها واضطربت لظى على سياقها وحللت ناراً على ارواقها
فتميموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغمم
والكرامة في دار الخلد والمقاومة ، فخرج بنوها قائلين لنصحها عازمين

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٥٣٩ .

على قولها فلما اضاء لهم الصبح باكروا مرا كزهم وانشأ اولهم يقول :
يا اخوتي إن العجوز الناصحه قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحه فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وانما تلقون عند الصائحه من آل ساسان الكلاب النابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه وانتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنا رابحه

وتقدم فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثاني وهو يقول :

إن العجوز ذات حزم وجلد
والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إمّا لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عزّ الأبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث وهو يقول :

والله لا نعصي العجوز حرفاً قد أمرتنا حرباً وعطفاً
نصيحاً وبراً صادقاً ولطفاً فبادروا الحرب الضروس زحفاً
حتى تلفوا آل كسرى لفاً او يكشفوكم عن حماكم كشفاً
انا نرى التقصير عنكم ضعفاً والقتل فيكم نجدة وزلفى

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء، ولا للأخرم ولا لعمر وذي السناء، الاقدم
ان لم ارد في الجيش جيش الاعجم ماض على الهول خضم خضم
إما لفوز عاجل ومغرم او لوفاء في السبيل الاكرم
فقاتل حتى استشهد، فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني
بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته. (١)

وحين كان يلتقي المسلمون باعدائهم، كان يصور شعراء الاسلام
تلك المعارك وينقلون لنا وقائع الاشتباكات واحداثها، فهذا الاسود
ابن قطبة التميمي يصور هول المعركة التي وقعت بين الفرس والمسلمين
في يوم أليس (٢) بالعراق فيقول: (٣)

لقينا يوم أليس وأمغى ويوم المقر آساد النهار
فلم ار مثلها فضلات حرب اشد على الجحاجة الكبار
قتلنا منهم سبعين الفاً بقية حزبهم نخب الاسار
سوى من ليس يحصى من قتيل ومن قد غال جولان الغبار
وينتقل القعقاع بن عمرو الى وقعة الفراض التي تحالف فيها الفرس
والروم وبعض مشركي العرب ضد المسلمين فيقول: (٤)

لقينا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام
ابدنا جمعهم لما التقينا وبتنا بجمع بني رزام
فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام
وحين التقى المسلمون بقيادة ابي عبيدة مع الفرس في النمارق

(١) الاستيعاب ٢٨٩/٤ .

(٢) أليس : موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية .

(٣) ياقوت ٣٦٣/١ .

(٤) ياقوت ٨٩٤/٣ .

أنشد عاصم بن عمرو مقطوعة يوضح فيها ما حقق الله على أيدي
المسلمين من الانتصارات متتبعاً مواضع الاشتباكات قال: ^(١)

لعمرى وما عمري عليّ بهين

لقد صبحت بالخزي أهل النمارق ^(٢)

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم

يجوسونهم ما بين درتا وبارق ^(٣)

قتلناهم ما بين مرج مسلح

وبين الهوا في من طريق البذارق ^(٤)

ويصور زياد بن حنظلة معركة اجنادين في الشام وانتصار

المسلمين فيها بعد ان قتلوا ثمانين الفاً من الروم ، فجاءت قصيدته

مزيجاً من الفخر والوصف وهو ما يميز شعر الحماسة ، قال: ^(٥)

ونحن تركنا ارطبون مطرداً

الى المسجد الاقصى وفيه حُسور

عشية اجنادين لما تتابعوا

وقامت عليهم بالعراء نسور

عطفنا له تحت العجاج بطعنة

لها نشيج نائي الشهيق غزير

فطمنا به الروم العريضة بعده

عن الشام ادنى ما هناك شطير

(١) المصدر نفسه ٥٣٢/٤ .

(٢) النمارق : موضع قرب الكوفة نزله عسكر المسلمين في اول ورودهم العراق .

(٣) درتا : ناحية من نواحي الكوفة .

(٤) بارق : الحدين القادسية والبصرة وهو من اعمال الكوفة .

(٥) ياقوت ١٣٧/١ .

تولت جموع الروم تتبع اثره
تكاد من الذعر الشديد تطير
وغودر صرعى في المكر كثيرة
وعاد اليه الفلّ وهو حسير

ورسم لنا قيس بن مكشوح صورة واضحة لخط سير المسلمين في
معركة القادسية، مصوراً بلاءه وشجاعة المسلمين في تلك المعركة: (١)
جلبت الخيل من صنعا تردّي بكلّ مدجج كالليث سام (٢)
الى وادي القرى فديار بكر الى اليرموك فالبلد الشامي
وجئ من القادسية بعد شهر مسومة دوابرها دوامي (٣)
فناهضنا هنالك جمع كسرى وابناء المرازبة الكرام (٤)
فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام
فاضرب رأسه فهوى صريعاً بسيف لا افل ولا كهام (٥)
وقد أبلى الاله هناك خيراً وفعل الخير عند الله نام
وهكذا امتزج وصف المعارك بصور شجاعة وبأس واقدام
المجاهدين .

ويلقانا الشعراء بهذه الصور في كل معركة خاضوها في فتوح
العراق وخراسان والشام ومصر وافريقيا وغيرها من البلدان
المفتوحة .

-
- (١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦١ .
 - (٢) تردى الخيل : ترجم الارض بحوافرها .
 - (٣) مسومة : معلة . الدوابر : العرايب . دوامي : ملطخة بالدم .
 - (٤) المرازبة : رؤوساء الفرس .
 - (٥) افل : مثل . كهام : كليل لا يقطم .

وعندما كانت تنأى بالمجاهدين المسافات ، وتطول بهم الايام ،
كانوا يحسون بالغربة ، ويتشوقون الى بلادهم واهليهم ، فيرسلوا
زفراتهم اشعاراً مشحونة بالعواطف الرقيقة ، مليئة بآلام الفرقة
ولواعج البعاد ، فهذا احد المجاهدين يشعر بالحنين الى نجد فيقول
متشوقاً الى ارضها متطلعاً الى خيامها :^(١)

اكرر طرفي نحو نجد وانني
برغمي وان لم يدرك الطرف انظر
حينئذ الى ارضٍ كأن ترابها
اذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الاقحوان بروضة
ونور الاقاحي وشي برد محبر
أحن الى ارض الحجاز وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بتافع
أجل - لا - ولكني الى ذاك انظر
افي كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاوز
بحرب واما نازح يتذكر
وهذا شاعر آخر ييث آلام غربته الى قرية بجواره جمعت بينها

(١) ياقوت ٧٤٧/٤ .

الغربة في مرو الشاهجان فيقول: ^(١)

أقمية الوادي التي خان إلفها

من الدهر احداث اتت وخطوب

تعالى اطارحك البكاء فاننا

كلانا بمرو الشاهجان غريب ^(٢)

ويتشوق شاعر آخر الى نجد وريحها وطيب جوها فيقول: ^(٣)

أتبكي على نجد وريا ولن ترى

بعينيك ريا ما حيت ولا نجدا

ولا مشرفاً ما عشت اقفار وجرة

ولا واطناً من تربهن ترى جعداً ^(٤)

ولا واجداً ريح الخزامى تسوقها

رياح الصباح تعلو دكادك او وهذا ^(٥)

وقد يضيق الشعراء بطبيعة البلاد المفتوحة حين يجدون جوها
يختلف عما الفوه في بلادهم ويبتهم التي اعتادوها ، فنظموا ذلك شعراً
يفيض بالتبرم والاشفاق ، فهذا أحد الفاتحين يعلن ضيقه بالبرد الشديد
في مرو الشاهجان فيقدم لنا لوحة شعرية لمناظر الثلج والبرد فيقول: ^(٦)

وأرى بمرو الشاهجان تنكرت ارض تتابع تلجها المذرور

(١) المصدر نفسه ٥١٠/٢ .

(٢) مرو الشاهجان : هي مدينة مرو ، أشهر مدن خراسان وقصبتها .

(٣) ياقوت ٩٠٦/٤ .

(٤) وجرة : بين مكة والبصرة اربعون ميلاً ما فيها منزل ، فهي مرتمة للوحش .

(٥) دكادك : المرتفعات . وهد : المنخفض .

(٦) ياقوت ٥١٠/٤ .

اذ لا ترى ذابرة مشهورة الا تحال كانه مقرر
كلتا يديه لا تزايل ثوبه كل الشتاء كانه مأسور
وقد يصور الشعراء اسلحتهم التي استعملوها في فتوحاتهم، ومن
اروع هذه الصور قول ابي محجن الشقي: ^(١)

لما رأينا خيلاً محجّلة وقوم بغى في جحفل لب
طرنا اليهم بكل سهلبة وكل صافي الاديم كالذهب
وكل عراصة مثقفة فيها سنان كشعلة اللهب
وكل غضب في متنه أثر ومشرقي كالملح ذي شطب
وكل فضفاضة مضاعفة من نسج داود غير مؤتشب

وحين كان يسيىء بعض العمال التصرف، ويجانبون الحق، كان
يتصدى لهم الشعراء المجاهدون فيرفعون امرهم الى الخليفة، من ذلك
شكوى ابي المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق عمال الاهواز
وغيرهم الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فقال:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
فأنت أمين الله في النهي والامر
وانت أمين الله فينا ومن يكن
أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى
يسيفون مال الله في الأدم الوفر
فأرسل الى الحجاج فاعرف حسابه
وأرسل الى جزء وأرسل الى بشر

(١) البغدادي: خزنة الادب ١/٥٥٦.

ولا تنسينَّ النافعَين كليهما
 ولا ابنَ غلاب من سراة بني نصر
 وما عاصم منها بصفر عيابه
 وذلك الذي في السوق مولى بني بدر
 وارسل الى النعمان واعرف حسابه
 وصهر بني غزوان اني لذو خبر
 وشبلاً فسله المال وابن مجرّش
 فقد كان في اهل الرساتيق ذا ذكر
 فقاسمهم اهلـي فداؤك انهم
 سيرضون ان قاسمتهم منك بالشرط
 ولا تدعـوني للشهادة انـي
 أُغيبُ ولكني ارى عجبَ الدهر
 نؤوب اذا آبوا ونغزو اذا غزوا
 فأنّي لهم وفرٌّ ولسنا اولي وفر
 اذا التاجر الداريُّ جاء بفارة
 من المسك راحت في مفارقهم تجري

فقاسم عمر هؤلاء الذين ذكرهم ابو المختار شرط اموالهم. (٢)
 وحين كان يتسابق شباب الاسلام الى الجهاد في سبيل الله
 والانضواء تحت رايات الفداء غير مبالين بما يخلفون وراءهم من آباء
 شيوخ مقعدين ، كان ذلك يؤلم الالباء الشيوخ ، فيشكون امرهم ،
 ويستشفعون الخليفة او الامير لرد ابنائهم ليجقوا الى جانبهم .

فحين خرج شيبان بن المخبل السعدي في خلافة عمر بن الخطاب
مع سعد بن ابي وقاص الى حرب الفرس جزع عليه ابوه ، وكان قد
اسنّ وضعف ، وكان يغلب على عقله ، فعمد الى ماله ليبيعه ويلحق
بابنه ، فمنعه علقمة بن هوذة واعطاه فرساً وقال له : انا اكلم لك
عمر في رد ابنك وتوجه الى عمر وانشده قول المخبل :

ايملكني شيبان في كل ليلة
فقلبي من خوف الفراق وجيب
وينخبرني شيبان ان لم يعقني
تعق اذا فارقتني وتحوب^(١)

ويقول فيها :

فان يكُ غصني أصبح اليوم بالياً
وغصنك من ماء الشباب رطيب
إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ؟
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب^(٢)

فرق له عمر ، وكتب الى سعد يأمره ان يرد شيبان الى ابيه فرده
اليه ، ولم يزل عنده حتى مات .^(٣)

وحين هاجر كلاب بن أمية بن حرثان بن الاسكر الى حرب
الفرس وترك ابويه شيخين عاجزين فزع ابوه الشيخ الى عمر يشكو
هجرة ابنه ، ومما انشده فيه قوله :^(٤)

-
- (١) تحوب : تأتم .
 - (٢) الاصابة ١٦٤/٢ .
 - (٣) الاغانى ١٩٠/١٣ .
 - (٤) ابن سلام ص ١٦٠ .

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن حفظ الكتاباً^(١)
إذا هتفت حمامة بطن وجّ على بيضاتها ذكرا كلابا
تركت أباك مُرَعِشَةً يداه وأمك ما تسيع لها شرابا
فأمر عمر باشخاص كلاب الى أبيه .

وعندما هاجر خراش بن ابي خراش الهذلي في ايام عمر غازياً مع
المسلمين أوغل في ارض العدو فقدم أبوه المدينة وجلس بين يدي عمر
وشكا اليه شوقه الى ابنه وانه رجل قد انقرض اهله ، وقتل اخوته ،
ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش ، وقد غزا وتركه ، ثم
أنشأ يقول :

الا من مبلغ عني خراشاً وقد يأتيك بالنبا البعيد
وقد يأتيك بالاخبار من لا تجهز بالحذاء ولا تُزِيد^(٢)
يناديه ليغبقه كليب ولا يأتي لقد سفه الوليد^(٣)
فردّ اناؤه لا شيء فيه كأن دموع عينيه الفريد^(٤)
واصبح دون غابقه وأمسى جبال من حرار الشام سود
ألا فاعلم خراش بأن خير الـ مهاجر بعد هجرته زهيد^(٥)
فانك وابتغاء البر بعدي كخضوب اللبان ولا يصيد^(٦)

(١) اي ما في كتاب الله من رعاية الآباء والبر بهم .

(٢) تزيد : اي تزود .

(٣) كليب : عبد ابي خراش . ليغبقه : ليسقيه اللبن في الليل . الوليد : ابن ابي خراش .

(٤) الفريد : جم فريدة ، وهي الشندر من فضة كاللؤلؤة والشندر صغار اللؤلؤة

شبه الدموع بها .

(٥) يقول : اذا هاجر وذهب فان خيره قليل ، وهو الزهيد . اي ما أقل ما يصيب

من الخير اذا هاجر .

(٦) هذا مثل : يعني ان الكلب يلطخ حلقه وصدرة بالدم يري بذلك للناس انه

قد صاد ولم يصد .

فكتب عمر بأن يقبل خراش الى ابيه ، وألا يغزو من كان له أب
شيخ الا بعد أن يأذن له^(١) .

وللرثاء مكان بارز في شعر الفتوحات الاسلامية ، فقد وصلت
الينا مرثي رائعة لمن كان يفقد في اثناء تلك الفتوحات ، من ذلك
قصيدة كثير بن الفريزة النهشلي الذي كان في جيش الاقرع بن حابس
التميمي يرثي بها من اصيب في معارك الطالقان وجوزجان لعهد عمر
بن الخطاب (رض) ويرثي نفسه ايضاً^(٢) :

سقى مزن السحاب اذا استقلت مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوطٍ اقادهم هناك الاقرعان
وما بي ان اكون جزعت الا حنين القلب للبرق اليماني
ومحبور برؤيتنا يرجى اللقاء، ولن اراه ولن يراني
ورب اخ اصاب الموت قبلي بكيت ولو نُعيت له بكاني
دعاني دعوةً والخيل تردى فما ادري باسمي ام كناني
فكان اجابتي اياه اني عطفت عليه خوَّار العنان
واي فتىً اذا مامت تدعو يطرق عنك غاشية السنان
وهي تجري على هذا النمط .

وهذا شاعر آخر يرثي شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية :^(٣)

جزى الله اقواماً بجنب مشرق

غداة دعا الرحمن من كان داعياً

(١) الاغاني (ساسي) ٦٨/٢١ .

(٢) الاغاني ١ / ٢٧٨

(٣) ياقوت ٤ / ٥٣٩

جنانا من الفردوس والمنزل الذي

يحل به م الخير من كان باقيا

وحين استشهد نافع بن غيلان الثقيفي مع خالد بن الوليد بدومة
الجنديل قال ابوه

ما بال عيني لا تغمض ساعة الا اعترتني عبرة تغشاني
يا نافعاً من للفوارس احجمت عن شدة مذكورة وطعان
لو استطيع جعلت مني نافعاً بين الالهة وبين عقد لساني

فعوتب أبوه على كثرة بكائه فقال دعوني ابكي فسينفد دمعي
فقليل له بعد ذلك اين دموعك يا غيلان فقال : كل شيء يبلى^(١).

وهذا الأعور بن قطبة يتجاذبه شعوران متضاربان ، شعور
بالفرح والسرور لأن اخاه قتل قائداً من قواد الفرس ، وشعور
بالحزن والالم لفقد اخيه البطل الذي طعنه ذلك الفارس المغوار قبل
ان يسقط فيقول :^(٢)

لم ار يوماً كان احلى وأمرّ من يوم اغواث اذا فتر الشفر
من غير ضحك كان أسوى وأبر

وحين استشهد الحباب في قتال الفرس رثاه ابوه ذريح بن الحارث
ببيتين يفيضان لوعة وأسى فقال :^(٣)

أبغي الحباب في الجهاد ولا ارى

له شهماً ما دام لله ساجد

(١) الاصابة ٥١٧/٣

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢٠٦/٢

(٣) الاصابة ٢٤/٣

وكان الحباب كالشهاب حياته

وكل شهاب لا محالة خالد

ونحن نحسّ في هذا الرثاء ضرباً من روح الاستسلام لقضاء الله
وحسن تقبله ، واعتزازاً وفخراً أكيداً بما اعدّه الله للشهداء من حسن
الاجر والثواب .

وقد استأثرت المشاهد الغريبة التي لم يألفها العرب من قبل بقسط
كبير من اهتمام شعراء الفتوح ، فصوروا هذه المشاهد تصويراً دقيقاً
وابدوا دهشتهم واستغرابهم لتلك المناظر التي يعاينونها لأول مرة
ومن هذه المشاهد الغريبة الفيلة فقد ذكرها كثير من الشعراء في
اشعارهم ، فذكرها ربيعة بن مقروم ، وفخر برؤيتها فقال :^(١)

ودخلت أبنية الملوك عليهم

ولشر قول المرء ما لم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحولها

ابناء فارس بيضها كالأعبل^(٢)

متسر بلي حلق الحديد كأنهم

جرب مقارفة عنية مهمل^(٣)

وكما وصف الشعراء الفيلة اتوا على ذكر الحشرات التي كانت غريبة
فآذتهم وآذت دوابهم فقال احدهم يشكو من الذباب الذي آذى ناقته :^(٤)

(١) الاغاني ٩٣/١٩

(٢) البيض : الخوذ . الأعبل : حجر ابيض

(٣) جرب : ابل جرباء . مقارفة : من القراف وهو داء يقتل البعير .

العنية : طلاء للجرب ، و اراد الابل الجربي . المهمل : الذي يهمل الابل في المرعى .

(٤) الطبري ٢٠٥٩/٤

لقد حبست في كربلاء مطيتي
وفي العين حتى عاد غشاً سمينها
إذا رحلت من مبرك رجعت له
لعمر ابيها اني لا اهيئها
ويمنعها من ماء كل شريعة
رفاق من الذبان زرق عيونها

وقد لفتت كنائس الروم وبيعهم ، وما حليت به من زخارف
ونقوش انظار الشعراء ، فذكروها في اشعارهم كما قال حارثة بن النمر
في معركة اليرموك :^(١)

لله باليرموك قوم طحطحوا أحساب عاتي الروم بالاقدام^(٢)
فتعطلت منهم كنائس زخرفت بالشام ذات فسافس ورخام

ومن اشد ما كان يؤلم المسلمين ، ان يقع ابناؤهم اسرى بايدي
الاعداء ، وطالما فزع ذوو الاسرى الى الشعر يعبرون به عن اساهم
ومصائبهم باسراهم ، فحين وصل خبر اسر ضرار بن الازور ومن معه
الى المسلمين في فتوحات الشام ، صعب ذلك على المسلمين ، وبكى
ابو عبيدة وخالد بن الوليد على اسرهم ، وقالوا : لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ، وبلغ ذلك اخت ضرار خولة ، فقالت : انا لله وانا
اليه راجعون يا بن امي ، ليت شعري في السلاسل او ثقوك ، ام
بالحديد قيدوك ام في البيداء ، طرحوك ام بدمائك خضبوك وانشدت
تقول :

(١) الاصابة ١/٣٧١

(٢) طحطحوا : داسوا

الا مخبر بعد التفرق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم شغلكم عنا
فلو كنت ادري انه آخر اللقا
لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري
فهل بقدم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم
و كنا بهم تزهو وكانوا كما كنا
الا قاتل الله النوى ما أمره
واقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت الليالي الجمع كنا سوية
ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم
لمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مقيد
تركاناه في دار العدو ويمنا
فما هذه الايام الا معارة
وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم
اذا ما ذكرهم ذا كر قلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة
وان بعدوا عنا وان مُنعوا منا^(١)

(١) الواقدي : فتوح الشام ٢٠٠/١

واجتمعت النسوة العربيات ، ممن كان لهن اسير مع ضرار عند
خولة ، وفيهن مزروعة بنت عملوق الحميرية ، وكانت من فصحاء
زمانها ، وكان ولدها صابر بن اوس فيمن أسر مع ضرار فجعلت
تندب ولدها وتقول^(١) :

ايا ولدي قد زاد قلبي تلهباً
وقد احرقت مني الحدود المدامع
وقد اضرمت نار المصيبة شعلة
وقد حميت مني الحشا والاضالع
واسأل عنك الراكب كي يجبروني
بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق
ولا منهم من قال انك راجع
فيا ولدي مذغبت كدّرت عيشتي
فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي مـوله
ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حياً صمت لله حجة
وان تكن الاخرى فما العبد صانع
وقالت خولة بنت الازور في اسر اخيها ضرار ايضاً^(٢) :

(١) المصدر السابق ٢٠١/١

(٢) فتوح الشام ٢٠٩/١

ابعده اخي يلد الغمض عيني فكيف ينام مقروح الجفون
 سأكبي ما حيتت على شقيق اعز علي من عيني اليمين
 فلو أني لحقت به قتيلاً لهان علي اذ هو غير هون
 وكنت الى السلو أرى طريقاً وأعلق منه بالجبل المتين
 وأنا معشر من مات منا فليس يموت موت المستكين
 واني أن يقال مضي ضرار لباكية بمنسجم هتون
 وقالوا كم بكاؤك قلت مهلاً اما ابكي وقد قطعوا وتيني
 وحين كان يشد المجاهدون على اعدائهم لم يكن ذلك ليلهم عن
 التوجه الى الله تعالى يستمدون منه العون ويستنزلون النصر .
 فهذا خالد بن الوليد يحمل على الروم في فتح دمشق وهو
 ينشد: (١)

لك الحمد مولاي على كل نعمة
 وشكراً لما أوليت من سابغ النعم
 مننت علينا بعد كفر وظلمة
 وانقذتنا من حنوس الظلم والظلم
 واكرمتنا بالهاشمي محمد
 وكشفت عنا ما نلاقي من الغم
 فتمم اله العرش ما قد ترومه
 وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
 وألقهم ري سريماً ببغيمهم
 بحق نبي سيد العرب والعجم

(١) المصدر نفسه ٢٢/١

ولم يفتر لسان المجاهدين عن ذكر الله ولا قلوبهم عن الانابة اليه،
فهذا ضرار بن الازور يبتدر لحرب الروم في فتح دمشق وهو ينشد
ويقول: (١)

عليك ربي في الامور المتكل
اغفر ذنوبي ان دنا مني الاجل
يارب وفقني الى خير العمل
وعني أمحُ سيدي كل الزلل
انا ضرار الفارس القرم البطل
باغ على الاعداء اضحى المتصل
اقم بسيفي الروم حتى يضمحل
مالي سواك في الامور من أمل

وقد أسهم الشعر في تحريض المؤمنين على الجهاد ومواصلة الكفاح
وكان من انجح الوسائل في استنهاض الهمم والهيب جذوة الحماس في
صدور المقاتلين، فانشده القادة يحرضون به جندهم على المضي في الجهاد
ومواصلة الكفاح، فعندما خرج خالد بن الوليد لقتال الروم في
موقعة اليرموك انشد محرضاً اصحابه على الخروج فقال: (٢)

هبوا جميع اخوتي ارواحا نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا اذا بذلنا دونه ارواحا
ويرزق الله لنا صلاحا في نصرنا العدو والرواحا

(١) المصدر نفسه ١٦٠/٢ .

(٢) فتوح الشام ١١٥/١

وأنشد ضرار عندما حمل المسلمون على أعدائهم في فتوحات
الشام قائلاً: (١)

ألا فاحملوا نحو اللثام الكواذب
لترووا سيوفاً من دماء الكتائب
وردوا عن الدين المعظم في الورى
وارضوا اله العرش رب المواهب
فن كان منكم يبتغي عتق ربه
من النار يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم
ويرضى رسولاً في الورى غير كاذب

وأنشد شرحبيل بن حسنة حين حمل على الروم في فتح مصر
قائلاً: (٢)

ألا يا عصابة الاسلام صولوا
على الأعداء بالسيف الصقيل
اذ يقودهم حياض الموت جهراً
بلذع السمهريّ الرمح الطويل
وموتوا في الوغى قوماً كراماً
شداداً في المعامع والنزول
وعندما عظم النزال واشتد اوار القتال بين المسلمين والروم في

(١) المصدر نفسه ٢٠٠/١

(٢) المصدر نفسه ١٥٧/٢

حروبهم لفتح الصعيد بمصر كان رفاعه بن زهير المحاربي يحرض الناس
على القتال وهو ينشد ويقول: (١)

يا معشر الناس والسادات والمهم
ويا اهيل الصفايا معدن الكرم
فسددوا العزم لا تبغوا به فشلا
ومكنوا الضرب في الهامات والقمم
وخلفوا القوم في البيداء مطرحة
على الثرى خمساً بالذل والنقم

(١) فتوح الشام ١٧٤/٢

دور الشعر في عروب اللروة

الردة الرجوع عن الشيء، ومنه الردة عن الاسلام، اي الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه اذا كفر به. (١)

وورد ذكر الردة في القرآن الكريم بمعنى الرجوع عن الاسلام ايضاً في موضعين هما: (... ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافرٌ فاولئك حبّطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢). وقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم) (٣).

ومن حديث الردة في التاريخ ، انه لما بويع ابو بكر رضى الله عنه ، وجمع الانصار في الامر الذي افرقوا فيه ارتدت القبائل العربية اما عامة واما خاصة ، ونجم النفاق ، واثرا بت اليهود ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقدهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وقتلهم ، وكثرة عدوهم ، وحين عزم الصديق على انفاذ جيش اسامة قال له الناس : ان هؤلاء جل المسلمين والعرب - على ما ترى - قد انتقضت

(١) انظر جمهرة اللغة ولسان العرب مادة (ردد) .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٧ ،

(٣) سورة المائدة : آية ٥٤ .

بك، فليس ينبغي ان تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال ابو بكر (رض):
والذي نفسي بيده، لو ظننت ان السباع تخطفني لا نفذت جيش اسامة
كما امر به رسول الله (ص) ولو لم يبق في القرى غيري لا نفذته. (١)
وارتدت سائر القبائل العربية، وقدمت رسل النبي (ص) من اليمن
واليامنة وبلاد بني اسد ووفود من كان كاتبه النبي (ص)... فدفعوا
كتبهم الى ابي بكر واخبروه الخبر فقال: لا تبرحوا حتى تجي، رسل
امرائكم وغيرهم بادهي مما وصفتم وأمر، وانتقاض الامور، فلم يلبثوا
ان قدمت كتب امراء النبي (ص) من كل مكان بانتقاض العرب
عامة او خاصة، ولم يثبت من المسلمين غير قريش وثقيف مع المدينة
فلم يرتد منهم احد، اما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمر والعامري
(رض) فانه خطب اهل مكة خطبة تشبه خطبة ابي بكر التي خطب
بها يوم وفاة النبي (ص) وثبتت اهل المدينة بها، فلما جاء خبر وفاة
النبي (ص) اهل مكة ارتجت، وكاد اهلها يرتدون، فقام سهيل
ابن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه، ومما قاله في
خطبته يا اهل مكة لا تكونوا آخر من اسلم واول من ارتد...
فن رأينا ارتد ضربنا عنقه. فاجابوه ولم يرجع احد عن اسلامه.

واما ثقيف فثبتهم الله بعثمان بن ابي العاص الثقفي فانه قام فيهم
بمثل ما قام به سهيل في مكة فثبتوا... وكانت ردة العرب مختلفة
فمنهم من قال: لو كان نبياً ما مات، ومنهم من قال انقضت النبوة
بموت محمد (ص) فلا نطيع احداً، ومنهم من قال: نؤمن بالله ونشهد

(١) الطبري ٢٢٥/٣ .

ان محمداً رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم اموالنا^(١) ، فحارب ابو بكر المرتدين بما كان رسول الله (ص) حاربهم بالرسول ، وكان المرتدون قد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فانزلوهم ، ثم تحملوا بهم على ابي بكر ، على ان يقيموا الصلاة ، وعلى الا^٢ يؤتوا الزكاة فرفض ذلك الصديق ، ووقف موقفاً شجاعاً حازماً ، وقال قولته المشهورة : لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونى الى رسول الله (ص) لقاتلتهم عليه ، - وكانت عقل الصدقة على اهل الصدقة مع الصدقة - وردت تلك الوفود ، فرجع هؤلاء الى من يلي المدينة من المرتدة ، واخبروا عشائرتهم بقله اهل المدينة ، واطمعوهم فيها ... واخذ اهل المدينة بالحضور الى المسجد . فقال لهم ابو بكر ان الارض كافرة^(٢) وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرن أليلاً تؤتون ام نهاراً ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون ان نقبل منهم ونوادعهم ، وقد ابينا عليهم ونبذنا اليهم عهدهم ، فاستعدوا وأعدوا ، فما لبثوا الاثلاثاً ، حتى طرقتوا المدينة غارةً مع الليل ، فخرج اليهم الصديق بجيش كبير من المؤمنين من الصادقين ، وأبى الا ان يقود ذلك الجيش بنفسه ، وقد حاول المسلمون ان يثنوه عن الخروج بنفسه ، وقالوا له : نشدك الله يا خليفة رسول الله ان تعرض نفسك ، فانك ان تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك اشد على العدو ، فابعث رجلاً فان اصيب أمرت آخر ، فابى ذلك وقال : لا والله لا افعل ولا واسينكم بنفسى ، فخرج اليهم وحاربهم حتى قضى على الجيوش

(١) دحلان : التوحات الاسلامية ص ٣ و ٤ .

(٢) كافرة : مظلة .

الزاحفة نحو المدينة . ثم رجع الى المدينة فذل بها المشركون ، وحين سمعت بنو ذبيان بما حدث لأنصارهم ، وثبوا مع عباس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم فعلهم ، وعز المسلمون بوقعة ابي بكر ، وحلف ابو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين .

ولم يكذب يستجهم من عاد من جيش اسامة حتى خرج الصديق ثانية الى ذي القصة^(١) ، ثم عقد احد عشر لواء لمحاربة المرتدين ، وجعل لكل لواء اميراً ، ووزع الالوية توزيعاً يتناسب مع قوة القبائل المرتدة ، وامر امير كل جند باستنفار من يمر به من المسلمين من اهل القوة ، وكانت رغبة الصديق (رض) مرافقة الالوية الذاهبة لقتال المرتدين والى يعود الى المدينة ، فجعل عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما يكلمانه في الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه ، وقال عمر : ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فة ودرأ ، فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق . وأبو بكر يظهر المسير بنفسه ، فلما برز واستوى على الراحلة اخذ الامام علي (رض) بزمامها وقال : الى اين يا خليفة رسول الله ، أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شمشيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع الى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام ، ولما ألحوا عليه في الرجوع ، رجع بعد أن بعث الامراء في كل ناحية لقتال اهل الردة^(٢) .

(١) موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد .

(٢) الفتوحات الاسلامية ص ٦

اما الالوية فانه عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان اقام له ، ولعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، وللمهاجرين أبي أمية وأمره بجنود العنسي ، ومعونة الابناء على قيس بن المكشوح ومن اعانه من اهل اليمن عليهم ، ثم يمضي الى كندة بحضرموت ، وخالد بن سعيد بن العاص وبعثه الى الحمقتين من مشارف الشام ، ولعمرو ابن العاص الى جماع قضاة ووديعة والحارث ، ولحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا^(١) ، ولعرجة بن هرثة وأمره بمهرة ، وأمرهما ان يجتمعا ، وكل واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شرحبيل بن حسنة في اثر عكرمة قال : اذا فرغ من اليامة فالحق بقضاة وانت على خيلك تقاتل اهل الردة ، ولطريفة بن حازم وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وأمره بتهمامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين ، ففصلت الامراء من ذي القصة ، ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده ، وقد عهد اليهم عهده ، وكتب الى من بعث اليه من جميع المرتدة ... فنفذت الرسائل بالكتب امام الجنود ، وخرجت الامراء ومعهم اليهود^(٢) ولم يعودوا حتى ركزوا الوية الحق والاسلام فيما ارسلوا اليه من ارضين واشرقت دنيا العرب والاسلام بالنور المحمدي ثانية ، وتوارت فلول الردة والكفر من ارض العرب الى الابد .

(١) دبا : قصبة عمان ، ارتد اهلها حين مات رسول الله (ص) وحين دعاه امير الصدقات حذيفة بن محصن أبوا واسمعوه شتماً لرسول الله وأبي بكر ، فكتب حذيفة بذلك الى ابي بكر .

(٢) الطبري ٢٠١/٣ .

وكانت لهذه الردة الرهيبة عواملها ويمكن اجمال هذه العوامل كما يأتي :

١- يأس القبائل من أن تكون الخلافة فيها :

برزت مشكلة الخلافة بعيد وفاة رسول الله (ص) ، فاجتمع زعماء المهاجرين والانصار في السقيفة ، وكان التنافس بين مكة والمدينة على اشدّه وقد كان لهؤلاء جميعاً اسباب وجيهة يتذرعون بها للوصول الى الخلافة فقد كانت للمهاجرين فضيلة القربى وسابقة الاسلام ، وللانصار فضيلة النصر والايواء ، أما القبائل الاخرى فلم يكن لها سبب من ذلك تتذرع به ، وحين بدأ التنازع بين الانصار والمهاجرين قال المهاجرون : منا الامراء ومنكم الوزراء ، وقال الانصار : بل منا أمير ومنكم أمير ، ومن هذا الحوار اتضح للقبائل العربية من غير المهاجرين والانصار - ان ليس لها امل في الوصول الى الخلافة .

وقد راودت فكرة السيادة بعض القبائل المرتدة فعلاً ، فحين دعا خالد بن الوليد بني حنيفة قال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي^(١) وحين فقدت تلك القبائل هذا الأمل كلياً ، وجدت لها المبرر لاعتلان العصيان ، ورفض الخضوع لسلطان أبي بكر (رض) فارتدت عن الاسلام .

٢- ضعف الايمان :

فقد كان كثير من هؤلاء المرتدين مسلمين بالظاهر فقط ، ولم يتغلغل الايمان في اعماقهم ، وهؤلاء هم الاعراب الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الاعراب اشد كفراً وبنفاقاً ، وأجدر أن لا يعلموا

(١) الطبري ١٩٧/٣

حدود ما انزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم ، ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء . والله سميع عليم «^(١) . وحين جيىء بعينته بن حصن - وهو اعراي - مجموعةً يداه الى عنقه ... يقولون له : اي عدو الله أكفرت بعد ايمانك ؟ كان يقول : والله ما كنت آمنت بالله قط^(٢) .

٣- العصبية القبلية :

ليس غريباً أن تحمل العصبية القبلية بعض القبائل على النكوص عن الاسلام ، والارتداد الى الكفر ، واتباع من انتحل النبوة من قبائلهم ومشايعتهم - مع معرفتهم كذب هؤلاء - تعصباً لقبائلهم ، وكرهاً لسيادة قريش التي ظنوها قد سلبتهم حريتهم ، وسيطرت عليهم بحكم الدين ، ومن تلك العصبية ، ان رجلاً جاء الى المرتدين فقال : اين مسيلمة ؟ قالوا : مه ارسول الله . فقال : لا ، حتى اراه ، فلما جاءه قال : انت مسيلمة ؟ قال : نعم . قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن . قال : افي نور أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة . فقال : اشهد انك كذاب ، وان محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر^(٣) .

و حين وصل نبأ وفاة رسول الله (ص) الى القبائل قام عيينة بن حصن من زعماء غطفان وقال فيهم : ... والله لأن نتبع نبياً من الخليفين - اي غطفان وأسد - أحب الينا من ان نتبع نبياً من قريش^(٤) .

(١) التوبة : آية ٩٨ - ٩٩

(٢) الطبري ٢٦٠/٣

(٣) الطبري ٢٨٦/٣

(٤) المصدر نفسه ٢٥٧/٣

ولما اجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت ، قالوا : نردّ الملك في آل المنذر ، فلما كوا المنذر بن النعمان بن المنذر^(١) .

٤ - العامل الاقتصادي :

ارتدّ قوم عن الاسلام ولم يخرجوا على عقيدة التوحيد فامتنعوا عن اداء الزكاة ، وفي زعمهم انها اتاة كانوا يؤدونها لرسول الله (ص) ما دام حياً ، ولم يجدوا مبرراً للاستمرار في ادائها بعد وفاته ، وعارض عمر ابا بكر في حرب هؤلاء محتجاً بقول الرسول (ص) : أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله . ولكن ابا بكر رفض هذا الرأي ، وعزم على ان يأخذ هؤلاء المرتدين في غير هوادة حيث قال : والله لا اقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم على منعه^(٢) . فقال عمر : فوالله ما هو الا ان قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت انه الحق^(٣) .

ومما ورد في ردة اهل حضر موت انهم حين اسلموا امر رسول الله (ص) بما يوضع من الصدقات ان يوضع صدقة بعض حضر موت في كندة وتوضع صدقة كندة في بعض حضر موت ، وبعض حضر موت

(١) المصدر نفسه ٣٠٣/٣

(٢) قال ابن الاثير في النهاية ١١٨/٣ : وفي حديث ابي بكر : لو منعوني عقلاً مما كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم عليه . اراد بالمقال الجبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة ، لان على صاحبها التسليم ، وانما يقع القبض بالباطل . وقيل : ارادها يساوي عقلاً من حقوق الصدقة . وقيل اذا اخذ المصدق اعيان الابل . قيل : اخذ عقلاً ... وقال الخطابي : انما يضرب المثل بالاكل لا بالاكثر .

(٣) صحيح البخاري ١٠٥/٢ .

في السكون ، والسكون في بعض حضر موت ، فقال نفر من بني وليعة : يا رسول الله ، السنن باصحاب ابل ، فان رأيت ان يبعثوا الينا بذلك على ظهر ، فقال : ان رأيتم . قالوا : فانا ننظر ، فان لم يكن لهم ظهر فعلنا ، فلما توفي الرسول (ص) وجاء ذلك الابان ، دعا زياد الناس الى ذلك ، فحضره ، فقالت بنو وليعة : ابلغونا كما وعدتم رسول الله (ص) فقالوا : ان لكم ظهراً ، فهلموا فاحتملوا ، ولا حوهم حتى لا حوا زياداً^(١) وقالوا له : انت معهم علينا ، فابى الحضرميون ولج الكنديون ، فرجعوا الى دارهم مرتدين .^(٢)

وقد ساهم الشعر في معارك الردة ، وواكب احداثها منذ اندلاعها حتى حقق الله النصر على ايدي المسلمين في آخر معركة منها .
موضوعات شعر الردة :

لقد تطرق شعر الردة الى موضوعات عديدة يمكن اجمالها كالاتي :
الفخر :

وهو اكثر الموضوعات التي بين أيدينا تردداً واتساعاً ، ولم يقتصر هذا الفخر على لون واحد فقط ، فقد فخر الشعراء بثباتهم على الاسلام وعدم انسياقهم وراء المرتدين ، ومن أمثلة هذا اللون قول الزبرقان ابن بدر^(٣) يفخر باداء صدقات قومه الى الخليفة :^(٤)

(١) هو زياد بن ليبيد البياضي عامل حضر موت .

(٢) الطبري ٣/٣٣١ .

(٣) هو الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس السعدي التميمي ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه ، وكان احد ساداتهم فاسلموا ، وذلك في سنة تسم فولاه الرسول (ص) صدقات قومه وأقره ابو بكر وعمر على ذلك .

(٤) الطبري ٣/٣٠٥ .

وَفِيَتْ بِأَزْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ
 سَعَاةٌ فَلَمْ يَرُدَّ بِعَيْرٍ مَجِيرِهَا ^(١)
 مَعاً وَمَنْعَنَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 تَرَامَى الْإِعَادِي عِنْدَنَا مَا يَضِيرُهَا
 فَأَدَّيْتَهَا كِي لَا أَخُونُ بِذِمَّتِي
 مَحَانِيقٌ لَمْ تَدْرُسْ لِرُكْبِ ظَهْوَرِهَا ^(٢)
 أَرَدْتُ بِهَا التَّقْوَى وَمَجْدَ حَدِيثِهَا
 إِذَا عَصَبَةُ سَامِي قَبِيلِي فَخُورِهَا
 وَقَوْلُ عَشْعَثِ بْنِ عَمْرٍو الْكَنْدِيِّ يُخَاطَبُ الْإِشْعَثَ الْكَنْدِيَّ: ^(٣)
 إِنْ تَمَسَّ كَنْدَةً نَاكِثِينَ عَهْدِهِمْ
 فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَنْكُثْ
 لَا تَبْغِ إِلَّا الدِّينَ دِيناً وَاحِداً
 خذْهَا وَلَا تَرُدُّ نَصِيحَةَ عَشْعَثِ
 وَهَذَا عَمِيرُ بْنُ ضَابِيءِ الْيَشْكُرِيِّ ، كَانَ سَيِّداً مِنْ سَادَاتِ
 أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَحِينَ أُرْتِدُوا كَتَمَ إِسْلَامَهُ ، ثُمَّ قَالَ شِعْراً يَعْنِفُهُمْ فِيهَا
 فَعَلَوْهُ ، وَيَفْخَرُ بِأَنَّ دِينَهُ دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) وَأَنَّ فِي قَوْمِهِ رِجَالاً
 عَلَى الْهَدْيِ مِثْلَهُ قَالَ: ^(٤)
 مَا سَعَادُ الْفُؤَادِ بِنْتُ أَثَالِ طَالِ لَيْلِي لِفَتْنَةِ الرِّجَالِ

-
- (١) أزواد : قطعان الإبل ، مفردهما ذود : وهو القطيع من الإبل بين الثلاث
 إلى العشر . مجيرها : الذي أعطى ذمة يكون بها جاره .
 (٢) محانيق : وهي الجمال السمينة . يقال أحقن البعير يعني سمن فجاء بشعم كثير
 (٣) الإصابة ١٠٤/٣
 (٤) المصدر السابق ١٢١/٣

فتن القوم بالشهادة والله عزيز ذو قوة ومحال
 إن ديني دين النبي وفي القوم رجال على الهدى أمثالي
 إن تكن منيتي على فطرة الله حنيفاً فإنني لا أبالي
 فطلبه قومه المرتدون ، فلاحق بالمدينة ثم أقبل مع خالد فقاتلهم .
 وثمة لون آخر من الفخر يختلف عن هذا الفخر ، وهو التغني
 بالانتصارات التي حققها المسلمون ، والاعتزاز بالوقوف في وجه
 المرتدين ومحاربتهم ، من ذلك قول زياد بن حنظلة التميمي^(١) في يوم
 الأبرق :^(٢)

ويوم بالآبارق قد شهدنا على ذبيان يلهب التهايا
 أتيناهم بداهية نسوف مع الصديق إذ ترك العتابا^(٣)
 وقول بشر بن قطبة الفقعسي^(٤) في معركة اليمامة :^(٥)
 اروح واغدو في كتيبة خالد
 على شطبة قد ضمها الغزو خيفق^(٦)
 إذا قال سيف الله كروا عليهم
 كررنا ولم نجعل وصاة المعوق^(٧)

-
- (١) هو زياد بن حنظلة التميمي بعثه رسول الله (ص) الى قيس بن عاصم والزرقان
 بن بدر ليتعاونوا على مسيلة ، وقد عمل لرسول الله (ص) وشهد جميع المشاهد معه .
 (٢) الطبري ٣ / ٢٤٥
 (٣) داهية نسوف : معيبة شاقة .
 (٤) هو بهر بن الحارث بن صنان الاسدي الفقعسي ، وقطبة اسم امه . شاعر
 مخضرم ، شهد حرب اليمامة مع المسلمين .
 (٥) الاصابة ١ / ١٧٦
 (٦) شطبة : الطويلة ، الحسنة الخلق ويعني بها هنا الفرس .
 (٧) المعوق : المشبط .

اقول لنفسي بعد مارقّ بالها
رويـدك لـمّا تشققي
وكوني مع الراعي وصاة محمد
وان كذبت نفس المنافق فاصدق

وقد يشيد الشاعر ببلاء قومه ، وقوة بأسهم في الحروب ، وانهم
ملاذ غيرهم في ساحات الوغى ، قال يزيد بن الحارث الشيباني :^(١) في
حرب اليامة :^(٢)

تدور رحانا حول راية عامر يرانا بالأبطح المتلاحق
يلوذ بنا رُكنا معد ويتقي بنا غمرات الموت أهل المشارق
وقد يعمد الشاعر الى وصف بلائه ومصابه بفقد أعضائه في تلك
المعارك ليخلص من ذلك الى الفخر بقوة عقيدته وثباته على دينه من
ذلك قول سليك العقيلي^(٣) في اليامة وقد قطعت كفه :^(٤)

كيف تراني وأخي عطاردا
نذود من حنيفة المذاودا
أنشد كفاً ذهبت وساعدا
أنشدها ولا أراني واجدا
وتغنى الشعراء بما حقق الله على أيديهم من نصر فقال عفيف بن

(١) هو يزيد بن الحارث الشيباني شهد النبي صلى الله عليه وسلم واشترك مع
خالد في حرب اليامة ، وقضى بقية ايامه في البصرة وقد ذكره الموزباني في معجمه .

(٢) الاصابة ٦٣٤/٣ هكذا ورد .

(٣) هو سليك العقيلي الاقطع ، ادرك النبي (ص) وشهد اليامة فقطعت كفه في
قتال اهل الردة فسمى الاقطع .

(٤) الاصابة ١١٣/٢ .

المنذر يذكر نصر الله المسلمين في البحر على المرتدين من اهل البحرين
وفي هذا الفخر اعزاز بتأييد الله للمسلمين ، وتذليل مخلوقاته لهم :

ألم ترَ أن الله ذلّل بحره

وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شقّ البحار فجاءنا

بأعجب من خلق البحار الاوائل^(١)

وقد يصور الشاعر ما لحق بالاعداء من الهزيمة وما حل بهم من
عار الفرار ليؤكّد شجاعة المسلمين وقوة بأسهم ، قال عثمان بن ربيعة^(٢)
يفتخر بهرب من تجمع من الازد وبجيلة وخشم في شنوءة من ارض
اليمن :^(٣)

فضضنا جمعهم والنقع ككاب

وقد تُعدى على الغدر الفتوق^(٤)

وأبرقَ بارقٌ لما التقينا

فعادتُ خلباً تلك البروق^(٥)

وقال المهاجر بن ابي أمية^(٦) في يوم محجر الزرقان الذي فرت فيه

(١) الطبري ٣١١/٣ .

(٢) هو عثمان بن ربيعة الثقفي بعثة عثمان بن ابي العاص عند وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم الى من تجمع من الازد فحاربهم فهزمهم

(٣) الطبري ٣٢٠/٣

(٤) النقم : النبار وكاب : عال مرتفع .

(٥) خلب : البرق الخلب ، السحاب يومض برقه حتى يرجي مطره ثم يخلف
ويقتشم .

(٦) المهاجر بن ابي أمية بن المقيرة القرشي له في قتال الردة باليمن اثر كبير ،
وهو الذي فتح حصن النجير بحضر موت .

كندة وقتلت ، وخرجوا هراباً ملتجئين الى النجير وقد رموه
وحصنوه :^(١)

كنا بزرقان اذ يشردكم بحر يزجي في موجه الخطبا
نحن قتلنا بمحجركم حتى ركبتم من خوفنا السببا
الى حصار يكون اهونه سي الذراري وسوقها خبا
وقد يعمد الشاعر الى تعداد من قتل من المرتدين ، ويفخر بذكر
رؤوسهم قال شن الجرشي^(٢) يفخر بقتل الاسود العنسي ويعتز
بمشاركته في ذلك :^(٣)

الم تراني ووحشيتهم^(٤) قتلنا مسيلمة المفتتن
فلست بصاحبه دونه وليس بصاحبه دون شن
وهذا يزيد بن ذي الآخرة^(٥) . يفخر بقتل الاسود العنسي ويعتز
بتنفيذ الامر في ذلك فيقول :^(٦)

لعمرك انا يوم عبد ان عصبه يمانية الاحساب غير لثام
غداة جدعنا في عنس بضربة ابان بها المكشوح رأس هام
ومن هذا الفخر ايضا قول عفيف بن المنذر :^(٧)

-
- (١) الطبري ٣/٣٣٥ .
(٢) هو شن الجرشي حليف الانصار .
(٣) الاصابة ٢/١٥٤ .
(٤) هو وحشي بن حرب الحبشي ، قاتل حمزة (رض) ، وهو القائل : قتلت خير
الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام .
(٥) هو يزيد بن ذي الآخرة اليامي ، ممن قام بقتل الاسود العنسي بأمر النبي (ص)
(٦) الاصابة ٣/٦٣٤ .
(٧) الطبري ٣/٢٦٩ .

الم يأتيك والانباء تسري بما لاقت سراة بني تميم
تداعى من سراتهم رجال وكانوا في الذوائب والعميم
وأجوههم وكان لهم جناب الى احياء خالية وخيم
ومن الموضوعات التي ألمّ بها شعر الردة انكار الشعراء على
اقوامهم ردتهم، وتحريضهم اياهم على الثبات، وكانت هذه
الاشعار نصائح يزوجها المؤمنون الى اقوامهم، وغالباً ما ترد في خلال
خطبة يلقها الشاعر في قومه من ذلك قول خويلد بن ربيعة^(١) لقومه
بني عامر يدعوهم الى الثبات على الاسلام:^(٢)

أراكم اناساً مُجمعين على الكفر

وانتم غداً نهبٌ لخيّل أبي بكر

بني عامر إن تأمنوا اليوم خالداً

يصبكم غداً منه بقارعة الدهر

ووقف هؤلاء الشعراء موقف الناصح الأمين لا قوامهم،
ووعظوهم مذكّرين اياهم بآيات الله وأحكامه، فقال الحارث بن مرة
النفيلي^(٣) من موعظة وعظ بها بني عامر:^(٤)

بنو عامر إن تنصروا الله تُنصروا

وإن تنصبوا لله والدين اتخذوا

(١) هو خويلد بن ربيعة المقيلي، كنيته ابو حرب وكان فارس بني عامر.

(٢) الاصابة ٤٥٧/١.

(٣) الحارث بن مرة بن دودان النفيلي، ادرك النبي (ص) وحسين م بنو عامر.

بالردة وعظهم ونصحهم.

(٤) الاصابة ٣٧٠/١.

وإن تهزموا لا ينجكم عنه مهرب
وإن تثبتوا للقوم والله تُقتلوا

وحين همت همدان بالردة قام فيهم عبد الله بن مالك الأرحبي - وكان صحابياً له هجرة وفضل في دينه - فاجتمعت إليه همدان فقال: يا معشر همدان انكم لم تعبدوا محمداً إنما عبدتم ربَّ محمد، وهو الحسي الذي لا يموت، غير انكم أطعتم رسوله بطاعة الله واعلموا انه استنقذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة ثم أنشدهم قصيدة طويلة منها:

لعمري لئن مات النبي محمد
لما مات يا ابن القيل ربَّ محمد
دعاه إليه ربّه فأجابه
فيا خير غوريّ ويا خير منجد^(١)

وقام عبد الحارث بن أنس الحارثي^(٢) في أهل نجران، إذ بلغهم موت النبي (ص) وهمّوا بالردة، وكان سيداً فيهم، فقال: يا أهل نجران، من أمركم بالثبات على هذا الدين فقد نصّحكم، ومن أمركم أن تزيغوا فقد غشكم، إلى أن قال: وإنما كان نبي الله عارياً بين أظهركم فاتى عليه أجله وبقي الكتاب الذي جاء به، فأمره أمر، ونهيه نهي إلى يوم القيامة وأنشدهم أبياتاً منها:

ونحن بحمد الله هامة مذبح

بنو الحارث الخير الذين هم مدر

(١) المصدر السابق ٣٥٧/٢

(٢) هو عبد الحارث بن أنس بن الديان، كان ممن ثبت أهل نجران على الإسلام في الردة وقيل أن الرسول (ص) غير اسمه فسماه عبدالرحمن.

ونحن على دين النبي نرى الذي

نهانا حراماً منه والأمر ما أمر

فأجابه أهل نجران إلى ما طلب ، وقالوا له : كنت خيراً وافداً
أنت وقومك من بني الحارث^(١).

وقام فيهم عمير بن الحصين النجراني^(٢) خطيباً في قومه فقال^(٣) :
انكم لان تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى ان تنقصوه فان الافتكار
الشك بعد اليقين ودينكم اليوم دينكم بالامس ، فكونوا عليه حتى
تخرجوا به إلى رضا الله ونوره ثم أنشدهم :

أهل نجران أمسكوا وكونوا يداً على الكفار
لا تكونوا بعد اليقين إلى الشك وبعد الرضا إلى الإنكار
واستقيموا على الطريقة فيه وكونوا كهيئة الأنصار

وهناك مجموعة من الشعراء برزوا من بين أقوامهم الذين همشوا
بالردة معلنين تمسكهم بدينهم ، وكانوا يشجعون ولاتهم وقادتهم على
الثبات والاستمرار في تولى أمور القوم ، حتى يحقق الله بهم النصر ،
ويثبت أقدام المؤمنين ، فحين توفي الرسول (ص) استأذن أمير الأزد
عمرو بن العاص في الرجوع إلى المدينة خشية ارتدادهم ، فأجابه شاعر
الأزد مجفية بن النعمان العتي .

يا عمرو إن كان النبي محمد قد

أتى الأمر الذي لا يدفع

(١) الإصابة ٣٨٠/٢

(٢) عمير بن الحصين من أهل نجران ، كان ممن ثبت أهل نجران على الإسلام لما
ارتدت العرب .

(٣) الإصابة ١٢٠/٣ .

فقلوبنا قرحى وماء دموعنا
جارٍ وأعناق البرية خضع
يا عمرو إن حياته كوفاته
فينا وننظر ما يقول ونسمع
فأقم فانك لا تخاف رجوعنا
يا عمرو ذلك هو الأعرز الأيمن^(١)

وكان الشعراء المؤمنون يتألمون لما يرون من ردة اقوامهم ،
فيسجلون اسفهم لنكوص قبائلهم ، ويعلمون سخطهم وحسرتهم
لذلك ، فهذا زفر بن يزيد الاسدي^(٢) ، يتلهف ويتأسف على ضلال
قومه فيقول :^(٣)

لهفي على أسد أضل سبيلهم
بعد النبي طليحة الكذاب
وساءت ردة بني اسد ضرار بن الازور^(٤) فقال :^(٥)
بني أسد قد ساءني ما صنعتم
وليس لقوم حاربوا الله محرم
وأعلم علم الحق ان قد غويتم
بني اسد فاستأخروا او تقدموا

(١) الاصابة ٣٤٥/٤

(٢) هو زفر بن يزيد ، وقيل ابن زيد بن حذيفة ، كان سيد بني أسد في وقته
وثبت على اسلامه حين ظهر طليحة وادعى النبوة .

(٣) الاصابة ٥٥٦/١

(٤) هو ضرار بن الازور واسم الازور مالك بن اوس ، استشهد بالهامة وقيل
باجنادين وقيل نزل حران ومات بها ، ويقال شهد اليرموك ، وقيل انه الذي قتل مالك
بن نويرة بأمر خالد .

(٥) ابن عساكر ١٠٠/٧

وقد تبرأ بعض الشعراء ممن ارتدوا من اقوامهم ، ومن تنبأ منهم ،
فكتب امرؤ القيس بن عابس الكندي^(١) الى ابي بكر (رض) يتبرأ
مما عمل قومه فقال :^(٢)

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وبلغها جميع المسلمين
فليس مجاوراً بيدي بيوتاً بما قال النبي مكذبيناً
وكتب صهبان بن شمير الحنفي اليمامي اليه ايضاً ، معتذراً ومتبرئاً
مما انتحل مسيلمة فقال :^(٣)

اني بريء الى الصديق معتذراً
مما مسيلمة الكذاب ينتحل
ففرح المسلمون بكتابه .

وحين ارتد بنو يشكر ثبت مرة بن صابر اليشكري علي^(٤)
اسلامه وخطب مسيلمة بخطاب طويل ينكر عليه دعواه النبوة ،
وخطب اهل اليمامة بخطاب بليغ ، فردوه عليه ففارقهم وكتب الى
خالد بن الوليد يتبرأ من هؤلاء المرتدين وزعيمهم مسيلمة قال :
يا ابن الوليد بن المغيرة انني
ابراً اليك من الجحود الكافر

(١) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندي ، ذكر المرزباني انه كان ممن
حضر حصار حصن النجير ، فلما اخرج المرتدون ليقتلوا وثب على عمه ليقتله فقال عمه
ويحك اتقتلني وانا عمك قال : انت همي والله ربي فقتله .

(٢) الاصابة ٧٧/١

(٣) الاصابة ١٨٨/٢ .

(٤) هو مرة بن صابر ، وقيل ابن صابي ، كان ابوه سيد بني يشكر ، وعظ
مسيلمة بكلام حسن فصيح وشعر جيد .

اعني مسيلمة الكذوب فانه
والله اشأم صحبة من ناشر
في ابيات ثم لحق بخالد فكان معه^(١).

وقد أوضح الشعراء المسلمون ما جرّ المرتدون على أقوامهم من
خزي وما الحقوا بهم من عار ، فهذا الضحاك بن سفيان بن الحارث
السلمي صاحب راية سليم ورأسهم ، قال لهم حين تبعوا الفجاءة
السلمي : يا بني سليم بئس ما فعلتم . وبالغ في وعظه فشتموه ، فارتحل
عنهم فندموا وسألوه ان يقيم فأبى ، وقال : ليس بيني وبينكم هوادة
وأنشدهم شعراً يوضح لهم ما جرّ عليهم زعيمهم من خزي وعار :
لقد جر الفجاءة على سليم مخازي عارها في الدهر باق^(٢)

وهذا عبدالله بن خنيس العامري ، كان ممن ثبت على اسلامه
عندما ارتد قومه يوضح ما حل بقومه حين اتبعوا قرة بن هبيرة
اليشكري وكان زعيمهم في ايام الردة :^(٣)

لعمري لئن أجمعت عامر على كفرها بعد اسلامها
ومناهم قرة الترهات لقد رزئت عظم أحلامها
أضاع الصلاة بنو عامر وأهلكها منع أنعامها
وفي منعها الحق سفك الدماء ووصم النساء لايتامها
وأعلن الشعراء المسلمون سخريتهم ممن تنبأ ، وحاولوا ان يجعلوا
منهم اضحوة لينفض عنهم الاتباع ويبتعد الانصار ، ومن ذلك

(١) الاصابة ٤٦٦/٣

(٢) المصدر نفسه ١٩٨/٣

(٣) الاصابة ١٩٩/٣

قول ثمامة بن أثال: (١)

دعانا الى ترك الديانة والهدى

مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع

فيا عجباً من معشر قد تتابعوا

له في سبيل الغي والغي أشنع (٢)

وكان زياد بن عبدالله الغطفاني (٣) ممن فارق عيينة بن حصن لما

بايع طليحة في الردة ، ولحق بخالد فقال: (٤)

أبلغ عيينة ان عرضت لداره قولاً يشير به الشفيق الناصح

أعلمت ان طليحة بن خويلد كلباً بأكناف البنراخة نابح (٥)

كيف البقاء إذا أتاكم خالد ومهاجرون مسومون سوابح (٦)

وقال عطار بن حاجب بن زرارة في سجاح: (٧)

أضحت نبيتنا انشى نطيف بها

وأصبحت انبياء الناس ذكرانا

فلعنة الله رب الناس كلهم

على سجاح ومن بالكفر أغرانا

(١) هو ثمامة بن أثال بن النعمان الحنفي . ابو امامة اليمامي ، ثبت على اسلامه لما ارتد اهل اليمامة وارتحل هو ومن اطاعه من قومه فلحقوا بالملاء بن الحضرمي فقاتل معه مرتدي البحرين .

(٢) الاستيعاب ٢٠٨/١

(٣) هو زياد بن عبدالله الغطفاني

(٤) الاصابة ٥٦٣/١

(٥) البنراخة : اسم موضع .

(٦) مسومون : مملون . سوابح : خيل

(٧) الاصابة ٤٧٧/٢ .

وهذا شاعر آخر اسمه مكثف بن الشاعر زيد الخيل كان ممن
ثبت على الاسلام وقاتل بني أسد لما ارتدوا مع طليحة يقول: ^(١)

ضلوا وغرّهم طليحة بالمنى كذباً وداعي ربنا لا يكذب

وكان شاعر آخر اسمه يزيد بن حذيفة الاسدي ممن ثبت على
اسلامه حين ارتد قومه ، فالتحق بخالد وارسل الى قومه بني أسد
بأبيات معلناً استهزاءه وسخريته من طليحة: ^(٢)

بني أسد ما في طليحة خصلة

يطاع بها يا قوم في حي فقفس

وحين ارتدت بنو حنيفة خطب ثامة بن اثال الحنفي فيهم ثم
أنشدهم شعراً يسخر فيه من مسلمة قال :

مسلمة ارجع ولا تمحك فانك في الامر لم تُشرك ^(٣)
كذبت على الله في وحيه هواك هوى الاحق الانوك ^(٤)
ومناك قومك ان يمنعو ك وأن يأتهم خالد يدرك
فمالك من مصعد في السماء وما لك في الارض من مسلك

فلما قال هذا أطاعه منهم ثلاثة آلاف فانحازوا الى المسلمين ففت
ذلك في اعضاء بني حنيفة ^(٥) .

وقال أصم التيمي ساخراً من سجاح ايضاً: ^(٦)

(١) المصدر السابق ٤٣٦/٣ .

(٢) الاصابة ٩٣٤/٣

(٣) لا تمحك : لا تلجج في المنازعة

(٤) الانوك : الاحق ، والعاجز الجاهل

(٥) الف با ٢٥٥/٢

(٦) الطبري : ٢٧١/٣

أتتنا أخت تغلب فاستهدت جلائب من سرارة بني أئينا
وأرست دعوة فينا سفاهاً وكانت من عمائر آخرينا
فما كنا لنرزيهم زبالاً وما كانت لتسلم إذ أتينا^(١)
ألا سفهت حلومكم وضلت عشية تحشدون لها ثيينا^(٢)

وأنذر هؤلاء الشعراء اقوامهم بما سينزل بهم ان هم ارتدوا
وحذروهم مما سيحل بدارهم من دمار وهلاك ، فحين أجمع بنو نفييل
على منع الزكاة ، والمحاربة دون ذلك قام عبدالله بن عتبة - وكان
شريفاً فيهم - فخطبهم وذكّرهم ، ولكنهم سبّوه ، وخالفوه ، ومما
قال محذراً :^(٣)

بني عامر لستم بأخوف شوكة

ولا جمة في الناس من غطفان

وليس لكم بالبحرين حابس طاقة

وليس لكم بالمسلمين يدان

وكان عقيل بن مالك الحميري^(٤) جاراً لبني حنيفة فثبتهم على

الاسلام أيام الردة فخالفوه ، فقال منذراً اياهم :^(٥)

وقال رجال قد عدا القوم قدرهم

عقيل ولو انصفت لم اعدكم قدري

(١) زبالا : الزبال ، ما تحمله النملة بفيها ، ويقال ما اصاب منه زبالا اي شيئاً .

(٢) ثيينا : ما تنفيه من طرف ثوبك فتجعل فيه شيئاً تحمله .

(٣) الاصابة ٩٢/٣

(٤) هو عقيل بن مالك الحميري من ابناء الملوك كان جاراً لبني حنيفة وكان مسلماً

مجتهداً فلو صاهم بالاقامة على الاسلام حين ارادوا الردة قابوا عليه .

(٥) الاصابة ١٠٩/٣

فلا تأمنوا الصديق والله غالب

على أمره ان العتيق ابو بكر

وكان لمعاذ بن يزيد الصعق العامري^(١) في قومه شأن ، فجمعهم
حين عزموا على الردة ومما خطبهم قوله محذراً ومنذراً^(٢) :

يا معشر هو اذن انكم عثرتم في الاسلام خمس عثرات ، والله
لترجعن الى ما خرجتم منه ، أو لتؤخذن اخذة اهل بدر ثم انشدهم :

بني عامر اين اين الفرار من الله والله لا يغلب ؟
منعتم فرائض أموالكم وترك صلاتكم اعجب
وكذبتم الحق فيما أتى وان المكذب للالكذب

ومن الالوان الشعرية التي عرفت في شعر الردة ما قاله الشعراء
حين تابوا الى رشدهم وعادوا الى الاسلام نادمين مستغفرين ، فقد اعلنوا
ذلك في اشعارهم ، فحين ندم وكيع على رده ، ورجع الى الاسلام
قال في ذلك^(٣) :

فلا تحسبا اني رجعت وانني

منعتُ وقد تُحني اليّ الأصابع

والكنني حاميت عن جل مالك

ولا حظت حتى اكلحتني الأخادع

فلم ا اتانا خالد بلوائه

تخطت اليه بالبطاح الودائع^(٤)

(١) هو معاذ بن يزيد قام خطيباً في بني عامر يحثهم على التمسك بالاسلام في الردة.

(٢) الاصابة ٤٧٣/٣ (٣) الطبري ٢٧٦/٣

(٤) البطاح : ماء في ديار بني اسد ، وهناك كانت الحرب بين المسلمين والمرتبدين

وسجّل جندب بن سلمى^(١) من بني مدلج ندمه في شعره بعد أن
تزعّم قومه في الردة فقال: ^(٢)

ندمت وأيقنت الغداة بأنني

أتيت التي يبقى على المرء عارها

شهدت بأنّ الله لا شيء غيره

بني مدلج فالله ربي وجارها

وقد تعرض من ارتد لهجاء الشعراء المسلمين ، فنعتهوهم بالخزي

ووصموهم بالكفر ، قال طاهر بن ابي هالة التميمي^(٣) يهجو المرتدين: ^(٤)

فلم ترعيني مثل يوم رأيتـه

بخبث المخازي في جموع الاخابث

فوالله لو لا الله لاربّ غيره

لما فُضّ بالاجزاع جمع العثاعث

وقال وهب وهو من بني ضبيعة بن عجل يعير من ارتد من بكر

ووائل: ^(٥)

الم ترّ ان الله يسبك خلقه

فيخبث أقوام ويصفو معشر

(١) هو جندب بن سلمى المدلجي أحد بني سوق ، كان ممن ارتد في زمن ابي بكر فبعث اليه عتاب بن اسيد عامل مكة اخذاه خالداً فالتقى به في الابرار فهزمه ثم ندم واسلم

(٢) الطبري ٣/٣١٩

(٣) هو طاهر بن ابي هالة ، يكنى ابا موسى ، ربيب النبي (ص)

(٤) الطبري : ٣/٣٢٠

(٥) الطبري ٣/٣١٠

لحى الله أقواماً أصيبوا بجنحة

أصابهم زيد الضلال ومعمر

ويُعد الرثاء من الاغراض التي تناولها شعراء حروب الردة ،
فعندما استشهد عبد الله بن يزيد بن قيس الغاضري رثاه صرباع الكندي
معدداً مناقبه قال :^(١)

أعبد الله قد أعذرت فينا ولكننا هزئنا بالنصيح
وقد اسمعتنا بدعاء داعٍ الى العلياء والامر الصحيح
اما شعر المرتدين فيظهر انه قد طمس أغلبه ، ولم يصل اليها منه
الا أقله ، ومع ذلك فهذه القسلة تعطينا فكرة عن هذا الشعر ، فقد
تبدو فيها الاغراض التي تناولها اولئك الشعراء. ومن هذه الاغراض
محاولة اولئك الشعراء ايجاد المبررات المصطنعة لردة اقوامهم كما فعل
عبد الله الليثي حين قال :^(٢)

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا لعباد الله ما لابي بكر

أيورثها بكراً اذا مات بعده

وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلاً رددتم وفدنا بزمانه

وهلا خشيتم حس راغية البكر^(٣)

(١) الاصابة ٩٦/٣

(٢) للطبري ٩٦/٣

(٣) راغية البكر : الراغية : الناقة ، يقال كانت عليهم كراغية البكر اي شوماً
عليهم كرهاً سبق ناقة صالح

وان التي سألوكم فمنعتم
 لكالتمر او أحلى الى من التمر
 وارتد الجفشيش بن النعمان الكندي^(١) فقال مسبباً رده: ^(٢)
 أطعنا رسول الله اذ كان صادقاً
 فيا عجباً ما بال ملك ابي بكر
 ونخر هؤلاء المرتدون بتقتيل المسلمين ، وبالانتصارات التي
 حققوها ، من ذلك قول سليم بن عبدالعزيز السلمي^(٣) ، وهو من
 فتاك العرب: ^(٤)

الا ايها المدلي بكثرة قومه
 وحظك منهم ان تذل وتقهرها
 سل الناس عنا كل يوم كريمة
 اذا ما التقينا دارعين وحسراً
 ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه
 ونظعن في الهيجا اذا الموت اقفرا^(٥)
 وعارضة شهباء تخطر بالقنا
 ترى البلق في حافاتهما والسنورا^(٦)

-
- (١) هو الجفشيش بن النعمان، واسمه جرير بن معدان الكندي ويقال الحضرمي وروي الجفشيش بالجيم وبالحاء وبالحاء
 (٢) الاصابة ٢٤٢/١ وانشده المبرد في الكامل للعطية
 (٣) هو سليم بن عبدالعزيز بن عبيد السلمي ابو شجرة امه الخنساء الشاعر ،
 اسلم مع امه ثم ارتد في زمن ابي بكر وقاتل المسلمين
 (٤) الطبري ٢٦٦/٣
 (٥) ذا الطماح : يقال للفرس اذا رفع يديه قد طمح ، وذا الطماح بهذا المعنى
 (٦) البلق : جمع أبلق وهو للفرس فيه بياض واسود السنور : كل سلاح من حديد.

فرويت رحى من كتية خالد
 انى لارجو بعدها أن اعمرأ
 وقال طليحة الاسدي مفتخراً بقتل ثابت بن اقرم القضاعي: ^(١)
 عشية غادرت ابن اقرم ثاويا
 وعكاشة التيمي عند مجالي
 اقلت لهم صدر الحيلة انها
 معودة قول الكماة نزال
 فيوماً تراها في الجلال مصونة
 ويوماً تراها في ظلال عوالى
 فان يك انياب اخذت فانكم
 ولن تذهبوا فرغاً بقتل حبال

ورثى هؤلاء الشعراء من قتل منهم ، واطهروا ألمهم وحنهم
 عليهم فقال الاشعث بن مثناس السكوني يبكي اهل النجير ^(٢) من
 المرتدين: ^(٣)

لعمرى وما عمرى على بهين
 لقد كنت بالقتلى لحق ضنين
 فلا غرو الا يوم اقرع بينهم
 وما الدهر عندي بعدهم بأمين

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٠٥ .

(٢) النجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيم لجأ اليه اهل الردة مع الاشعث
 ابن قيس في ايام ابي بكر فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه
 وأسر الاشعث في سنة ١٢ .

(٣) الطبري ٢/٢٤٦ .

فليت جنوب الناس تحت جنوبهم
ولم تمشِ أنشى بعدهم لجنين
و كنت كذات البورريعت فأقبلت
على بوّها إذ طرّبت بحنين^(١)

ولعل قتيلاً - في حروب الردة - لم ينل من الشهرة والاهتمام
ما نال مالك بن نويرة ، فقد خلده اخوه متمم حين بكاه باشعار
تفيض باللوعة والحزن ، وتتفجر عاطفة وأسى ، فاقرن اسم كل
منهما بالآخر^(٢) .

وأورد الكتاب والرواة العديد من تلك المراثي في مصنفاتهم
جاء في كتاب الاشباه والنظائر : ومراثي متمم في مالك كثيرة ،
وانما أتينا منها باليسير اجتناباً للتطويل^(٣) .

وقال ابن سلام : وبكى متمم مالكاً فأكثر راجاد ، والمقدمة
منهن قوله :^(٤)

لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ

ولا جزعٍ مما أصاب وأوجعا

ومن اروع مراثي متمم لآخيه مالك قوله :^(٥)

(١) ابو : ولد الناقة . طربت : اهتزت من فرح أو حزن .

(٢) انظر تفصيل مقتله ورتاء متمم له في كتاب - مالك ومتمم إبنا نويرة -
تأليف ابتسام الصفار .

(٣) الخالديان ٣٤٦/٢ .

(٤) طبقات الشعراء ص ١٧٠ .

(٥) شرح شواهد المغني ٥٦٩/٢ .

و كنا كند مانيّ جذيمةً حقبهً
من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معاً
وقيل في بيته المشهور :

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك

أنه أرثى بيت قالته العرب، وأنه ابلغ ما قيل في تعظيم ميّت^(١).
وقد اشرنا الى اعجاب عمر بن الخطاب (رض) بهذه المراثي في الرثاء.

الخصائص الفنية :

اما الخصائص الفنية لاشعار معارك الردة فهي :

١ - البعد عن التكلف والتصنع :

يغلب على الشعر الذي بين ايدينا مما قيل في حروب الردة البعد
عن الصقل والتهذيب والمراجعة، ثم خلوه من التكلف، فهو بمجموعه
استجابات نفسية لما كان يجيش في صدور الشعراء، ويجول في افكارهم،
وهو ترجمة صادقة لفكرة وعقيدة صاحبه، ولم يكن ذلك غريباً على
شعراء الاسلام، فقد تغلغلت السماحة التي نادى بها دينهم في كل جانب
من جوانب حياتهم وتفكيرهم، فابتعدوا عن التقعير والتشدد،
ومالوا الى بساطة القول وسلامة التركيب. ولم يتهياً الوقت لهؤلاء
الشعراء ليراجعوا شعرهم ويشقفوا قولهم.

(١) نهاية الارب ٥/١٧٧.

٢ -- الالتزام :

إن جميع ما نظم في معارك الردة من شعر كان ملتزماً بغايات ومبادئ، متينة فهو اثر للفكر الاسلامي الذي تشبعت به عقول المسلمين ، ولم يكن اداة لخدمة القبيلة ، او وسيلة للهو والطرب والتسرية عن النفس بل هو اداة اجتماعية تحفظ للامة وحدتها ، وتصون العقيدة من التصدع ، والفكرة من ان يشوبها ما ليس منها ، ويمكن ان نلاحظ هذا الالتزام فيما مر بنا من اشعار فخر فيها اصحابها بشباتهم على عقيدة الاسلام ، وبالترامهم مبادئه ، وتغنوا يجهادهم في نصرة الحق ، او دعوا قومهم الى الثبات عليه والوقوف في وجه النكوص عنه .

٣ -- الطبيعة التاريخية :

يبرز الجانب التاريخي في شعر الردة بصورة ملحوظة ، ويمكن ان تعد مقطعاته وثائق تاريخية ، في غاية الاهمية ، فهي تكشف عن الادوار التي لعبها القادة والافراد في تلك الحركة ، وتعين القبائل التي ارتدت والقبائل التي ثبتت على الاسلام بكل دقة ، وربما اشارت هذه الاشعار الى عوامل ردة كل قبيلة ، وتحفظ لنا اسما من استشهد من المسلمين ومن مات من المرتدين . وقد تتطرق هذه الاشعار الى وصف المعارك وتعين مواقعها . وهذه معلومات تاريخية لا يمكن توفرها في كتب التاريخ على هذه الصورة من الكمال والدقة ، أضف الى ذلك ما قيل في توثيق الاشعار وحفظها دون الاخبار التاريخية .

٤ -- غلبة المقطعات :

يلاحظ على اشعار الردة غلبة المقطعات القصيرة ، وقلما نعث على

قصيدة تزيد على عشرة أبيات ، فالقصيدة الوحيدة من هذا النوع متكونة من أحد عشر بيتاً وهي قصيدة الزبرقان بن بدر في صدقته حين أبلغها الى أبي بكر (رض) ^(١) . أما بقية الشعر والذي يربو على سبعين مقطوعة فأطول مقطوعاته لا تتجاوز الخمسة أبيات ، وقد تهبط أحيانا الى البيت الواحد .

وربما ترجع هذه الظاهرة الى ظروف القتال ، وحياة المسلمين الحرجة في تلك الايام ، والتي حرمتهم من الاستقرار والطمأنينة ، فجعلوا يميلون الى الايجاز والاختصار ، إذ لم يكن همُّ أحدهم أكثر من الافضاء بمشاعره ازاء الاحداث التي ألمت بالمسلمين وبأوجز عبارة .

٥- خلوه من شعر المرأة :

يتضح لمن يتبع ما وصل اليها من الشعر الذي قيل في أثناء حروب الردة خلوه من الشعر النسائي ، فلم تسهم أية شاعرة في هذه المعركة الشعرية علماً بأن فيه كثيراً من الرثاء ، الذي برعت فيه المرأة العربية .

٦- انه شعر شعراء مغمورين :

والملاحظ ان أغلب ما قيل في تلك الحروب ، كان انطلاقاً على السنة شعراء مغمورين ، لم يعرفوا من قبل بالشعر ، وانما أنطقتهم تلك الاحداث ، ولذلك لا نرى بينهم من عرفنا من شعراء الجاهلية والاسلام إلا القليل جداً .

(١) الطبري ٣/ ٣٠٥ .

عبد الله بن رباح

سكن يثرب في الأزمان الغابرة من التاريخ قوم يقال لهم
(العمالقة) ثم نزل عليهم اليهود بعد أن نرحوا من الشام وما جاورها
لأسباب دينية وسياسية ، فغلبوا العمالقة على أمرهم وصاروا سادة
يثرب ، الى أن حدث سيل العرم في اليمن وتفرقت قبائلها فنزل على
اليهود قوم نازحون من القحطانيين هم الأوس والخزرج .

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن استطاعوا أن ينتزعوا المال
والسلطان من أيدي اليهود ، ولكن اليهود لم ييأسوا من استرجاع
سلطانهم ، فعملوا ما وسعهم على الوقيعة بين الأوس والخزرج ،
فعاشت يثرب في حرب دائمة ، ونزاع مستمر ، وسميت هذه الحروب
بأيام الأوس والخزرج . منها يوم « سمير » وكان هذا أول يوم وقع
بين الأوس والخزرج ، ويوم ربيع وفارع ، وآخر هذه الايام هو يوم
(بعث) . وقد ساهم الشعراء في تلك الحروب بالسنتهم الى جانب
سيوفهم ، فلمعت أسماء شعراء مع كل يوم من تلك الايام .

شاعر الخزرج

وكان عبد الله بن رباح بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو
الانصاري الخزرجي ممن اشتهر بشعره في تلك الحروب ، فقد كان
اللسان المعبر مع حسان بن ثابت عن الخزرج ، وأسهم في الدفاع عن

قبيلته بما أوتي من بيان كأحسن ما يسهم شاعر . وهو القائل يوم
بعث مجيباً قيس بن الخطيم الأوسي .

نحامي على أحسابنا بتلادنا
لمفتقرٍ أو سائل الحق واجب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجل ترى الماضي^(١) فوق جلودهم
وبيضا نقياً مثل لون الكواكب
وهم حسر^٢ لا في الدروع تخالهم
أسوداً متى تنشأ الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كرية
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

الاسلام

وعندما وصلت أنوار الاسلام الى المدينة كان عبد الله بن رواحة
في طليعة من تفتحت قلوبهم لنوره ، واستنارت عقولهم بهديه ،
فاستجاب لنداء الاسلام ، وآمن بدعوته ، ثم توجه مع سبعين من
قومه الى العقبة حيث واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة .
وللمكانة التي كان يتمتع بها ابن رواحة في قومه اختاره الرسول صلى
الله عليه وسلم ليكون نقيباً على من معه من المؤمنين في تلك البيعة ،
آخى رسول الله (ص) بينه وبين المقداد بن الأسود بعد الهجرة^(٢) .

(١) الماضي : واحدته الماذية وهي : الدرع اللينة .

(٢) الاصابة ٢/٢٩٨ .

وحيث بدأ الصراع المسلح بين الاسلام والكفر ، كان ابن رواحة
من أوائل الذين سلوا سيوفهم للدفاع عن دينهم الذي آمنوا به ، فساهم
في جميع معارك الاسلام الاولى ، وشهد بدرًا واحداً والخندق
والمشاهد كلها الا الفتح وما بعده لانه قتل يوم مؤتة شهيداً .

قال يحيى بن سعيد : كان عبدالله بن رواحة أول خارج الى
الغزو وآخر قافل . وكان في جميع حروبه بطلاً مقداماً ، لا يهاب
الموت ، ولا يخشى السيوف المشرعة ، فحين دعا المشرك « عتبة » من
يبارزه في بدر ، وتردد كثير من المسلمين ، برز له ابن رواحة من بين
الصفوف . وعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجاعة فانتدبه
لقتل عدو الله اللعين « أسير بن رازم اليهودي » الذي أمد أهل خيبر
بعد مقتل سيدهم « ابن أبي الحقيق » فقد دعا هذا اليهودي وجمع
غطفان ومن والاهم من المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسار اليه ابن رواحة في ثلاثين راكباً وتمكن من قتله والقضاء
عليه .

وفي غزوة مؤتة أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين ،
فحمل اللواء . وظل مدافعاً عنه حتى استشهد دونه في السنة الثامنة في
أرض الشام .

وقد خاطب نفسه يوم مؤتة بأبيات تنم عن ثبات جنانه ، ومغالفته
لهوى نفسه عندما حاولت التردد في أول الأمر :

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائفة أو لتكرهنه
أن أجلب الناس وشدوا الرننه ما لي أراك تكرهين الجنه^(١)

(١) الرنة : الصيحة الشديدة .

وطالما قد كنت مطمئنه هل أنت الا نطفة في شنه^(١)
وقال أيضا :

هل أنت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفس ألا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت أن تفعل لي فعلهما هديت
وان تأخرت فقد شقيت

يريد صاحبيه اللذين قتلا مدافعين عن لواء المسلمين في مؤتة ،
وهما : زيد وجعفر .

اما شاعريته فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت
أبي يقول : ما سمعت أحداً أجراً ، ولا أسرع شعراً من عبد الله بن
رواحة .

وقد سبق الى تعريف الشعر حين سأله الرسول : ما الشعر؟ قال :
شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً . قال : فهل
تستطيع أن تقول شيئاً الآن ؟ فنظر في وجه رسول الله فقال نعم :
اني توسمت فيك الخير نافلةً

والله يعلم اني ثابت البصر

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصرا كالذي نضروا

يا آل هاشم ان الله فضلكم

على البرية فضلا ما له غير

(١) جاء في المعجم الوسيط : والشن القرية الخلق الصغيرة .

ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر؟
نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فيما النبي وفيما تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا

وحين قال : يثبت الله .. البيت . قال له النبي : واياك يا سيد
الشعراء ، ولما قال : فخبروني أثمان العباء . عرف في وجه رسول الله
الكراهة ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال عبد الله : نجالد الناس ..
البيت .

وكان رسول الله يستمع الى شعره وهو ينشد، ويرتاح الى ذلك،
حين دخل الرسول مكة ليطوف بالبيت كان ابن رواحة بين يديه
آخذا بزمام ناقته وهو ينشد :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا ربّ اني مؤمن بقبيله

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر ؟ فقال الرسول خلّ

عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .
و كثيراً ما كان رسول الله يردد شعره ، ويأنس بانشاده ، بل
يستعين به على العمل . روى عن البراء رضي الله عنه أنه قال : رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب
شعر صدره وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فإنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

وروي أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله : اللهم
ارحمه فقال عمر : وجبت . يعني : الشهادة والجنة . ووصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقول الرفث فقال : إن أخاً لكم لا يقول
الرفث يعني ابن رواحة لقوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجراني جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وأعلم علما ليس بالظن أنني

إلى الله محشور هناك وراجع

وأجمع المؤرخون على أن ابن رواحة كان واحداً من ثلاثة شعراء .

وقفوا الى جانب الاسلام في حربه مع قريش وهم : حسان بن ثابت ،
و كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان عبد الله يعير قريشاً
بالكفر وينسبهم اليه ، في حين كان حسان و كعب يتحدثان في
هجائهما عن الوقائع الحربية ، وهزيمة قريش فيها ، ويعيرانها الجبن
والضعف ونحوها من المثالب . فكانت قريش لاتهتم لقول ابن رواحة
اهتمامها بقول حسان و كعب حتى أسلموا فصاروا يتألمون لقول ابن
رواحه ، وهذا ما يعلل لنا قلة شعره و كثرة شعر صاحبيه في كتب
التاريخ والآداب . فقد نهى رسول الله وخلفاؤه عن رواية الشعر
الذي يذكر كفر قريش بعد أن أسلمت ، ابقاءً على مودتها ، وتأليفاً
لقلوب رجالها . وطبيعي أن يعمد من أسلم من المهجوين الى طمس
معالم الشعر الذي يذكرهم بماضيهم غير المشرف .

وكان شاعرنا الى جانب بطولته في الحرب وبلائته في فن القول
من أكبر زهاد المسلمين وعبادهم . قال الرسول صلى الله عليه وسلم :
رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ . وروى أبو
الدرداء : لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره
في اليوم الحار الشديد . ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحرّ يده
على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعبد الله بن رواحة . وكان اذا لقي الرجل من اصحابه يقول : تعال
نوؤ من ربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء النبي
فقال : يا رسول الله الا ترى ان ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان
ساعة . فقال الرسول : يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي
تتباهى بها الملائكة .

وكان حريصا على تنفيذ اوامر الله صادعا لقرآنه . فقد روي عن مجاهد ان قوله تعالى « لم تقولون ما لا تفعلون » الى قوله « صفا كأنهم بنيان مرصوص » نزل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيدا .

وكان يتحرى ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن ما يرضيه يرضي الله . جاء عن السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر يوم الجمعة فقال : اجلسوا . فسمع عبد الله ابن رواحة قول النبي فجلس في مكانه ، خارجا من المسجد ، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ، فقال له : زادك الله حرصا على طواعية الله ، وطواعية رسوله . وعرف عن شاعرنا تشدده في الحق ، والتزامه بحدود الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يزعجه عن العدل حب صديق أو كره عدو .

فحين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ثم الجأهم الى حصنهم ، بعث ابن رواحة يحرص عليهم تمرهم فكان يأتيهم كل عام فيحرص عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله شدة حرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من أحب الناس اليّ وأنتم أبغض اليّ من عدتكم من القردة والخنازير ، لا يحملني بغضي أياكم وحي آياه إلا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

وطالما سالت دموعه غزيرة من خشية الله ، والمشهد الذي يروييه
المؤرخون حين سار الى مؤتة اصدق دليل على هذه الخشية وذلك
الايان فقد روى موسى بن عقبة أنه لما خرج الى مؤتة بكى ، فبكى
أهله معه . فقال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا صباة بكم ،
ولكن بكيت من قول الله « وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا » فأيقنت اني واردها ولم أدر : أنجو منها أو لا ؟ .

وفي لفظ أنبأني ربي أني وارد النار ولم ينبئني اني صادر عنها ،
فذلك الذي أبكاني .

وروت زوجته عنه أنه كان اذا اراد ان يخرج من بيته صلى
ر كعتين واذا دخل بيته صلى ر كعتين ، لا يدع ذلك .

رحم الله ابن رواحة ، فقد كان راهبا في الليل ، فارسا في النهار ،
حتى قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم الرجل ابن
رواحه^(١) .

(١) الاصابة ٢/٢٩٨ .

بَيْنُ شَاعِرِي رَسُولِ اللَّهِ

ان أية موازنة ، لكي تكون أصيلة وتامة ينبغي أن تعقد بين طرفين يجمع بينهما أكثر من سبب ، وتربط بين حياتهما أو فنهما أكثر من آصرة .

والشاعران اللذان أريد أن أعقد بينهما هذه الموازنة هما كعب بن مالك الانصاري ، وحسان بن ثابت الانصاري .

فكلا الشاعرين خزرجي ، وكلاهما من الانصار ، وقد ساهما معاً في الذب عن رسول الله عليه السلام بشعرهما ، وفي مكافحة الكفر والضلال ، وكل منهما ينتسب الى اسرة عريقة في الشعر .

ان هذه الامور مع وحدة البيئة والعصر والهدف قربت ولا شك بين الشاعرين ، ووحدت كثيراً من مواقفها ازاء الأحداث في حياة الرسول وبعده .

اما من الناحية الفنية فقد اجمع النقاد على ان حسان اشعر من كعب^(١) . ولذلك فقد بوأه رسول الله منزلة رفيعة ، وقدمه على جميع شعرائه في الاثر : أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى^(٢) .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٧٩ والاغاني ٤/١٣٦ .

(٢) الاغاني ٤/١٧٩ .

وروي عن عائشة أن النبي (ص) بنى لحسان في المسجد منبراً
ينشد عليه^(١) .

ان ما وصل اليينا من شعر حسان يفوق ما وصل اليينا من شعر
كعب اضعافاً مضاعفة ، ويرجع ذلك لعدة اسباب منها :
ان ما نظمه حسان اصلاً اكثر مما نظمه كعب ، فقد توفي الاول
وعمره مائة وعشرون عاماً بينماُ عمر كعب سبعة وسبعين عاماً .

وُحمل على حسان ما لم يحمل على احد ، وقد نبّه ابن سلام الى
ذلك بقوله :^(٢) وقد حُمل عليه ما لم يحمل على احد ، ولما تعاضت^(٣)
قريش واستبّتت ، وضعوا عليه اشعاراً كثيرة لا تنقى .

ولم نجد من ذكر مثل هذا عن كعب ولا اقل منه ، ولعل سبب
كثرة الحمل على حسان يرجع الى طبيعة شعره الذي تعرض فيه
للانساب والقبائل بينما قل ذلك في شعر كعب ، فعندما اصبح لذكر
الانساب والقبائل شأن في العصر الاموي وما تلاه بدأ الناس يحملون
على حسان شعراً يؤيد وجهة نظرهم في ذلك .

واستغل شعره سياسياً الى درجة كبيرة ، ومن هذا الباب
استغلال الامويين لمراثيه في عثمان فزادوا عليه في رثائه اشعاراً مملوءة
غيباً على قتلة عثمان (رض) وقد نبّه الى ذلك ابن عبد البر حين
أورد تلك المراثي .

(١) العمدة ١/٧٣ .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٧٩ .

(٣) حمل عليه : نسب اليه وليس له . تعاضوا تناهشوا ورمى بعضهم بعضاً
بالعضية وهي الافك والبهتان والشتيمة .

ومثل ذلك اشعاره في مديح الزبير بن العوام .
واختلط شعر حسان بشعر ابنه عبدالرحمن ، فلم يميز الرواة بين
اشعار الاب والابن ، فن ذلك لاميتة الطويلة التي مطلعها .
الست خير معدّ كلها نقرأ
ومعشراً ان هم عموا وان حصلوا

يذكر ابن هشام انها تروى لابنه عبدالرحمن .
ونحب ان نشير الي ان ابن هشام من اوائل من حاول نخل شعر
حسان في السيرة ، فكثيراً ما نجده يقول : واهل العلم ينكرون هذه
القصيدة لحسان فقد عقب على عينية حسان التي رد بها على ضرار بن
الخطاب والتي مطلعها :^(١)

اشاقتك من ام الوليد ربوع بلاقع ما من اهلن جميع^(٢)
بقوله : وبعض اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان^(٣) واورد هذا
القول في اعقاب مرثيته لحبيب^(٤) ولاميتته التي فخر فيها بقتل عمرو
ابن ود ولاميتته في الموضوع نفسه^(٥) ، وغير ذلك . وقال عن حائثته
التي بكى فيها حمزة ومن اصيب من اصحاب رسول الله (ص) يوم
احد : واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان^(٦) ، واورد هذا الحكم
بعد قصائد اخرى ايضاً .

(١) الاستيعاب ١ / ٤٩٢ .

(٢) بلاقع : جمع بلقع ، وهو القفر الخالي . وجيم : مجتمه مؤتلف .

(٣) ابن هشام ٢ / ١٤٣

(٤) ابن هشام ٢ / ١٧٨

(٥) المصدر السابق ٢ / ٢٦٨ و ٢٦٩

(٦) المصدر نفسه ٢ / ١٥٥

وربما نسب ابن هشام بعض قصائده الى غيره كما حصل في يائيته التي قال عنها : وتروى هذه الابيات لربيعه بن امية الديلي^(١) ومعروف ان ابنه عبدالرحمن كان يهاجي النجاشي الحارثي ، ويذم قومه ذماً قبيحاً^(٢) ولذلك شك فيما نسب لحسان من هجائهم ، ورجح انه من شعر ابنه عبدالرحمن^(٣) .

واختلط شعر حسان بكثير من شعر كعب ، فاضطربت الاقوال في نسبته ، للتشابه الكبير بين اسلوبيهما ، ولاشتراكهما معاً في كثير من المناسبات^(٤) .

وشعر حسان في غزوات الرسول عليه السلام يفوق شعر كعب من حيث الكثرة والجودة ، ونظرة واحدة الى شعر السيرة تؤكد ما ذهبنا اليه ، وربما يرجع ذلك الى ما توفر لحسان من الوقت ، وتهياً له من الظروف ، لعدم مشاركته في أي من غزوات الرسول فعلياً ، واكتفائه بمصاحبة جيش المسلمين ، والذود عنهم بشعره ، بينما ساهم كعب في هذه الغزوات فعلياً بنفسه ، فلم تنهياً له تلك الظروف الهادئة . والذي يثير الاستغراب عدم مساهمة كعب بشعره في أعظم وأكبر نصر حققه المسلمون ، أعني به فتح مكة ، الذي استعد له

(١) ابن هشام ٢/٢٦٩

(٢) الزبير بن بكار : الموقفيات ورقة ١٤٦-١٥٤ وابن سلام ص ١٢٥ .

(٣) انظر ديوان حسان ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٨٢ وانظر الحيوان ٣/١٠٨ حيث أبدى الجاحظ تشكيكه في مقطوعة تنسب الى حسان ورجح نسبتها الى عبدالرحمن .

(٤) انظر تخرج القصائد : ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ في ديوان كعب بن مالك بتحقيقنا ، حيث اختلفت المصادر في نسبة هذه القصائد أو في بعض ابياتها الى حسان أو كعب .

شعراء الاسلام حتى لا تفوتهم فرصة المشاركة فيه ، ومنهم حسان
الذي خلد ذلك في شعره مواكباً حركات الفتح منذ الاستعداد له حتى
تم فتح الله ونصر المؤمنين^(١) .

وربما يرجع ذلك الى ضياع شعر كعب في هذا الفتح الميم ، فليس
من الطبيعي ألا يساهم بشعره فيه .

وأثر الاسلام واضح في شعر حسان ، سواء كان ذلك من حيث
اللفظ أو المعنى ، بصورة لا تقل عما هو في شعر كعب . ولكن مما
يؤخذ على حسان عدم استطاعته أن يتغلب على بقايا عصبية القبلية ،
وعنجهيته الجاهلية ، فشعره في الفخر زاخر بهذه المعاني ، من ذلك
قوله :^(٢)

تجدنا سبقنا الناس مجداً وسؤدداً

تليداً وذكرأ نامياً غير خامل

لنا جبل يعلو الجبال مشرف

فنحن بأعلى فرعه المتناول^(٣)

وقوله ايضاً :^(٤)

وكنا ملوك الناس قبل محمد

فلما أتى الاسلام كان لنا الفضل

ومن هذه المعاني الجاهلية التي نخر بها ما نراه في قصيدته بمناسبة

(١) الديوان ص ١٤١ .

(٢) الديوان ص ٣١٥ .

(٣) يستعار لفظ الجبل للمجد والشرف كما فعل حسان هنا .

(٤) الديوان ص ٣٢٨

يوم أحد . فقد فخر بحوادث من ماضيه الجاهلي ناسياً أنه إزاء يوم
اسلامي ، قال :^(١)

ان خالي خطيبٌ جابيةُ الجو

لان عند النعمان حين يقوم^(٢)

وأبي في سميحة القائل الفا

صل يوم التقت عليه الخصوم^(٣)

وأنا الصقر عند باب ابن سلمى

يوم نعمان في الكبول مقيم^(٤)

وأبي ، ووافد أطلقا لي

ثم رحنا ، وقفههم محطوم^(٥)

ويبالغ في ذلك حتى ينقلب فخره الى عتاب لرسول الله يوم فتح
مكة حين جعل علي مقدمة الجيش قبيلة سليم بقيادة خالد بن الوليد
وهذا خلاف ما يريد حسان فقد كان يرغب في أن يكون الانصار
أول الداخلين الى مكة ، امعاناً في اذلال قريش فيقول :^(٦)

(١) الديوان ص ٣٧٧

(٢) خاله هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجاوية في الاصل الحوض الكبيرة ،
والجولان : من اعمال دمشق ، وأراد بالنعمان بني جفنة الفساسنة .

(٣) سميحة : بئر بالمدينة تحاكت عنده الأوس والخزرج في حروبهم الى ثابت
بن المنذر والد حسان .

(٤) ابن سلمى : النعمان بن المنذر . وقوله يوم نعمان في الكبول مقيم ، فنعمان
هذا هو نعمان بن مالك ، وكان حبسه النعمان بن المنذر فوجد فيه وفي غيره حسان
فاطلقوا لأجله .

(٥) ابي : هو ابي بن كعب . ووافد : هو وافر بن عمرو . وقفههم محطوم :
مكسور ، يقول : ان هؤلاء جميعاً أطلقهم النعمان من اسارم لاجلي .

(٦) الديوان ص ١٩٩ .

واتِ الرسول فقل يا خير مؤمن
للمؤمنين إذا ما عدل البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة
امام قوم هم او اوهم نصروا!
سماهم الله الانصار لنصرهم
دين الهدى وعوان الحرب تستعر

ومثل هذه المعاني والصور كثيرة في شعر حسان ، ولكننا
نفتقدها في شعر كعب ، واذا وجدت فهي قليلة نادرة وبطريقة اخف
مما سبق بكثير .

وفي الهجاء صدر حسان و كعب عن اسلوب واحد ، وطريقة
مشتركة فكانا يعيرانهم بالوقائع والالقباب ، فقد روي عن محمد بن
سيرين قوله : فكان يهجوم (المشركين) من الانصار حسان بن
ثابت ، و كعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فكان حسان و كعب
يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان
عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، قال : فكان في ذلك الزمان اشد
القول عليهم قول حسان و كعب واهون القول عليهم قول ابن رواحة ،
فلما اسلموا وفقهوا الاسلام كان اشد القول قول ابن رواحة (١) .
ومع هذا الاتفاق في خط الهجاء والوحدة في الاسلوب ، فيلاحظ
على هجاء حسان شدة اقداعه ، وانحداره الى مستوى قد يبعد عن
روح الاسلام ، لما فيه من عنف وسباب ، بحيث يصعب علي ان

(١) الاغاني ٤/ ١٣٧ .

اذكر شواهد من هذا الشعر ، ولعل اخف هذا الهجاء ، قوله لهند بنت عتبة بن ربيعة^(١) :

لمن الصبي بجانب البطحاء في التراب ملقى غير ذي مهد
وقد نزه ابن هشام سيرته عن الأبيات التي اقدع فيها حسان بمثل
قوله : تركنا منها بيتين اقدع فيها وربما اكثر من بيتين^(٢) .

وقد استغل حسان الاخبار التي تشين الافراد في هجائهم الى
ابعد حدود الاستغلال وخاض في الاعراض ، وكان بمقدور كعب
ان يفعل ذلك ولكنه نزه شعره عما يشينه ، وترفع عما يعيبه ، فتميز
هجاؤه بعفة الفاظه ، وبعد معانيه عن الفحش والفجور ، فلم نعثر في
شعره على كلمة مشينة او معنى فاحش ، ويظهر ان لتدينه وتقواه اثر
في اسلوبه الرفيع .

وقد بقي حسان محافظاً على الاسلوب الجاهلي القديم في كثير
من قصائده ، بل في اشهر قصائده الاسلامية ، وهي الهمزية التي رد
فيها على ابي سفيان هجاءه لرسول الله قبيل فتح مكة . فقد بدأها
بذكر الاطلال والديار على اسلوب الجاهليين التقليدي فقال^(٣) :

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلا^(٤) .

(١) انظر بقية القصيدة في ديوانه من ١٥٧ وهجاءه لها من ١٥٨ وللحارث بن

هشام من ٥٩ ولابن الزبير من ٢٠٣ .

(٢) ابن هشام ٢٠/٢ و ٨١ .

(٣) الديوان من ١

(٤) ذات الاصابع والجواء : موضعان بالشام باكناف دمشق ، وعذراء : موضع
على بريد من دمشق ، وبها قتل معاوية بن عدي ، وكانت بهذه المواضع منازل ملوك
غسان بني جفنة الذين كان يفتجعهم حسان مسترفداً مادحاً في الجاهلية .

ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء^(١)
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
واستطرد الى الغزل ووصف الأوبة فقال :

فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني اذا ذهب العشاء
لشعءاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء^(٢)
ثم ينتقل الى وصف الحرة فيقول :

كأن خبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
الى أن يقول فيها :

ونشربها فتتر كنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء

وبعد كل هذه المقدمات الجاهلية ينتقل الى مدح الرسول عليه
السلام ، وظل اسلوب المقدمات الطللية والغزلية مسيطراً على كثير
من قصائده الاسلامية ، ولكن كعباً تحرر من هذا الاسلوب فلم نجد
فيما بين أيدينا من شعره أثراً لهذه المقدمات .

والمقطوعات شائعة في شعريهما ، وقد يكون للسريعة التي كانت
توجبها عليهما ملاحقة الأحداث ، وعدم توفر الوقت الكافي لديهما لتنظيم
القصائد المطولة ، أثر في شيوع هذه المقطوعات التي قد تهبط أحياناً
الى البيت الواحد ، وربما يكون مرد ذلك الى أن كثيراً من شعرهما
قد ضاع ، ويرجح ذلك بالنسبة لأبيات الاستشهاد خاصة ، فلا يمكن

(١) الحسحاس : الرجل الجواد . قال ابن فارس : هو الذي يطرد الجوع
بسخائه . يريد بني الجود وحلفائه .

(٢) قيل ان شعءاء هذه هي بنت سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل بل امرأة من
خزاعة .

أن يكونا قد نظما هذه الابيات منفردة كما وردت في مواطن الاستشهاد ، فهي تبدو غير مستقلة بمعناها .

وقد كرس أكثر شعراء صدر الاسلام قدراً كبيراً من شعرهم لمدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، ولرسم صورة شعرية لذاته الكريمة ، وقد رسم حسان في مدحه هذه الصورة كما رسمها كعب ، أما صورة حسان فقد التقى عندها جمال الخلق والخلقة ، فهو لم يرَ أجمل منه على الاطلاق ، ولم تلد النساء من يدانيه في جماله ، وهو مبرأ من كل عيب ، كامل دونما نقص ، وكأنه عليه الصلاة والسلام خلق على الصورة التي ارتضاها لنفسه ، والكمال الذي شاءه لذاته ، فهو الكمال المجسم ، والخلق المصقّى .

وأحسن منك لم ترَ قطُ عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقتَ مبرّءاً من كل عيبٍ كأنك خُلقتَ كما تشاء^(١)

وهو ناصع البياض في خلقه وصفاته وأفعاله ، وسمه الله بخاتم النبوة وكرّمه بضمه اسمه الى اسمه تعالى في الشهادة ، وشق له من اسمه اسماً ليرفع شأنه فالله تعالى محمود وهو محمد .

اغررّ عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد^(٢)

أما الجانب الآخر من هذه الصورة فهو أثر الرسول في الجزيرة العربية خاصة ، والعالم عامة . ونوره الذي عمّ الارحاء ، فهو كالهلال

(١) الديوان ص ١٠

(٢) الديوان ص ٧٨

في نوره ورحمته للعباد ، يلوح في دياجير الظلام الذي اكتنف العالم
كسيف أبيض صقيل ، ولكنه لا يضرب ولا يبطش وإنما يدعو الى
كل خير ، مبشراً بالجنة ، منذراً بالنار .

نبي أتانا بعد يأسٍ وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً منيراً وهادياً
يلوح كما لاح الصقيل المهند
فأنذرنا ناراً وبشراً جنةً
وعلمنا الاسلام فالله نحمد

وقد نجح حسان ، وكان بارعاً في تقريب صورة الرسول
الأعظم من اذهان من لم يتشرف برؤية طلعتة البهية ، ولم تكتحل
عيناه بجماله المشرق ، حتى أن السيدة عائشة لم تشأ ان تضيف على
تصوير حسان شيئاً حين سئلت : كيف كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ قالت : كان والله كما قال فيه حسان :^(١)

متى يبدُ في الداجي البهيم جبينه
يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من ذا يكون كأحمد
نظام لحق او نكال للمعد ؟

اما صورة كعب لرسول الله من خلال مدحه له ، فهي مقاربة
لصورة حسان ، مع افتقارها لعنصر وصف خلقة الرسول وجماله

(١) المصدر السابق ص ١٠١ .

الذي كان بارزاً في صورة حسان ، فهو يعدد مناقبه ، ويصور مآثره
من خلال مدحه له او فخره به ، فقد جمع الامة بعد تفرق واصلح
امرها بعد خلل :

لمّ الاله به شعثاً ورمّ به

امور أمته والامر منتشر^(١)

وهو الشهاب الساطع ، والنور المتألق ، إتباعه هداية ، وتصديقه
سعادة ، في سيرته العدل ، وفي منطقته الحق . يمضي حين يتردد ذوو
العزائم ، ويقدم حين يحجم الابطال ، لا يعصي الله في امر ، ولم يجر
على لسانه كذب .

فيما الرسول شهاب ثم يتبعه

نور مضيء له فضل على الشهب^(٢)

الحق منطقته والعدل سيرته

فمن يجبه اليه ينسج من تب^(٣)

نجدُ المقدم ماضي الهم معترم

حين القلوب على رجف من الرعب^(٤)

يمضي ويدمرنا عن غير معصية

كأنه البدر لم يطبع على الكذب^(٥)

(١) ديوان كعب ص ٢٠٨ . الشعث : بفتح العين او سكونها : انتشار الامر
وخلله رم : اصلح .

(٢) الديوان ص ١٧٤ .

(٣) تب : خسران وهلاك .

(٤) نجد المقدم : شجاع . الرجف : التحرك والاضطراب . الرعب : الفزع .

(٥) يدمرنا : يحضنا ويدفعنا . لم يطبع : لم يخلق .

بدا لنا فاتبناه نصدقه

وكذبوه فكنا أسعد العرب

واخيراً فقد نال حسان وشعره من الاهتمام والبحث والدراسة
ما لم ينل كعب . فطبع ديوان حسان في أوروبا ومصر وبيروت أكثر
من مرة ، وتصدى لشرحه أكثر من عالم واديب ، ومخطوطاته منتشرة
في معظم مكتبات العالم المشهورة ، وقد قامت حول شعره دراسات
عديدة ، وترجمت حياته في كتب كثيرة ، بينما ظل ديوان كعب
املا مطويماً في ضمير الغيب ، يداعب احلام الباحثين في الادب الى
ايام قريبة ولم ينهض أحدٌ لدراسة حياته او فنه ، فبقيت اخباره
مشتتة وخصائص فنه مبعثرة الى وقت قريب^(١) .

(١) نشر مؤخراً ديوان كعب في بغداد جمع وتحقيق ودراسة المؤلف .

محتويات الكتاب

٤-٣	المقدمة
١٩-٥	الصراع الأدبي بين مكة والمدينة في عصر النبوة
٢٦-٢٠	القرآن والشعر
	اعجاز القرآن
٣٣-٢٧	معجزات الانبياء
٣٤-٣٣	تفرد القرآن بالاعجاز
٤١-٣٤	تأثير القرآن
٤٢	قدر المعجز
٤٢	وجوه الاعجاز
٤٥-٤٢	١- الصرفة
٤٧-٤٥	٢- الاخبار بالغيب
٤٨-٤٧	٣- الحديث عن الماضي
٤٩-٤٨	٤- خلوه من التناقض
٥٠-٤٩	٥- النظم والأسلوب والبلاغة
٥٤-٥٠	معارضة القرآن
	فنون الشعر الاسلامي
٧١-٥٥	الفخر

٨٢-٨٢	المديح
٩٩-٨٣	التهجاء
١٤٣-١٢٢	النقائض الإسلامية
١٠٠	تعريفها
١٠١-١٠٠	تطورها
١٠٢-١٠١	خصائصها
١١١-١٠٢	معانيها وفنونها
١١٩-١١١	طرق النقض
١٢١-١١٩	المراجعات
١٤٣-١٢٢	الرساء
١٦٦-١٤٤	مراثي رسول الله
١٦٩-١٦٧	ثبت بمراثي رسول الله (ص)
١٧٩-١٧٠	شعر السؤود الخاصة
٢٠٤-١٨٠	شعر الصحابة التاريخية
٢٠٨-٢٠٥	شعر الوعظ والارشاد
٢٣١-٢٠٩	شعر الفتوحات الإسلامية
	دور الشعر في هروب الردة
٢٣٦-٢٣٢	الردة في التاريخ

٢٤٠—٢٣٧

عوامل الردة

٢٦١—٢٤٠

موضوعات شعر الردة

٢٦٣—٢٦١

الخصائص الفنية لشعر الردة

عبدالله بن رواحة

٢٦٥—٢٦٤

شاعر الخزرج

٢٧٢—٢٦٥

اسلامه وشعره

٢٨٥—٢٧٣

بين شاعري رسول الله



المصادر والمراجع

(١) المطبوعة

ابن الاثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري
١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - المطبعة الاسلامية بطهران
سنة ١٣٤٢ .

الاسد آبادي : القاضي عبد الجبار
٢ - المغني في أبواب التوحيد والعدل - وزارة الثقافة والارشاد
بالعربية المتحدة .

الاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الاموي
٣ - الاغاني . (من الجزء الاول الى السادس عشر طبعة دار
الكتب أما بقية الاجزاء فهي من طبعة ساسي)

امرؤ القيس بن حجر الكندي
٤ - ديوانه - طبعة بيروت .

الاندلسي : محمد بن يحيى بن أبي بكر الاشعري المالقي
٥ - التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان - تحقيق الدكتور
محمود يوسف زايد - بيروت سنة ١٩٦٤ .

الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب .

٦ - اعجاز القرآن . تحقيق السيد صقر - دار المعارف بمصر .

٧ - التمهيد . دار الفكر العربي بمصر سنة ١٣٦٦ .

الباهلي : أبو الحسن الاشبيلي .

- ٨ - الذخائر والاعلاق في آداب النفوس ومكارم الاخلاق .
المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨
البخاري : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل .
- ٩ - الصحيح . طبع محمد علي صبيح وأولاده بمصر .
البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر .
- ١٠ - فتوح البلدان - ط مصر ١٩٠١ .
البلوي : أبو الحجاج يوسف بن محمد .
- ١١ - ألف با - المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٧ .
البيهقي : ابراهيم بن محمد .
- ١٢ - المحاسن والمساوي . دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر .
- ١٣ - البيان والتبيين . تحقيق عبدالسلام هارون - مصر سنة ١٩٤٨
- ١٤ - حجج النبوة - ضمن رسائل الجاحظ نشر السندوبي سنة ١٣٥٢
- ١٥ - الحيوان - مصطفى الحلبي ١٣٦٤
الجرجاني - علي بن عبدالعزيز
- ١٦ - الوساطة بين المتنبى وخصومه . ط ٣ تحقيق أبو الفضل ابراهيم
والبجاوي .
- الجرجاني : أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن .
- ١٧ - دلائل الاعجاز . مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٦٧ .
- ١٨ - الرسالة الشافية . ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - تحقيق
محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر .

- الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد .
- ١٩- شرح أدب الكاتب - مطبعة القدسي بمصر .
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي .
- ٢٠- تاريخ عمر بن الخطاب . ط مصر .
- ابن أبي الحديد : أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد المدائني .
- ٢١- شرح نهج البلاغة - الحلبي بمصر .
- ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد الأندلسي .
- ٢٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل - طبعة مصر ١٣٢١ .
- حسان بن ثابت الانصاري
- ٢٣- ديوانه - باعتناء البرقوقي - مطبعة السعادة بمصر .
- الحصري - أبو الحسن علي بن عبدالغني .
- ٢٤- زهر الآداب وثمر الآداب - طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٣ .
- الحطيئة - جرول بن أوس .
- ٢٥- ديوانه - طبعة بيروت .
- الخالديان : محمد وسعيد ابنا هاشم .
- ٢٦- الأشباه والنظائر - تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم -
- ١٩٥٨ .
- الخطابي - أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم .
- ٢٧- بيان اعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن
- تحقيق خلف الله وسلام - دار المعارف بمصر .
- ابن خلدون : ولي الدين عبدالرحمن بن محمد التونسي

- ٢٨ - المقدمة - مطبعة نهضة مصر .
- الخفاجي - ابو عبد الله محمد بن سعيد بن سنان .
- ٢٩ - سر الفصاحة . المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٥ .
- الرازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان .
- ٣٠ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - تحقيق فيض الله
الرازي - القاهرة سنة ١٩٥٧ .
- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر .
- ٣١ - نهاية الايجاز في دراية الاعجاز - مطبعة الآداب والمؤيد .
الرافعي - مصطفى صادق .
- ٣٢ - اعجاز القرآن - مطبعة الاستقامة بمصر .
- ٣٣ - تاريخ آداب اللغة العربية - طبعة مصر .
- الرماني : أبو الحسن علي بن عيسى .
- ٣٤ - النكت في اعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن .
الزركشي : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله .
- ٣٥ - الاجابة لا يراد ما استدر كتبه عائشة على الصحابة .
تحقيق سعيد الافغاني . مط الهاشمي بدمشق ٩٣٩
- الزنجشيري : جار الله محمود بن عمر .
- ٣٦ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الاقاويل في
وجوه التأويل . ط مصر .
- الزهيري - محمود غناوي .
- ٣٧ - نقائص جرير والفرزدق - مطبعة دار المعرفة ببغداد ١٩٥٤ .
- السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي .

- ٣٨- طبقات الشافعية - مطبعة الحسينية بمصر .
- ابن سعد : أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري .
- ٣٩- الطبقات الكبيرة - الطبعة الاوربية سنة ١٣٢٢ .
- السكري : أبو سعيد الحسن بن الحسين .
- ٤٠- شرح أشعار الهذليين - وزارة الثقافة في العربية المتحدة .
- ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي .
- ٤١- طبقات الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف
بمصر .
- سيد قطب .
- ٤٢- في ظلال القرآن - دار الثقافة - بيروت .
- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن عبدالله .
- ٤٣- الاتقان في علوم القرآن - مصر .
- ٤٤- شرح شواهد المغني - الخانجي بمصر سنة ١٣٢٢ .
- الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبدالكريم .
- ٤٥- الملل والنحل - طبعة ليبزج سنة ١٩٢٨ .
- شوقي ضيف .
- ٤٦- تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي - دار المعارف بمصر .
- ٤٧- الرثاء - دار المعارف بمصر .
- شيخو : الأب لويس شيخو اليسوعي .
- ٤٨- مرآة شواعر العرب . بيروت .
- الصفدي : صلاح الدين بن خليل بن أيبك .

- ٤٩- نكت الهميان في نكت العميان - مصر سنة ١٩١١ .
الضبي : المفضل بن محمد .
- ٥٠- المفضليات . تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون
دار المعارف بمصر .
- الطائي : أبو زبيد حرمله بن المنذر .
- ٥١- شعر أبي زبيد الطائي . تحقيق الدكتور نوري القيسي - بغداد
ابن عبد البر : ابو عمر ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي .
- ٥٢- الاستيعاب في معرفة الاصحاب - المطبعة الشرقية بمصر .
ابن عبد ربه : أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي .
- ٥٣- العقد الفريد - الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة والنشر
بمصر .
- ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله .
- ٥٤- تاريخ مدينة دمشق - تحقيق صلاح الدين المنجد - نشر المجمع
العلمي العربي بدمشق .
- العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر .
- ٥٥- الاصابة في تمييز الصحابة . المطبعة الشرقية بمصر .
القاضي عياض بن موسى اليحصبي .
- ٥٦- الشفا في التعريف بحقوق المصطفى - مصر .
ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم .
- ٥٧- تأويل مشكل القرآن - طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ .

قدامة بن جعفر البغدادي

٥٨- نقد الشعر - مطبعة الجواثب سنة ١٣٠٢ .

القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب .

٥٩- جهرة أشعار العرب - المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٨ .

القرطبي : أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري

٦٠- التذكار في أفضل الاذكار - طبعة مصر .

القيرواني : ابو علي الحسن بن رشيق

٦١- العمدة في صناعة الشعر ونقده ط ٢ السعادة بمصر .

قيس بن الخطيم

٦٢- ديوانه - تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي و احمد مطلوب

بغداد .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر .

٦٣- البداية والنهاية - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٢ .

كعب بن مالك الانصاري

٦٤- ديوانه - تحقيق سامي مكي العاني - بغداد .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الازدي .

٦٥- الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف - تحقيق زكي

مبارك .

المرزباني : ابو عبدالله محمد بن عمران .

٦٦- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء . المطبعة السلفية بمصر

سنة ١٣٤٣ هـ .

المسعودي : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري - مصر سنة
١٩٣٦ .

٦٧ - مروج الذهب - ط الحلبي بمصر سنة ١٩٥٥ .

ابن منظور : محمد بن مكرم الانصاري .

٦٨ - لسان العرب - طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت سنة

١٩٥٥ .

المقريزي : تقي الدين أبو محمد احمد بن علي .

٦٩ - امتاع الاسماع - تصحيح احمد محمد شاكر - مصر سنة ١٩٤١

النابعة الجعدي

٧٠ - ديوانه - المطبعة الاسلامية بدمشق .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب .

٧١ - نهاية الارب في فنون الادب . ط ٢ دار الكتب المصرية

سنة ١٩٢٩ .

الواقدي : ابو عبدالله محمد بن عمر .

٧٢ - مغازي رسول الله - جماعة نشر الكتب القديمة بمصر سنة ١٩٤٨

ابن هشام : ابو محمد بن عبد الملك بن هشام .

٧٣ - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وجماعته - الطبعة

الثانية بمصر .

ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي .

٧٤ - معجم البلدان - الطبعة الاوربية .

٧٥- معجم الادباء . طبعة الرفاعي دار المأمون - بمصر .

اليقوي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر .

٧٦- تاريخ اليقوي - مطبعة الغري - النجف سنة ١٣٥٨ هـ .

اليمني : ابن حمزة العلوي .

٧٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

مطبعة المقتطف سنة ١٩١٤ .

(٢) المخطوطات

الباخري أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي الطيب .

١- دمية القصر وعصرة أهل العصر . نسخة المتحف العراقي

الزنجشري : جار الله محمد بن عمر .

٢- ربيع الأبرار - مكتبة الأوقاف - بغداد رقم ٣٨٦ .

الصاغاني : رضي الدين حسن بن محمد بن حيدر

٣- درّ السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة - دار الكتب

المصرية ٣٨٨ م تاريخ

ابن قدامة : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة الجماعلي .

٤- الاستبصار في أنساب الأنصار - دار الكتب المصرية (٣٤٩)

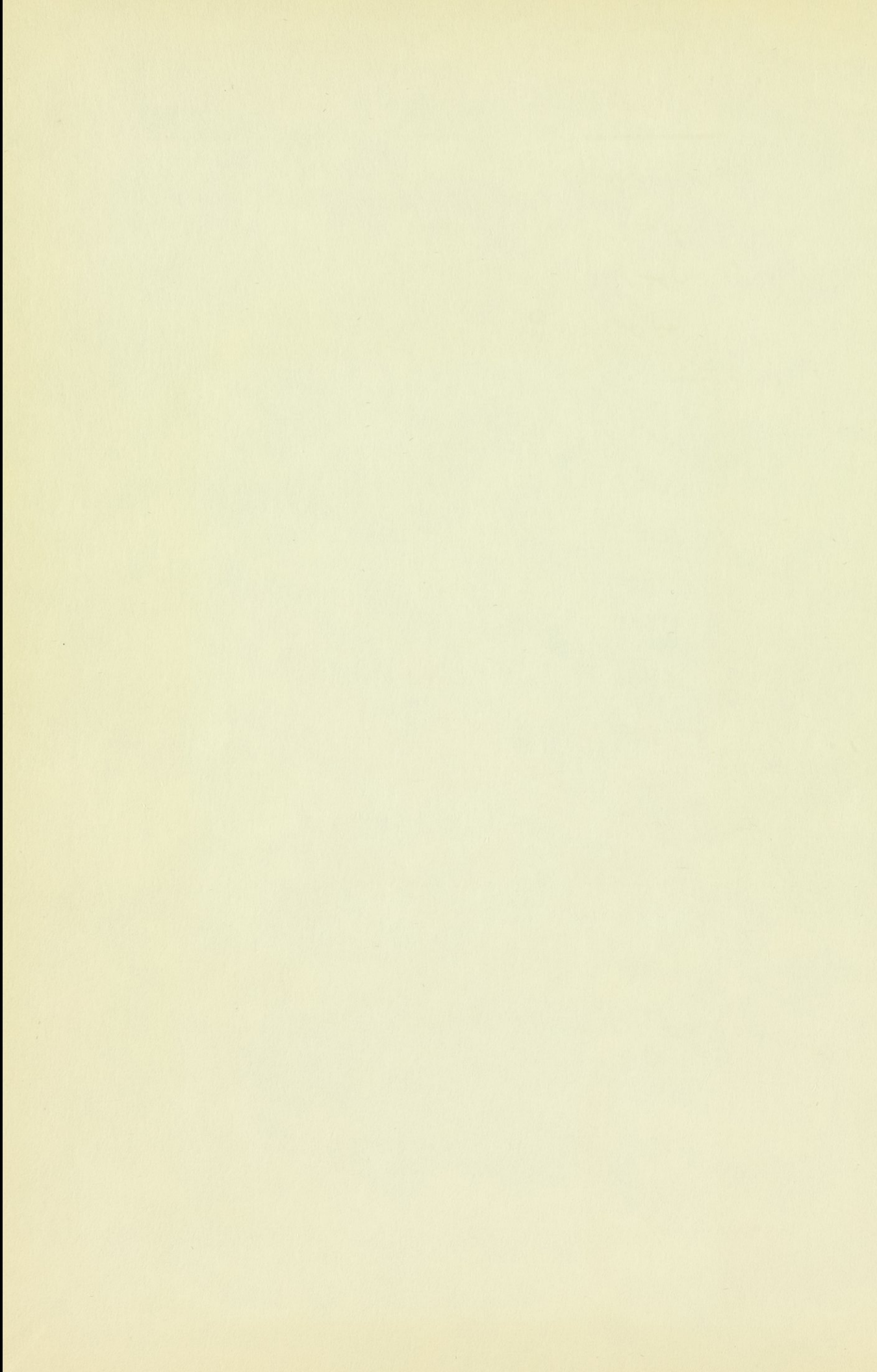
تاريخ .

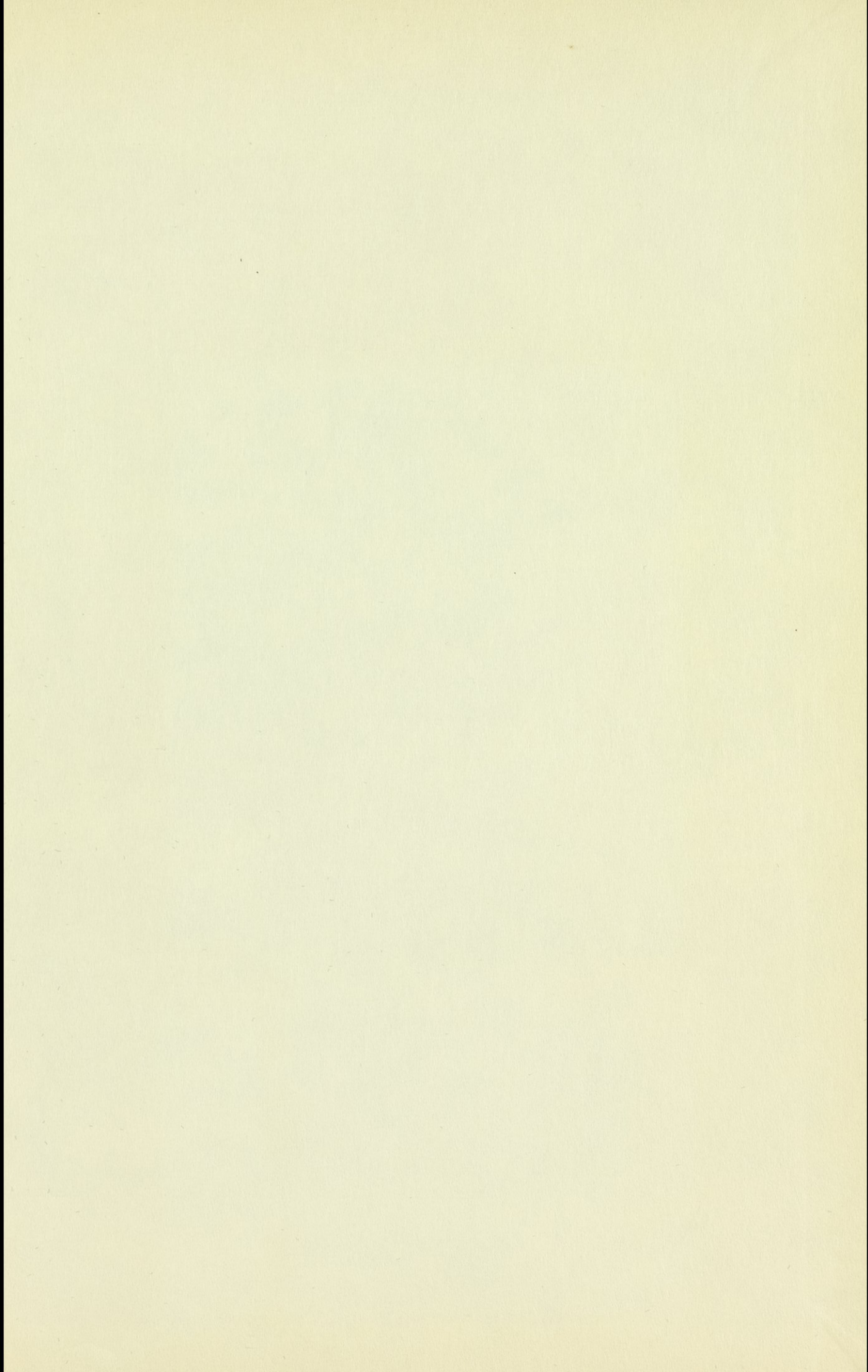
استدراك

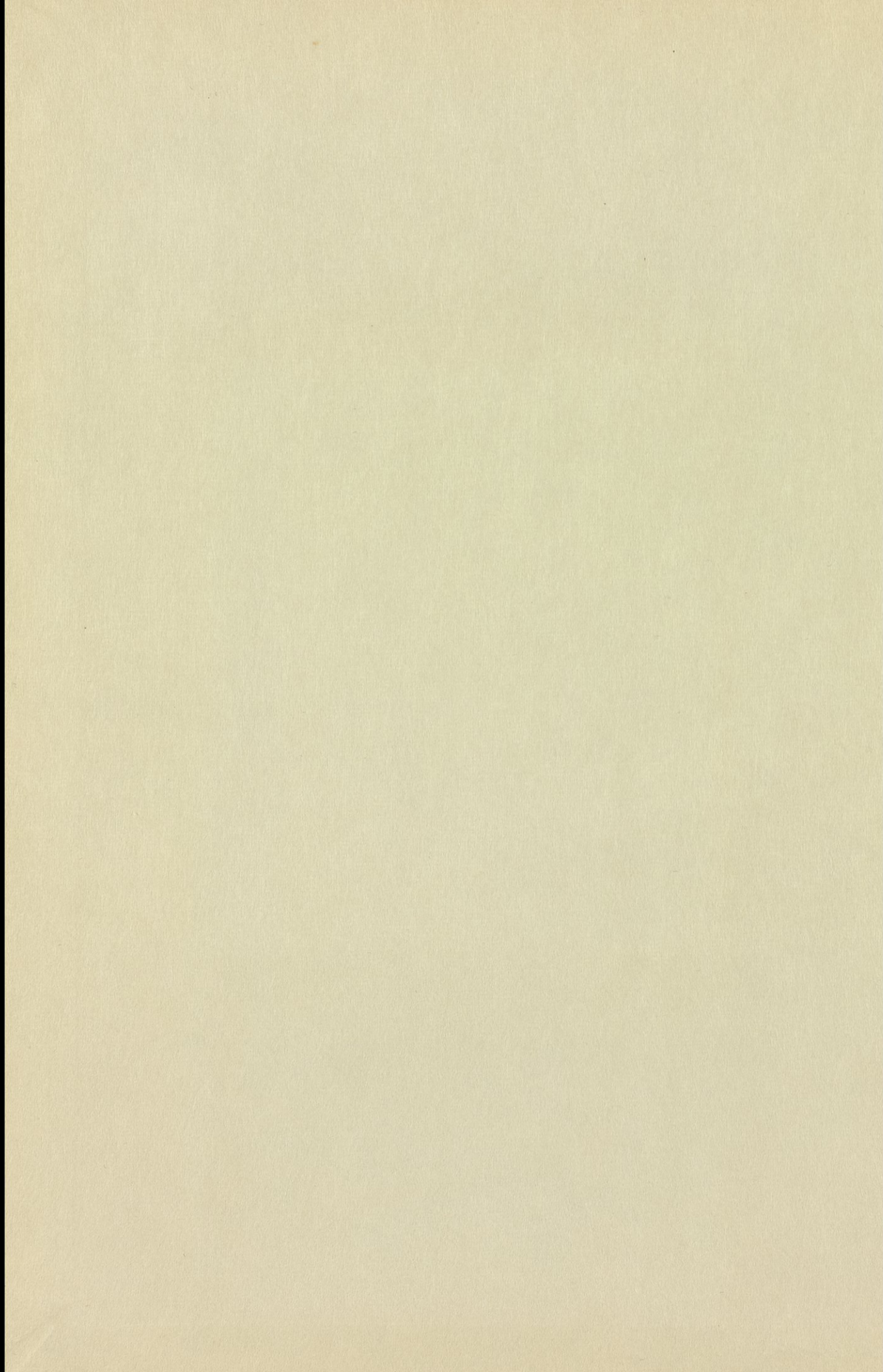
نستدرك في هذه الصفحة أغلاطاً وقعت في الكتاب أثناء الطبع وهي وان كانت لا تخفى الا أننا آثرنا أن ننبه عليها ليرجع اليها القارىء في محلها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٢	خمسة	خمسة
	١٢	الافتراءات	الافتراءات
٢١	١٨	الخمسة	الخمسة
	٢٢	٥٢	٢٩
٢٢	٥	الخمسة	الخمسة
٢٣	١	ينحوضوق	ينحوضون
٢٤	٢	الرحمن	الرحمن الرحيم
٣٧	١٢	ينظر	تنظر
	١٦	وقد	أوقد .
٤٠	٥	قأتوا	فأتوا
٤٥	١٤	العمر	العمى .
٥٧	٥	أنا	أنى
٦٧	٤	الشرح	السراح
	٢٤	المطاردة	المطارة
٧٠	٥	الطينا	الطينا

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
وأصلحت أمرها	وأصلحته	٨	٧٤
ومعان	ومعاني	١٦	٩٨
الرسول	رسول	١٣	١١٥
مواليها	قواليها	٨	١١٦
اللاؤاء : الشدة .	اللاؤاء :	٢٢	١١٧
أنى	أي	١٦	١٢٠
أنى	أي	٣	١٢١
يفيىء	يضيء	٢٥	١٢١
ص ٦٧	ص	٢٥	١٢٤
١٢٣/٢	/٢	٢٥	
ذراري	ذواري	١٢	١٢٦
ويستولي عليه	وسيتولى عنه	١٣	
متمم	متحم	١٣	
كنت	كتت	٩	١٧٩
مسيلمة	مسليمة	١٠	٢٥٣







DUE DATE

JUN 01 1993

JUN 01 1993

JUN 02 1993

Printed
in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0022345728

PJ
7541
.A7

02192381

PJ 7541
.A7

APR 23 1970

